جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة
قسم العقيدة والفلسفة

موضوعات سمعية
بين
النقل والعقل

دكتور
إسماعيل محمد إسماعيل

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا.

وأصلى وأسلم على سيدنا " محمد " صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين وهدى للضالين وبشيرا ونذيرا للمؤمنين والعاصين ، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ومن سلك مسلكهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن أصدق الكلام كلام (الله) تعالى ، وخير الهدى هدى رسول (الله) صلى (الله) عليه وسلم . وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار ، أعاذنا (الله) تعالى والمؤمنين من النار برحمته إنه عزيز غفار .

وإن علم أصول الدين أو التوحيد أو الكلام من العلوم الإسلامية الأصيلة التى لا يمكن للأنسان أن يستغنى عن دراستها أو الأطلاع عليها ، وإذا كانت العلوم تشرف بموضوعاتها ومسائلها فإن هذا العلم من أشرف العلوم على الأطلاق لماذا ؟

لأنه يبحث فى أشرف موضوع وهو : وجود (الله) تعالى وصفاته وأفعاله ، وما يجب له وما يجوز عليه وما يستحيل فى حقه عز وجل .

بالاضافة إلى أنه يبحث فى النبوات والرسالات ، والسمعيات التى سمعنا بها و لم نرها بعد ، ولكننا صدقنا بها بقلوبنا ، وعملنا لها بجوارحنا ، ودافعنا عن صحتها وسلامتها بأقلامنا ضد أعدائها وأعدائنا .

وقد ظهرعلى الساحة الفكرية شرذمة قليلون يحاولون الطعن فى كل ماهو منقول ومعقول ، ويشككون الناس فى أفكارهم ويلبسون عليهم دينهم الحق لكى يصبح الحق باطلا ، والباطل حقا ، والمعروف منكرا ، والمنكر معروفا ، والخير شرا ، والشر خيرا .

وهكذا تنقلب الحقائق والمسلمات لعلهم يجدوا ضالتهم المنشودة ليقولوا ويعتقدوا ما شاءوا دون ضابط أو قيد من نقل أو عقل .

فبعد محاولتهم تشكيك بعض الناس فى وجود (الله) تعالى وصفاته وأفعاله ، وما يتعلق بالنبوات والرسالات زاعمين أن الانسان يستطيع معرفة الحق والباطل والخير والشر والفضيلة والرذيلة عن طريق العقل دون حاجة إلى نبى أو رسول من (الله) تعالى لكى يعرف هذه الأمور وغيرها ، حاولوا تشكيك بعض الناس فى القران الكريم ، الذى حفظه الله عز وجل بحفظه و لم تمتد إليه أيدى التحريف والإفساد كما حصل للكتب السابقة .

كما أكد (الله) تعالى ذلك بقوله عز من قائل :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (١)

كذلك السنة النبوية الصحيحة ما نطق بها النبى صلى الله عليه وسلم إلا بإذن من (الله) تعالى كذلك وقد حفظها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت متواترة جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب وأنه لا يمكن للمؤمن أن

---

(١) سورة الحجر الآية : ٩

يستعيض بالقران الكريم عنها بل لا بد من التصديق والعمل بما شأنها فى ذلك شأن القران الكريم وذلك بنص كثير من آيات القران الكريم التى منها :

قول الله تعالى ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾ [٢]

ثم بعد هذا وجدناهم يشككون فى القضايا السمعية أو الأمور الأخروية مثل : سؤال القبر وعذابه ونعيمه ، والمعاد وما إلى ذلك مكذبين بالنصوص النقلية — كتاب وسنة — التى جاءت لتؤكد على خلاف ما شككوا فيه ، وما كذبوا به ، وتبرهن على فساد ما قالوه واعتقدوه فى القران الكريم والسنة النبوية الصحيحة والأمور الأخروية وقبل هذا وبعده فى وجود (الله) تعالى وصفاته وأفعاله .

وكان لأعداء الإسلام والمسلمين — من يهود ونصارى ومن نحى نحوهم — دورا كبيرا فى قيام هذه الحركات المعادية للإسلام وأهله ، وإشعال الفتنة بين الطوائف الإسلامية .

بقصد محاربة بعضها بعضا ، لإضعافها أو القضاء عليها بأيدى بعضها ، وقد نجحوا فى بعض الأحوال وفشلوا فى أكثرها .

لأن (الله) عز وجل من ورائهم محيط وبكيدهم عليم فهو القائل فى قرآنه الكريم ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون (٨) هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ [٣]

---

(٢) سورة آل عمران : الأية ٣١ .

(٣) سورة الصف : الأيتان ٨ ، ٩ .

وأنه عز وجل الناصر لدينه ولأنبيائه عليهم الصلاة والسلام — فى كل زمان ومكان — وللمؤمنين الناصرين لدين الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كذلك ولم لا ؟

وهو عز وجل القائل فى كلامه القديم : —

﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ (٤)

كذلك هيأ (الله) عز وجل لهذا الدين ولهذه الشريعة رجالا يدافعون عنه وعنها بكل ما يملكون من وسائل مادية ومعنوية ، وقاموا بالرد على هؤلاء الأدعياء الكذابين والشرذمة المشككين فى دينه وقرآنه وشريعة نبيه صلى الله عليه وسلم وأخبار (الله) تعالى السمعية ، فبينوا للناس فساد ما قالوه واعتقدوه فى الله وصفاته وأفعاله وأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام ، وبطلان ما حاولوا نشره بين الناس لكى يصدقوه ويعتقدوه .

وهذه سنة (الله) تعالى فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا أو تحويلا .

وانطلاقا من هذا رأيت أن أشارك العلماء ورجال الدين فى عملهم هذا وأن أساهم ولو بقدر يسير لمواصلة هذا العمل الجليل خاصة بعد أن رأيت أعداء الإسلام والمسلمين يتربصون به وبهم الدوائر لكى يخرجوهم عن دينهم وشريعتهم وأخلاقهم إن استطاعوا ويؤمنوا بأباطيلهم وأهوائهم الفاسدة المخالفة لكل منقول ومعقول ، فقمت

---

(٤) سورة الحج : الأيتان ٣٨ ، ٤٠ .

بالشروع فى هذا الكتاب وسميته (**موضوعات سمعية بين النقل والعقل**) .

والمقصود بالسمعيات الأمور التى سمعنا بها — فى الكتاب والسنة — و لم نرها بعد وذلك مثل : سؤال القبر وعذابه ونعيمه ، ومستقر الأرواح ، والمعـــاد ، والســاعة وعلاماتها ، والصور والحشر ، والعرض والحساب ، والحوض والميزان ، والصـــراط ، والجنة والنار ، وما إلى ذلك من قضايا سمعية نعرض لها فى موضعها بمشيئة الله تعـالى ، وقد رتبت هذا الكتاب على :

مقدمة وأربعة أبواب .

أما المقدمة : فتناولت فيها أهمية موضوع الكتاب والإشارة إلى مؤامرات أعـداء الإسلام والمسلمين ضد العقيدة والشريعة ومصادرها الأساسية .

الباب الأول : من اركان الإيمان ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : اليوم الآخر وحاجة الإنسانية إلى الإيمان به .

الفصل الثانى : اليوم الآخر فى الأفكار غير الأسلامية .

الفصل الثالث : اليوم الآخر فى الفكر الإسلامى .

البـــاب الثانى : الموت ومتعلقاته ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مفهوم الموت .

الفصل الثانى : سؤال القبر وعذابه ونعيمه .

الفصل الثالث : مستقر الأرواح .

الباب الثالث : الدار الآخرة : ويشتمل على ثلاثة فصول : —

الفصل الأول : المعاد .

الفصل الثانى : الساعة وعلاماتها .

الفصل الثالث : الصور والحشر .

الباب الرابع : الفوز والخسران ، ويشتمل على أربعة فصول :

الفصل الأول : العرض والحساب .

الفصل الثانى : الحوض والميزان .

الفصل الثالث : الصراط .

الفصل الرابع : الجنة والنار .

وقد عالجت هذه القضايا السمعية فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وأقوال علماء أهل السنة والجماعة .

راجعا إلى المصادر الأصلية المعتمدة بالتراث الإسلامى الأصيل ومذاهب المحققين من علماء الدين مشيرا إلى ما يوافق كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يخالفه منها .

كذلك ما قاله العقل فى هذه القضايا السمعية ، ولا أقصد العقل على إطلاقه ، وإنما العقل الخالى من سموم التيارات الفكرية الإلحادية التى تريد القضاء على الإسلام وكل ماهو إسلامى سواء كان فى الدين أو فى التعليم ، أو فى الثقافة ، أو السياسة والحكم ، أو فى القضاء ، أو فى الإعلام ، أو فى المعاملات ، وما إلى ذلك من أمور تخص الدين والشريعة الإسلامية .

وإن العقل يتفق مع النقل فى هذه الموضوعات السمعية ولا يوجد إختلاف بينهما وكيف يختلفا ؟

والنقل من عند الله تعالى ، والعقل من خلقه عز وجل ومن أعظم النعم التي أنعمها الله تعالى على عبده ، فعليه مناط التكليف وعليه يترتب الثواب والعقاب في الآخرة ، وبه جعله خليفته في أرضه ، وبه كرّمه على كثير من خلقه .

وقد عالجت هذه القضايا السمعية بأسلوب سهل ميسر متجنبا الألفاظ والعبارات الموهمة — قدر المستطاع — التي تصعب على كثير من الناس .

فإن كنت قد وفقت في هذا العمل المتواضع فهذا مرده إلى الله عز وجل وحده

وإن كانت الأخرى فمرده إلى نفسي وتقصيري موقنا أن الكمال ليس من صفات المخلوق ولكنه من صفات الخالق عز وجل .

لذا فإني أسأل المولى عز وجل أن يتقبل مني عملي هذا ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفعنا به ، وينفع كل من قرأه أو أطلع عليه أو ساهم في أخراجه بهذه الصورة ، وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم نلقاه إنه نعم المولى ونعم المصير .

وأختم مقدمتي بخير الكلام وأصدقه بقول الله تعالى : —

﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون (٣٦) ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون ﴾ (٥)

(٥) سورة الأنفال الايتان ٣٦ ، ٣٧ .

الباب الأول
من أركان الإيمان

ويشتمل على ثلاثة فصول : –

- **الفصل الأول** : اليوم الآخر وحاجة الإنسانية إلى الإيمان به .
- **الفصل الثانى** : اليوم الآخر فى الأفكار غير الإسلامية .
- **الفصل الثالث** : اليوم الآخر فى الفكر الإسلامى .

الفصـــــل الأول

اليـــوم الآخـــــــــــــــر
وحاجـــــة الإنسانيــة إلى الإيمـــــان بـــــه

بداية نشير إلى أن اليوم الآخر وردت له أسماء كثيرة فى القرآن الكريم ، والتى سنعرض لها فى موضعها بمشيئة الله تعالى ، وهذا اليوم له علامات كثيرة من بينها أن الأرض والسموات تتبدل ، ويتغير وضعها ونظامها ويبرز الناس جميعا لله الواحد القهار ليجزى الله كل نفس ماكسبت إن خيرا فخيرا ، وإن شرا فشرا .

والإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان ، أو أصول الدين كما أن الإيمان بهذا اليوم حاصل فى كل شريعة سماوية من لدن أبينا آدم عليه الصلاة والسلام إلى شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهذا ما أشار الله تعالى إليه فى قرآنه الكريم بقوله تعالى : -

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١)

كما أشار سيدنا (محمد صلى الله عليه وسلم) إلى هذا بقوله :

[الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره] (٢)

وقد أوجب الله تعالى على كل إنسان أن يؤمن بجميع ما أخبر الله تعالى به فى قرآنه الكريم ، وعلى لسان رسوله الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن بين ما كلفنا الله تعالى به الإيمان باليوم الآخر ، وما يكون بعده من أحداث ، لذا فإن التكذيب باليوم الآخر تكذيب لله تعالى ، وتكذيب لرسل الله عليهم الصلاة والسلام ، وتكذيب بالكتب السماوية التى جاء فيها ذكر وبيان لليوم الآخر وما يكون فيه من ثواب وعقاب .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٦٢ .

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم ، راجع صحيح مسلم بشرح النووى ١٥٧/١.

وغنى عن البيان أن تكذيب الله تعالى ، وتكذيب رسله – عليهم الصلاة والسلام – كفر صريح لا جدال فيه .

والمتدبر فى آيات القرآن الكريم يجد فيه الإشارة إلى أهمية الإيمان باليوم الآخر ، وما يترتب عليه من آثار إيجابية تنعكس على أصحابها دينا ودنيا وأخرى .

فمن آثاره الإيجابية أن الإيمان به من أهم البواعث على القيام بفعل المأمورات واجتناب المنهيات .

والإيمان به يملأ قلب الناس عامة والمؤمنين خاصة رغبة ورهبة رغبة فيما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين ففيه ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ورهبة من عذابه وغضبه وما أعده للعاصين المكذبين .

وقد أشارت آيات القرآن الكريم إلى هذه المعانى الجليلة : –

١ – قال الله تعالى ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .(١)

٢ – قال الله تعالى ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ . (٢)

٣ – قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ . (٣)

---

(١) سورة النساء الآية : ٧٤ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ٩٢ .

(٣) سورة التوبة الآية : ١٨ .

٤ – قال الله تعالى ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

٥ – قال الله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ . (٢)

٦ – قال الله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ . (٣)

٧ – قال الله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ . (٤)

٨ – قال الله تعالى ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥)

كما أن هناك الكثير من الآيات القرآنية تؤكد أن من أهم أسباب الإصرار على الكفر وارتكاب المنكرات واقتراف المعاصى والآثام يرجع إلى عدم الإيمان باليوم الآخر ، من هذه الآيات التى تشير إلى هذا : –

---

(١) سورة التوبة آية : ٤٤ .

(٢) سورة هود آية : ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٣) سورة الأحزاب آية : ٢١ .

(٤) سورة الزمر آية : ٩ .

(٥) سورة المجادلة آية : ٢٢ .

١ – قول الله تعالى ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون (١١٢)ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون ﴾ [1]

٢ – قول الله تعالى ﴿ إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾. [2]

٣ – قول الله تعالى :﴿ إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون﴾ . [3]

٤ – قول الله تعالى ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون (٢٣) فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين (٢٤) إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين (٢٥) قال رب انصرني بما كذبون (٢٦) فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾ . [4]

٥ – قول الله تعالى ﴿ ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه فاتبعوه إلّا فريقا من المؤمنين (٢٠) وما كان له عليهم من سلطان إلّا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ﴾ . [5]

---

(١) سورة الأنعام : الأيتان ١١٢ ، ١١٣ .

(٢) سورة التوبة : الأية ٤٥ .

(٣) سورة النحل : الأية ٢٢ .

(٤) سورة المومنون : الأيات ٢٣ – ٢٧ .

(٥) سورة سبأ : الأيتان ٢٠ ، ٢١ .

٦ – قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾.[(١)]

٧ – قول الله تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى (٢٧) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ .[(٢)]

٨ – قول الله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.[(٣)]

٩ – قول الله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ .[(٤)]

---

(١) سورة الزمر : الآية ٤٥ .

(٢) سورة النجم : الآيتان ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) سورة المطففين : الآيات ١ : ٦ .

(٤) سورة الماعون : الآيات ١ : ٣ .

العقل واليوم الآخر

وإذا كان اليوم الآخر قد ثبت إمكان وقوعه بالأدلة النقلية – كتاب وسنة – فكذلك ثبت إمكانية وقوعه بالأدلة العقلية .

فلا خلاف بينهما فى هذه القضية ، وأن جميع العقلاء فى كل زمان ومكان متفقين على هذا ومتفقين على حاجة الإنسانية بوجه عام إلى الإيمان به مؤكدين على أن الإيمان به من ضروريات الإيمان ، كما أن الإيمان باليوم الآخر وما يكون فيه من ثواب وعقاب وجنة ونار وفوز وخسران ما هو إلا تصديق وأثر لدعوات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

بالرغم من تكدير هذه الدعوات ووصول أيدى المفسدين والضالين إلى شرائعها وأحكامها ومحاولة النيل منها وصرف الناس عن الإيمان بها من زعماء الوثنية والإلحاد بوجه خاص ، وقد بقى لهذه القضية – اليوم الآخر – أثر إيجابى قوى فى نفوس الناس على مر التاريخ الإنسانى على الرغم من هذه المحاولات المتكررة فى كل زمان ومكان ، كما أن هذا الركن من أهم أركان الإيمان وأصول الدين ، وبدونه لا يمكن أن يكون هناك أساس لإيمان الفرد أو الجماعة ، ومهما كثر العمل فلا قيمة له مادام لا يرتكز على أساس سليم وقاعدة صحيحية تتمثل فى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر .

وقد برهن علماء الإسلام ومفكريه على إمكانية اليوم الآخر بالأدلة العقلية المهتدية بالأدلة النقلية ، وجاءوا بالكثير من البراهين العقلية على إمكانية وقوعه مؤكدين فى نفس الوقت على عدم أبدية الحياة الدنيا وخلود الإنسان فيها بل هى سبيل أو قنطرة يمر الناس عليها للوصول إلى الدار الآخرة فهى الباقية والدائمة .

وهذا أحد العلماء يبرهن بالأدلة العقلية على إمكانية اليوم الآخر بقوله : –

« يمكن أن نقيم الأدلة على اليوم الآخر بما يأتى :

الدليل الأول : إمكان اليوم الآخر ، فاليوم الآخر ممكن الوقوع ، والإشارات الدالة على ذلك هي :

١ – أن الإنسان والكون ليسا أبديين ، فالنهاية المروعة للعالم آتية عليه لا محالة فالإنسان يموت والكون يتلاشى ويفنى ، وهذا يعنى أن نظام الكون الموجود حاليا سيدمر ، وأن الذى نشاهده من معالم هذا النظام ما هو إلّا صورة مصغرة أولية ، سوف يتجلى عنها في صورة نهائية كبرى نلقاها غدًا في صورة الواقع .

٢ – يتألف الجسم الإنسانى من الخلايا ، وهى ذرات صغيرة جدا ومعقدة يزيد عددها فى جسم الإنسان على ألف مليون مليون خلية تبنى الجسم كما يبنى الجدار من الطابوق .

لكن بناء الجدار يبقى على حاله ، أما خلايا الجسم فإنها تتغير . فيموت منها (١٢٥) مليون خلية فى الثانية الواحدة ، ومعنى ذلك أن جسم الإنسان يموت ويحيا مرات كثيرة فى الحياة الدنيا ، ولكن مع ذلك فهو محتفظ بشخصيته المميزة وعاداته وأفكاره وعلمه وأمانيه وهو لا يحس بأن شيئا من أعضائه قد تغير .

ومثله فى ذلك مثل النهر الجارى الذى يتغير ماؤه دائما ، ومع ذلك فهو ذلك النهر بعينه ، فالذى يعيش خمسين سنة كان قد مات خمس مرات ، فإذا مات فى السادسة فكيف يمكن أن يجزم أنه مات على وجه اليقين ولا سبيل له إلى الحياة.

الدليل الثانى : البحوث المؤيدة لليوم الآخر : –

١ – البحث النفسى : سلم (فرويد) وعلماء النفس بصفة عامة بنظرية مقتضاها : إن كل ما يسيطر على بال الإنسان من الخير والشر ينقش فى صفحة اللاشعور فلا يزول إلى الأبد ، ولا يؤثر فيه تغير الزمان ، وتقلب الحدثان ، ويحدث هذا على رغم الارادة الإنسانية طوعا أو كرها .

والبحوث النفسية تؤكد أن الوجود الإنسانى الحقيقى هو فى " اللاشعور " لا يطرأ عليه الموت ، ولا تحمه قوانين الزمن ، أما الجسم المادى فهو فى تغير وتحطم وفناء فلا يعتبر وجوده وجودا حقيقيا ، وهذا يعنى أن الحياة الجارية لن تفنى أبدا ، بل ستستأنف مسيرتها بعد الموت وسوف نكون على قيد الحياة ، والموت لم يكن إلا نتيجة الحواجز والقوانين الزمنية ، ثم إن الأفكار التى تخطر على بالنا وننساها ثم نراها بعد فترة طويلة فى المنام أو نتكلم عليها فى حالات الهيستيريا أو الجنون ما هى إلا دليل على أن العقل أو الحافظة ليست تلك التى نشعر ونحس بها فقط وإنما هناك " اللاشعور " الذى يحفظ هذه الصور بكل جزئياتها ، وهو عالم مستقل بذاته ولا يفنى الحس المادى ، وهذا يؤكد على إمكان وجود سجل كامل لأعمال الإنسان وأقواله فى حياته يعرفه بعد أن يبدأ حياته الأخرى .

٢ – البحوث الروحية : أثبتت البحوث الروحية الحياة بعد الموت على المستوى التجريبي ، فمن خصائص الإنسان التي يتمتع بها من قديم الزمان (الرؤيا) ولكن الحقائق المثيرة التي اكتشفها " علماء النفس " اليوم كانت علمية عميقة ، لم يكن للقدماء علم بها ، والبحوث الروحية وهي فرع من علم النفس الحديث تهدف إلى الكشف عن ميزات الإنسان غير العادية ، وقد أقيمت لهذه البحوث معاهد كثيرة في العالم ، وأجريت تجارب واسعة النطاق على آلاف الناس وأثبتت هذه المعاهد أن الشخصية الإنسانية تواصل بقاءها بعد فناء الجسد المادي في صورة غريبة .

٣ – الشهادة التجريبية : والشهادة التجريبية التي تثبت الحياة بعد الموت هي حياتنا الأولى في حد ذاتها فتسليمنا بوقوع حادث في الحال وإنكاره في المستقبل ما هو إلّا عداء للمنطق والعقل ، وقد ذكر جميع العلماء بما فيهم " دارون " الذين حاولوا شرح الكون والحياة أنه لو هيئت الأحوال نفسها التي ساعدت في خلق الحياة الأولى فمن الممكن حدوث الحياة ولوازمها مرة أخرى »[1]

وعلى هذا فهناك توافق وعلاقة قوية بين البحوث الإنسانية وما توصلت إليه من نتائج وقوانين ونظريات ، وما جاء به القرآن الكريم من أخبار تتعلق باليوم الآخر وما يقع فيه من أحداث تشيب لها الولدان ، وهذه البحوث لم تأت من فراغ أو على غير أساس ، بل إن أساسها الأول والأخير هو ما جاء ذكره في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وما يؤيده العقل والواقع ، كما أنها جاءت من أعظم المفكرين والمحققين من علماء الإسلام العارفين بوجه خاص ومفكري الإنسانية وعلمائها بوجه عام ، هذه البحوث وأمثالها دليل قاطع على صدق أخبار الله تعالى وأخبار رسله عليهم الصلاة والسلام فيما يتعلق باليوم الآخر .

---

(١) وحيد الدين خان : الإسلام يتحدى ص ٧٢ وما بعدها ، ص ٩٣ .

وإن هذه البحوث الإنسانية – العقلية – قد تنوعت وتعددت كدليل على توافر صدقها وصوابها سواء كانت بحوثا تبرهن على إمكانية اليوم الآخر كحقيقة يقبلها كل عقل سليم ، ولا يجدفيها ما يحيلها أو يستبعدها .

أو كانت بحوثا نفسية تبرهن على أن الإنسان – أى إنسان – يحتفظ فى داخله بمجموعة من المعلومات أو المشاعر الإنسانية لأكبر فترة ممكنة من الزمن ، وقد أثبتت البحوث النفسية أن الوجود الإنسانى الحقيقى هو فى " اللاشعور " وأنه لا يموت ولا تحكمه قوانين الزمن ، أما الجسم المادى فعلى العكس من ذلك يموت ويتحلل إلى عناصره الأولى كما هو مقرر ، وأن الجسم لا يعبر عن حقيقة الوجود أوالما هية ، أما النفس أو الروح ، فهى تبقى ولا تموت بأمر " خالقها " سبحانه وتعالى كدليل على حقيقة الإنسان وإمكانية بعثه مرة أخرى ، ودليل على إمكانية اليوم الآخر ووقوعه

وهذا ما أثبتته التجارب الإنسانية التى من بينها مسألة الرؤيا وهى حقيقة واقعة يستطيع كل إنسان أن يشاهدها بنفسه ، وإذا لم يشاهدها بنفسه فإنه يسمع بها من غيره والسماع وسيلة من وسائل المعرفة الإنسانية .

وإن هذه البحوث والتجارب الإنسانية ما زالت تدرس فى أعظم المعاهد العلمية فى أنحاء العالم ويشرف عليها أعظم المفكرين والعلماء المحققين الذين يقومون بتحليل هذه النتائج وهذه الحقائق المثيرة التى كان اكتشافها والوقوف على بعض أسرارها بمثابة الصاعقة التى نزلت على عقول المنكرين والمكذبين باليوم الآخر أو المحاولين التشكيك فى إمكانية وقوعه ، كما أن الله تعالى يؤيد دينه وشرعه فى كل زمان ومكان ويهيىء لهما أناس يدافعون عنه ويبرهنون على صحته وصدق ما أخبر الله تعالى به ، وما أخبر به أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام ، كذلك هؤلاء المفكرين والعلماء المحققين تتمثل مهمتهم فى إجلاء أو توضيح ما خفى على بعض الناس من هذه القضايا السمعية الأخروية وربما نجد من بين هؤلاء العلماء والمفكرين من لا يؤمن بدين ، ولا

نبى ، ولا شريعة من الشرائع السماوية ولكنه يهتدى إلى الحق وإلى طريق الحق عن طريق العقل ، فمنهم من يؤمن بالله تعالى . وبما أخبر به فى كتبه وعلى ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام

ويدخل فى زمرة المؤمنين والمسلمين ، ويستغفر ربه عز وجل عما كان منه من قبل ، ومنهم من يستمر على سيرته الأولى من الضلال والإضلال بالرغم من وصوله إلى الحق وطريق الحق

وعلى كل فالحق ما شهدت به الأعداء ، وأن (الله) عز وجل يؤيد دينه وشرعه بالرجل الفاجر وبالعقل المهتدى بالنقل ، كما أن وصول هذه البحوث والتجارب الإنسانية إلى مثل هذه الحقائق والنتائج المثيرة دليل على عدم التعارض أو الاختلاف بين الحقائق والأخبار الإلهية ، وما تتوصل إليه البحوث والنتائج العقلية الإنسانية فغالبا ما تتوافق الأفكار الإنسانية مع الأخبار السمعية ، وهما يتحدان مع بعضهما البعض ويشكلان قوة ردع للمنكرين والمكذبين للأخبار الإلهية والبراهين العقلية

كما أن الإيمان باليوم الآخر وما يقع فيه من أحداث له أهمية بالغة فى حياة الفرد والجماعة ، وينعكس أثره بالإيجاب على الأفراد والجماعات وعلى شئون الحياة كما يدخر أثره بعد الممات وذلك بعد انتقال الفرد والجماعة من حياة أولى فانية إلى حياة أخرى باقية

ولعل هذا المعنى هو مايشير إليه أحد العلماء بقوله : –

١ – إن الله تعالى قد أتقن صنع الكون ، وأوجد فيه هذا الإنسان المخلوق العجيب الذى كرمه فى خلقه له فى أحسن الهيئات ومكّنه من الاستمتاع بما أودع فى هذه الأرض من كنوز وخيرات ، ووهبه العقل والسمع والبصر والفؤاد الذى يفقه به وينتفع به ، ويميز به بين الخير والشر ، وفضّله على كثير من مخلوقاته

وإذا كان الأمر كذلك فهل تكون نهاية هذا الإنسان الذى ركب الله عز وجل فيه من العلم والأمل والغرائز ، مالاتتسع لها هذه الحياة القصيرة الفانية ؟

وهل يمكن أن يستوى الإنسان مع سائر الحيوان فينتهى كما تنتهى سائر الحيوانات دون أن يكون له رجعة أخرى إلى الحياة .

٢ – ما نشاهده أيضا فى هذه الحياة من اختلاف أحوال الناس من حيث الصلاح والفساد والإيمان والكفر والهدى والضلال ، كما نرى مايجرى بينهم من الظلم والبغى والجور والعدوان ، وتسلط القوى على الضعيف والغنى على الفقير ولا نرى إطراد الجزاء حاصلا فى هذه الحياة الدنيا لكل إنسان على إحسانه أو إساءته ، لذلك كان من أعظم مظاهر العدل والحكمة أن يبعث الله تعالى الناس لحياة أخرى يجمعهم فيها ويحاسبهم ويجزيهم الجزاء الأوفى .

٣ – من أهمية الإيمان بالبعث – أيضا – أنه يقوم عليه صلاح حياة الناس فى الدنيا لأن إيمان الناس بأنهم سوف يُبعثون وُيجازون على أعمالهم من أعظم الدوافع على القيام بأعمال الخير والبر ، ونشر الفضيلة والرغبة فى الإحسان والإيثار لما يجده الإنسان من اليقين بأنه سيلاقى ثواب ما يقدمه عند الله تعالى كما يحمله ذلك أيضا على الصبر واحتمال الأذى والشدائد ، كما أن الإيمان بالبعث والجزاء مما يحمل على الكف عن اقتراب الشرور والأثام ، والكف عن البغى والظلم والفساد لما يعلمه الإنسان من أنه سوف يلقى ربه سبحانه وتعالى ويجده قد أحصى عليه كل صغيرة وكبيرة من أعماله وأنه لن يفلت من قبضته . وأن مرده إليه سبحانه وتعالى ،

وفى الإيمان باليوم الآخر عزاء لمن يناله أذى على يد ظالم أو باغ أو معتد فهو مطمئن إلى أنه سيقف مع خصمه بين يدى الله تعالى الذى سيحكم بين عباده بالعدل وينتصف للمظلوم من الظالم ،

أما عدم الإيمان باليوم الآخر فالحياة تتحول إلى خليط من الشـرور والمفاسـد والظلم والجور لا نهاية لها . [1]

هذا فيما يتعلق بإمكان وقوع اليوم الأخر والإشارة إلى الأدلة النقلية والبراهين العقلية على إمكانية وقوعه وأنه ليس هناك ما يحيل وقوعه نقليا أو عقليا.

وفى السطور التالية نبين - بمشيئة الله تعالى وتوفيقه - الحاجة إلى الإيمان باليوم الآخر فقد تعددت البراهين العقلية على حاجة الإيمان بهذا اليوم الموعود من عدة جوانب : -

١ - الجانب النفسى : إن أمل الإنسان وغايته فى الحصول على حياة مفضلة كريمة فى عالم حر مثالى مليء بالأفراح مستقل عن حدود هـذا العـالم - الدنيـوى - ومشاكله دليل نفسى قوى على الحاجة إلى وجود عالم آخر ، كالظمأ فهو يـدل على الماء وعلى علاقة خاصة باطنة بين الماء والإنسان .

وأن هذه العقيدة موجودة منذ أقدم العصور فلو كانت هذه العقيدة فاسـدة أو باطلة لما أثرت على الإنسانية بهذا التأثير الواضح وهذا هو شأن الأفكار أو العقائد الفاسدة والباطلة فسرعان ما تخفوا وتندثر ، وذلك لافتقارها إلى الأسس السليمة التى تقوم عليها ، أما الأفكار والعقائد الصحيحة فثابتة ومرتكزة علـى أسـس ودعائم سليمة وقوية مستمدة قوتها من الله تعالى أولا ثم من جميع العقـلاء فى كل زمان ومكان ثانيا .

٢ - الجانب الأخلاقى : فى هذا الجانب يتحلى - وبوضوح - تمييز فطرة الإنسان بـين الظلم والعدل والحق والباطل والصالح من الأشياء وفاسدها.

---

(١) د / حامد إسماعيل وآخرين : الثقافة الإسلامية ص ١٠٦ ، ١٠٧ باختصار .

هذه الفطرة الإنسانية كانت – وما زالت – من الأسباب الرئيسية فى تمييز أو تفضيل الإنسان عن غيره من مخلوقات كثيرة ، ورغم هذا فإن كثيرا من النـاس لا يحافظون على هذه النعمة الجليلة التى أعطاها الله تعالى لهم ، فنجدهم يقتلون أنفسهم ويعتدون على غيرهم ، والمستقرىء للتاريخ الإنسانى يستطيع أن يسجل ذلك بسهولة . ويلحظ هذه الصور المأساوية لبنى البشر ، ناهيك عما نشاهده أو نقرأه أو نسمعه فى وسائل الإعلام المنظورة والمقروءة والمسموعة من أحداث مشينة تقع فى أرجاء المعمورة لدرجة أنها تكاد أن تكون موجودة فى كل بقعة من بقاع المعمورة ،

بالإضافة إلى جرائم الخطف والاغتصاب والنهب وتلفيق التهم للبرآء وترويع الآمنين ، إلى غير ذلك من الصور المأساوية التى تقع لبنى الإنسانية ،

وإن دواعى العدالة والإنصاف فى الضمير الإنسانى تؤكد على أن هذا العالم -الدنيوى – ناقص فى حد ذاته ، وهذا النقص الذاتى لا بد من إتمامه أو إكماله وذلك عن طريق يوم آخر ، فيه يظهر الحق من الباطل والعدل من الظلم والخير من الشر ،

والقاضى والحاكم العادل فى هذا الأمر هو الله تعالى الذى ينتصف للمظلوم من الظالم وللحق من الباطل وللعدل من الظلم ،

وإن العقل السليم يقول : إن الله تعالى عادل ، وأنه لا يظلم الناس شيئا وأنه لا يترك الناس سدى دون حساب وثواب وعقاب ،

لذا فإن الله تعالى لا يسوى بين المطيع والعاصى والمظلوم والظالم والحق والباطل والخير والشر ،

فإذا لم يقتص للمظلوم وللحق وللخير من الظالم والباطل والشر فى الدنيا ، فإنه تعالى يفعل ذلك – رحمة وحكمة – فى الآخرة فى هذا اليوم الذى قال الله

تعالى فيه ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١)

ولكن الظلم محال على الله تعالى فقد حرّم الظلم على نفسه وعلى خلقه جميعا مع تأكيد جميع العقلاء على أن الله تعالى لا يجب عليه شيء نحو خلقه وإنما يفعل ما يفعل ويعطى من يعطى من باب الفضل والعدل ليس إلا.

وإن الإيمان باليوم الآخر يجعل رقابة الإنسان بوجه عام والمؤمن بوجه خاص من نفسه لنفسه ، ويتأكد عنده أن الدنيا ليست باقية وأنه ليس مخلدا فيها وأنها ما هى إلا قنطرة يعبر الإنسان عليها إلى الدار الآخرة الباقية والخالدة.

وصدق الله العظيم فى قرآنه الكريم وهو يشير إلى هذا المعنى بقوله تعالى :
﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (٢)

وقد قرن الله تعالى فى قرآنه الكريم طاعته وتقواه بالإيمان باليوم الآخر وأن السبب الأول فى تقوى الإنسان هو التصديق بأنه يقف يوما ما أمام الله تعالى ليحاسبه على ما قدم وما أخر.

كما أن التكذيب بهذا اليوم الآخر يكون سببا مباشرا فى عدم تقوى الإنسان كذلك.

---

(١) سورة النحل : الآية ١١١ .

(٢) سورة الحديد : الآية ٢٠ .

وهذه نتيجة منطقية سليمة فإن الجزاء من جنس العمل، فالعمل الصالح ينعكس أثره بالإيجاب على صاحبه ، كما أن العمل السيىء يرتد أثره بالسلب على صاحبه كذلك فى الدنيا والآخرة ؛

ولعل هذا المعنى هو مايشير الله تعالى إليه بقوله عز من قائل :

﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ﴾ (١)

وقد حرص القرآن الكريم على ترسيخ عقيدة الإيمان باليوم الآخر فى قلب وعقل الإنسان وجعل الإيمان به فيه الخير والهدى والسعادة فى الدنيا والآخرة ، أما عدم الإيمان به ففيه الشر وهذا ما يشير الله تعالى إليه بقوله عز وجل :

﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

وبقوله عز وجل كذلك :

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (٣)

٣ – السلوك : فى هذا الجانب يتجلى كيفية إجبار الإنسان على سلوك طريق الحق فقد يحقق الإنسان ما عهد إليه من أمور خشية العقاب الذى ينتظره إن لم يقم بواجبه على الوجه المراد ، ولكن ما الذى يدفع المتمتع بالسلطة إلى تحقيق العدل ومن يقمع إنحراف الإنسان إن لم يجد له رادعا أو كان فى غفلة عن أعين أولى الأمر إن مارس الظلم أو التزوير أو استغلال النفوذ ؛

---

(١) سورة النساء : الأية ٨٥ .

(٢) سورة العنكبوت : الأية ٦٤ .

(٣) سورة الأعلى : الآيتان ١٦ ، ١٧ .

الحق إن هذا الانحراف والسلوك الإنسانى غير السوى لا يقمعه سوى الدافع المنبعث من نفس الإنسان ذاته أى ضميره الحى ، وأن هذا لا يأتى للإنسان إلا فى ظل إيمانه باليوم الآخر لأنه فى هذه الحالة يشعر أن الله تعالى يراقبه أينما كان وأنه عليم به أينما حل أو ارتحل وأنه لا يخفى عليه من أمره ولا من أمر غيره شىء ، وأنه تعالى سوف يخبره بما قال وبما فعل ويجازيه عليه إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وهذا ما يشير الله تعالى إليه بقوله عز وجل :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١)

وفى هذا المعنى قال العالم (فولتير) : إن أهمية الإله والحياة الآخرة عظيمة جدا حيث أنهما أساسان لإقامة المبادىء الأخلاقية ، وأن هذه العقيدة وحدها كفيلة بإيجاد إطار أخلاقى أفضل للمجتمع ، ولو أن هذه العقيدة زالت فلن نجد دافعا للعمل الطيب وسيترتب على ذلك انهيار النظام الإجتماعى ،

لذا فالحاجة الملحة إلى الإيمان باليوم الآخر لتنظيم الحياة الدنيوية وإقامتها على أسس عادلة حقيقية هى فى حد ذاتها تأكيد بأن اليوم الآخر من كبريات حقائق الكون وهذا دليل منطقى سليم على حاجة وأحقية الإيمان به وبما يقع من أحداث تشيب لها الولدان .

---

(١) سورة المجادلة : الأية ٧ .

٤ – الضرورة الكونية : فى هذا الجانب تتأكد العلاقة القوية بـــين الإلـــه تعـــالى والإنسان لأن العقل السليم يحيل أو يستنكر أن يكون هناك إله ليس له علاقة أو علم بما يقع فى هذا الكون العجيب الذى صنعه الله تعالى الواحد الأحد ،

وهذه العلاقة والتدبير الإلهى لأمور هذا الكون تتباين من شخص لآخر ومن طبقة لأخرى ومن مجتمع لآخر ، فهى تتباين قوة وضعفا صدقا وتكذيبا وهذا حالها فى حياتنا الدنيا حيث سيعلم الجميع صدق ما كذبوا به ويقين ما شـــككوا فيـــه وسيظهر للجميع ما خفى على بعضهم فى الدنيا ، ولعل هذا المعنى هو ما يشـــير الله تعالى إليه بقوله عز من قائل :

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَـوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (١)

فهل يجد الملحدون – ومن على شاكلتهم – فرصة للتكذيـــب والإنكـــار بعـــد المشاهدة والوقوف بأنفسهم على ما كذبوا به فى الدنيا ، وكل عقل سليم يقول: أنهم لا يملكون سوى التصديق والاذعان والإقرار على أنفسهم بالويل والثبور. (٢)

وغنى عن البيان أن الدليل العقلى يمثل بجانب الدليل النقلـــى أو الســـمعى قـــوة وتأكيدا لما أُخبرنا به من قضايا سمعية أخروية ومثيلاتها مما يتعلق بالمسائل الإلهية ،

مع الإشارة إلى أن الدليل النقلى هو المقدّم وهو الأمثل لكل العقول بعكس الدليل العقلى ، ولأن الدليل النقلى يخاطب الفطرة السليمة التى لم تتلوث بســموم المذاهب والتيارات الإلحادية أو المعادية البعيدة عن تعاليم الإسلام قلبا وقالبـــا وإذا ما تعارض الدليل العقلى مع الدليل النقلىفالخطأ فى هذه الحالة يكون فى الدليـــل

---

(١) سورة آل عمران آية : ٣٠ .

(٢) الأستاذ وحيد الدين خان : الإسلام يتحدى ص ٨٢ وما بعدها بتصرف .

العقلى وليس الدليل السمعى ، وهذا مذهب (جمهور المسلمين) من أهل السنة والجماعة ، خلافا لما تزعمه بعض الطوائف أو المذاهب المخالفة أمثال بعض (المعتزلة) و (الفلاسفة) ومن حذا حذوهما فهؤلاء يزعمون أن الدليل العقلى مقدم على الدليل النقلى وأنهم يقدسون العقل وما يتوصل إليه من نتائج أكثر مما يقدسون الدليل النقلى ؟

ومنهم من يقول إن الدليل النقلى إذا توافق مع الدليل العقلى أخذنا به وإذا لم يتوافق معه لم نأخذ به ؟

وما يقوله هؤلاء وأولئك ضلال وفساد لأنه مخالف لما عليه جمهور أهل السنة والجماعة الذين أجمعوا على أولوية مصادر التشريع الإسلامى فقد رتبوها هكذا :

١ – القرآن الكريم . ٢ – السنة النبوية .

٣ – الإجماع . ٤ – القياس .

٥ – الأستصحاب . ٦ – المصالح المرسلة .

بالإضافة إلى هذا فإن مذهب أهل السنة والجماعة يقول ان الدليل العقلى إذا تعارض مع الدليل النقلى فالخطأ – فى هذه الحالة – فى الدليل العقلى وليس فى الدليل النقلى لأنه لا يمكن أن تكذب الأدلة النقلية أبدا أما الأدلة العقلية فليست بمأمن من الخطأ فكما تصيب فهى تخطىء كذلك ؟

وقد برهن أئمة الإسلام على تأكيد هذا المعنى مشيرين إلى صدق وشمولية الأدلة النقلية ومناسبتها لجميع المستويات العقلية .

ولكن الأدلة العقلية نتائجها نسبية وظنية فى معظم الأحيان وعندما تكون يقينية فهذا راجع إلى إهتدائها بالأدلة النقلية ولولا ذلك لبقيت نتائجها ظنية تتساوى درجة صحتها مع درجة خطؤها.

وفى هذا المعنى قال أحد أئمة الإسلام مبينا الفرق بين الأدلة النقلية والأدلة العقلية : - " فأدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع بها كل إنسان ، وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر به الأكثرون ، بل أدلة القرآن كالماء الذى ينتفع به الصبى الرضيع والرجل القوى ، وسائر الأدلة كالأطعمة التى ينتفع بها الأقوياء مرة ويمرضون بها أخرى ولا ينتفع بها الصبيان أصلا "

ولهذا قلنا إن أدلة القرآن أيضا ينبغى أن يصغى إليها إصغاء إلى كلام جلى ولا يمارى فيها إلّا مِراءًاظاهرا ولا يكلف نفسه تدقيق الفكر وتحقيق النظر ، فمن الجلى أن من قدر على الإبتداء فهو على الإعادة أقدر كما قال :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١)

وأن التدبير لا ينتظم فى دار واحدة بمدبرين فكيف ينتظم فى كل العالم وأن من خلق علم كما قال تعالى ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٢)

فهذه الأدلة تجرى للعوام مجرى الماء الذى جعل الله منه كل شىء حى ، وما أخذه المتكلمون وراء ذلك من تنقير وسؤال وتوجيه إشكال ثم اشتغال بحله فهو بدعة وضرره فى حق أكثر الخلق ظاهر فهو الذى ينبغى أن يتوقى والدليل على تضرر الخلق به المشاهدة والعيان والتجربة وما ثار من الشر منذ نبغ المتكلمون وفشت صناعة الكلام مع سلامة العصر الأول من الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – عن مثل ذلك "

(١) سورة الروم : جزء من الأية ٢٧ .

(٢) سورة الملك : الأية ١٤ .

ويدل عليه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة بأجمعهم ما سلكوا فى المحاجة مسلك المتكلمين فى تقسيماتهم وتدقيقاتهم لا لعجز منهم عن ذلك فلو علموا أن ذلك نافع لأطنبوا فيه ولخاضوا فى تحرير الأدلة خوضا يزيد على خوضهم فى مسائل الفرائض »(1)

لذا فالمؤمن والمؤمنة عليهما واجبان أساسيان هما الامتثال والإتباع أى الامتثال لما جاء فى كتاب الله ، تعالى ، وسنة رسوله الآمين سيدنا : محمد ، صلى الله عليه وسلم ،

والإتباع لما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين بعدم خوضهم فى المسائل الإلهية والقضايا السمعية دون دليل من كتاب أو سنة ، مخالفين بهذا جميع المذاهب التى استحسنت الخوض فى هذه الأمور معتمدين على عقولهم وأهوائهم فضلّوا وأضلوا ، وقد أشار أحد العلماء إلى وجوب الإلتزام بالأدلة النقلية وتقديمها على الأدلة العقلية فقال : -

قال تعالى : - ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ .(2)

وقال تعالى : - ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾ .(3)

---

(١) الإمام الغزالى : القصور العوالى ج٢ ص ٨٨ و ٨٩ .

(٢) سورة الكهف : الأيات ١٠٣ ، ١٠٥ .

(٣) سورة النحل : الآيتان ٣٨ ، ٣٩ .

إلى غير ذلك من النصوص الواردة فى ذلك كله ولقوم عصرنا من هذا الأعتقاد الجاهلى حظ وافر ونصيب كامل " ومن يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون " (١)

كذلك فإن الإسلام دين الفطرة وأنظمته جميعا بدون استثناء متوافقة مع الفطرة الإنسانية التى فطر الله تعالى الناس عليها ونعنى بالفطرة جملة رغبات وميول وغرائز وحاجات روحية وعقلية وجسدية لا تقوم الحياة الإنسانية بدون إرضائها والتوافق معها .

وقد جاء الإسلام ملبيا لهذه الرغبات الإنسانية سواء الجسدية منها أو الروحية الدينية والدنيوية دون إفراط أو تفريط »(٢)

وهكذا توافق العقل مع النقل فى تأكيد إمكانية وقوع اليوم الآخر كدليل على صدق أخبار الله تعالى فى كتبه المقدسة وعلى ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام ليهلك من هلك عن بينة ويحى من حى عن بينة ولا يظلم الله تعالى الناس شيئا .

---

(١) الإمام محمد عبد الوهاب : مسائل الجاهلية ص ٧٤ ، ٧٥ .
(٢) د / منير البياتى : النظم الإسلامية ص ١٩ بتصرف .

الفصل الثانـــــى

اليـــــوم الآخـــــر

فى

الأفكـــار غير الإسلاميـــــة

بعد أن ثبت – فى الفصل السابق – أن اليوم الآخر من الأمور الممكنة الوقوع عقلا والثابتة نقلا بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية وأنه من الأمور الضرورية للفصل بين الخلائق لإثابة المطيعين وعقاب العاصين .

وهذا ما أجمع عليه جميع العقلاء خلافا لشرذمة قليلون فى كل عصر ومصر أنكروا وقوع ذلك اليوم الموعود وهؤلاء لا يعبأ بقولهم ولا اعتقادهم لأنهم مخالفين للفطرة الإنسانية السليمة ، ومخالفين لإجماع أهل الحق فى كل زمان ومكان ومخالفين للنصوص النقلية المؤكدة على وقوع ذلك اليوم المشهود .

وفى هذا الفصل – بمشيئة الله وتوفيقه – نعرض للأفكار أو المذاهب غير الإسلامية فى هذا اليوم المعلوم ذاكرين عدة مذاهب متباينة منهجا وثقافة وزمانا ومكانا لنرى مدى ما بينها من وجوه اتفاق واختلاف وما بينها وبين الفكر الإسلامي من اتفاق وتباين كذلك ، وسوف نقف مع هذه المذاهب والأفكار التالية :

١ – حضارة وادى الرافدين .
٢ – المصريين القدماء .
٣ – الديانة الزرادشتية .
٤ – الإغريق القدماء .
٥ – الرومان .
٦ – الهندوس .
٧ – اليهود .
٨ – الصابئة .
٩ – النصارى .

وإليك أيها القارىء الكريم بيان ذلك : –

أولا : اليوم الآخر فى حضارة وادى الرافدين

والبداية تكون مع موقف حضارة وادى الرافدين أو العراقيين القدماء من اليوم الآخر ، وبعد الوقوف على بعض نصوصهم الواردة فى هذه القضية تبين أنهم لا يعتقدون بوقوع ذلك اليوم بل لا يعتقدون بقيامتهم من قبورهم وبعثهم مرة أخرى للعرض والحساب ، وهذا ما أشار إليه أحد العلماء بقوله : -

«لم يوجد دليل من النصوص المسمارية يثبت أن العراقيين القدماء يعتقدون بقيامتهم وبعثهم من الموت وليس هناك ما يثبت إمكانية عودة روح الميت " الأطمو " إلى جسده ، وأن هذا المعنى نجده واضحا على لسان " كلكاش " حين يندب صديقه " أنكيدو " فيقول " آه لقد غدا صاحبى الذى أحببت ترابا وأنا سأضع مثله فلا أقوم أبد الآبدين "

أما من حيث تتحدث النصوص المسمارية القديمة عن عودتها إلى عالم الأحياء فإنها تقصد عودتها بهيئة أشباح مستقلة عن الجسد »(1)

هذا هو موقف العراقيين القدماء من البعث الأخروى وقيام الناس من قبورهم وكيف أنهم ينكرون ذلك كما تبين من نصوصهم الواردة بهذا الشأن ، ولكن إذا كان هذا موقفهم من البعث فهل موقفهم من الحساب هو نفس الموقف السلبى -الفاسد - أم أنه يختلف عنه ؟

وندع أحد العلماء المتخصصين يجيبنا عن هذا السؤال قائلا : -

---

(1) راجع د/ نائل عليوى : عقائد ما بعد الموت ص ١٣ - ١٦ باختصار ، طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ج ١ ص ٢٣١ ، د/ رشدى عليان وسعدون الساموك : الأديان ص ٧٠ ، ٧١ .

" ذهب الأستاذ هايدل وكريمر وبعض الباحثين إلى أن هناك إشارات واضحة في النصوص المسمارية القديمة تدل على إعتقادهم بفكرة الحساب فى عقائد ما بعد الموت فى العراق القديم ، كما يعتقد المصريون القدماء

لكن بعد النظر فى ما أورده من إشارات فى النصوص المسمارية رجّح الباحثون إنتفاء إعتقادهم بوجود حساب للموتى فى عالم الأموات وبالتالى إنتفاء وجوب عقاب أو ثواب فى ذلك العالم ، وكان سكان وادى الرافدين القدماء يعتقدون أن الخطيئة قديمة بقدم الإنسان يتعرض لإرتكابها دائما بقصد أو بدون قصد منه ، وارتكاب أى خطيئة ينجم عنه أضرار جسيمة تتجلى فى أمرين : -

١ - تخلى الآلهة عنه فيقع عندئذ فريسة للمصائب والكوارث والأمراض وتلاشى السكينة والهناء ، ويصف الملك " أشوزبانيبال " الأحوال المتردية فى دولته أنها عقاب تقرر عليه فيقول:لماذا يحيط بى المرض وعذاب القلب والشقاء والألم ، فى البلاد تنتشر الاضطرابات ، وفى البيت تحاك الدسائس إنها تلازمنى باستمرار الكوارث والكلمات الشريرة تتجمع ضدى ، لقد حنا مرض القلب ومرض الجسد قامتى ، أصبح الموت نهايتى إننى أتعذب بالقلق والحزن فأقضى النهار والليل ، ندبت أيها " الإله " سلط هذه على الذى لا يخاف الآلهة ودعنى أرى نورك أيها " الإله " لم قررت كل هذا علىّ ؟ إننى أتعذب كمن لا يخاف الآلهة .

٢ - تقصير أجل الحياة وإحلال الموت بالمذنب عقابا له على ما أرتكب من خطيئة يدل على ذلك ما ورد من نصوص مسمارية مثل :

إذا قال شخص ما فى المستقبل بأن الحقل لم يوهب فعسى " الآلهة " أنو ، وأنليل ، وإيا ، وننا ، وشمس ، ومردوخ ، ونسكو ، وسدرننا ، ونركال ، ولازر ، أن يستأصلوه من أساسه ويمحوا ذريته عساهم أن ينهوا أمره وأن يقرروا بأن لا يبقى حيا يوما واحدا ؟

كما ورد معنى هاتين العقوبتين فيما سطّره " حمورابى " فى آخر شـريعته مـن الدعوات على كل من يتجاهل أحكام شريعته ، أو يمحو القوانين المشرعة فيها أو يمحو اسم سحمورابى ، ليكتب إسمه بدلا عنه أو يأمر شخصا آخر للقيام بذلك "[1]

وإذا كان هذا مصير المذنب أوالعاصى فى الفكر العراقى القديم فما جزاء المطيع والمثيب عندهم ؟ وقد أجاب أحد العلماء على هذا السؤال بقوله : –

" وعلى عكس ما تقدم فإن الثواب وهو صفاء العيش وطول العمر يلحق مـن يفعل الفضيلة والحسنات والأعمال الورعة كالخوف من الآلهة وتقديم القوانين وبنـاء المعابد ووضع التماثيل للآلهة ؟

يتجلى هذا فى نص مسمارى يقول : إن الخوف من الآلهة مدعاة للعطـف وإن القرابين تطيل العمر إن من يخاف الآلهة يطيل الإله الأنوماكى عمره ؟

ويقول سرجون الثانى (٧٢١ – ٧٠٥ ق . م) لحفظ راحتى وإطالة أيـامى واستقرار حكمى ، أركع على الدوام بنفسى فى العبادة "[2]

وإذا أرجعنا النظر إلى موقف العراقيين القدماء أو سكان وادى الرافديـن مـن قضية الحساب الأخروى تبين لنا أمرين : –

أولهما : ان بعض العلماء عندما نظر فى النصوص المسمارية الواردة عنهم بشأن هذه القضية خرج بنتيجة مفادها أن العراقيين القدماء يعتقدون بوجـود حسـاب فى الآخرة أى ثواب للمطيعين وعقاب للعاصين .

ثانيهما: ان البعض الآخر عندما دقق النظر فى النصوص المسمارية الواردة عـن العراقيين القدماء بشأن هذه القضية خرج بنتيجة مغايرة لما قبلها بمعنى أنهم رجحـوا جانب النفى على جانب الإثبات ، وأن العراقيين القدماء لا يؤمنون بوجود حساب فى

---

(١) د / نائل عليوى : عقائد ما بعد الموت ص ١٣٢ – ١٤٠ باختصار وتصرف .

(٢) د / نائل عليوى : عقائد ما بعد الموت ص ١٤٢ – ١٤٣ باختصار وتصرف .

الآخرة أى لا ثواب للمطيع ولا عقاب للعاصى ، وإنما الحساب أو الثواب والعقاب يتم فى الدنيا فقط وليس فى الآخرة ،

وقد عللوا مذهبهم – الفاسد – هذا بأن من يخطىء ويرتكب رذيلة من الرذائل فإن عقابه يكون بأحد أمرين : –

١ – إما تخلى الآلهة عنه وإذا ما تخلت الآلهة عنه فإن الأمراض والكوارث والمصائب تأتيه من كل مكان كعقاب له .

٢ – وإما قصر عمر الإنسان الذى يذنب ويخالف الآلهة وأن الموت يعجل به سريعا كنوع من العقاب كذلك ،

ولعل القارىء الكريم يلحظ أن العراقيين القدماء أو سكان وادى الرافدين يقولون بتعدد الآلهة أى أن " الآله " ليس واحدا – عندهم – وإنما هناك آلهة عدة ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، وهذا هو السبب المباشر فى ضلالهم وإضلالهم وفسادهم وإفسادهم ومخالفتهم لكل ما هو منقول ومعقول ، وأنهم يعتقدون أن طول العمر أو قصره يرجع إلى طاعة الإنسان أو عصيانه ، أى أن الإنسان المطيع – عندهم – يطول عمره ويعيش مدة طويلة بعكس الإنسان المذنب فإن الموت والكوارث تحل به وتعجل برحيله من الدنيا ،

وهذه مخالفة أخرى لا يؤيدها نقل صحيح ولا عقل سليم فلو كانوا يعتقدون – كما يعتقد سائر العقلاء – بإله واحد فرد صمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد لقالوا إن الطاعة والمعصية لا دخل لهما فى إطالة العمر أو تقصيره ، وإنما العمر مقدّر فى علم الله تعالى الأزلى قبل أن يوجد الإنسان على ظهر الأرض ، وهناك الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تؤكد على هذه الحقيقة ، خلافا لما يزعمه العراقيين القدماء ، وحسبنا منها : –

١ – قول الله تعالى : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ (١)

٢ – قول الله تعالى ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا ﴾ (٢)

وقد أكد أحد العلماء موقف العراقيين القدماء من موضوع الحساب الاخروى مشيرا إلى أنهم لا يؤمنون بالثواب والعقاب الأخروى للمطيع والعاصى قائلا : –

" وعلى هذا فإن عالم الأحياء فى نظرهم هو دار الثواب والعقاب وليس عالم الأموات يدل على ذلك أن عقيدة العقاب والثواب بعد الموت تمثل الوازع النفسى فى تصرفات الإنسان وفى لحظات اختياره ما بين ما يريد أن يفعله وبين ما يجب أن يمتنع عنه وعقيدة سكان وادى الرافدين هذه قد جعلتهم عزلا من أى ضمان بانهزام الشر وإنصاف المظلومين وثواب الخيرين فى الحياة الأخرى فى العالم الأسفل لذلك حملت الحياة من ظل حضارة وادى الرافدين بكل أدوارها شحنات من القلق والتوتر والتساؤلات اليائسة ، إضافة إلى نوع من الشعور بالإحباط " (٣) .

وأخيرا نلفت الأنظار إلى أن العراقيين القدماء يعتقدون أن الإنسان مجبر فى جميع أفعاله ، أى أنه – عندهم – مجبر على فعل الذنب أو الخطيئة ويعللون اعتقادهم هذا بأن الخطيئة قديمة بقدم الإنسان لذا فإن الإنسان لا دخل له فى اختيار أو ترك ، ولا يخفى على كل ذى لب سليم فساد هذا القول العراقى القديم لأنه مخالف للنصوص

---

(١) سورة النحل الآية : ٦١ .

(٢) سورة فاطر الآية : ٤٥ .

(٣) د / نائل عليوى : عقائد ما بعد الموت ص ١٤٤ – ١٤٦ .

النقلية والبراهين العقلية ومخالف لإجماع أهل الحق الذين فرقوا بين الإرادة الإلهية والأمر والرضى والمحبة ،

بمعنى أن الله تعالى أراد كل شيء خيرا أو شرا طاعة أو معصية ، إيمانا أو كفرا ، ولكنه تعالى لا يأمر بالمعصية ولا بالفحشاء والمنكر ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب المعاصي من عباده بعكس الإيمان والطاعة والخير فهو تعالى يحبها ويرضاها ويأمر بها

وقد أشار أحد علماء الإسلام إلى هذا المعنى بقوله : -

" اما أهل السنة فيقولون إن الله وإن كان يريد المعاصي قدرا فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها وهذا قول السلف قاطبة فيقولون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن " (١)

وعلى هذا فإن موقف سكان وادى الرافدين أو العراقيين القدماء من موضوع الحساب أو الثواب والعقاب الأخروى باطل وفاسد من جميع الوجوه ، سواء ما يتعلق بجعلهم الاله تعالى أكثر من إله ، أو بقولهم أن الطاعة تزيد من عمر الإنسان والمعصية تنقص من عمره ، أو اعتقادهم أن الإنسان مجبر فى جميع أفعاله وليس له اختيار فى شيء منها ويجعلونه كالريشة المعلقة فى الهواء تعصف بها الريح فى أى مكان شاءت هى لا هو ، وكأن الضلال والإضلال والفساد والإفساد يتوارثه لاحقهم عن سابقهم ، فما أسوأ هذا الفكر وهذا التخبط وإنهم سيحملون أوزارهم وأوزارا مع أوزارهم ويسألهم ربهم عز وجل عن أقوالهم وأفعالهم فى هذا اليوم الذى كذبوا به .

---

(١) ابن أبي العز الحنفى : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٣ ، ١١٤ .

ثانيا : اليوم الآخر عند المصريين القدماء

بعد أن عرفنا موقف العراقيين القدماء من الحساب أو الثواب والعقاب وكيف أنهم يقصرونه فى الحياة الدنيا فقط وينكرون وقوعه فى الآخرة نأتى لموقف المصريين القدماء لنعرف رأيهم فى هذه القضية الهامة وبعد الاطلاع على بعض النصوص الواردة عنهم بشأن هذه القضية تبين : -

أن المصريين القدماء حوالى سنة (٢٦٠٠ ق . م) أو قبل ذلك بقليل يعتقدون أن هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا ، فيها يجازى الله تعالى الناس على ما قدموا من خير أو شر .

أى أنهم يؤمنون بثواب المطيع وعقاب العاصى من قبل الله عز وجل ، وهذا الاعتقاد لم يكن مقصورا على طبقة دون طبقة أو فئة دون سواها وإنما كان شاملا لطبقة " الكهان " ومن سواهم من الأوساط الشعبية البسيطة كذلك .

وفى ذلك الوقت أخذت عبادة " أوزريس " تنتشر بين الناس وصارت عبادة شعبية ، وتقدم عبادة " أوزريس " على أساس أن كل إنسان - سواء كان ملكا أو فردا عاديا - مسئولا بعد موته عن أعماله التى عملها فى حياته الدنيا وحسابه عليها يكون أمام محكمة إلهية عادلة يتولى القضاء فيها " أوزريس " ويساعده فيها " توت " إله الحكمة والعدل و " أنوبيس " مدير دفن الأموات ودليلهم فى الدار الآخرة و " حوريس " وهو ابن " أوزريس " و " إيزيس " و " معات " آلهة الحقيقة والعدل ، وإثنان وأربعون قاضيا ، فإذا حكمت المحكمة أن حسنات الميت تزيد على سيئاته كوفىء بالنعيم الخالد وصار مثل " أوزريس " .

أما إذا حكمت المحكمة بأنه أساء فى حياته فجزاؤه أن يفترسه الوحش أو أن يلقى فى النار ، أو أن يضرب عليه نوعا آخر من أنواع العذاب .

وقد بين أحد العلماء موقف المصريين القدماء من الحساب بشىء من التفصيل فقال :

" كانوا يجسمون هذه المحاسبة فيضعون له فى كتاب الموتى وعلى التوابيت رسم محكمة ومحاكمة وميزان ، وفى هذه المحكمة يجلس أوزريس على عرشه حاملا عصاه وكرباجه ومعه إثنان وأربعون قاضيا من الآلهة – ونشير إلى أن مصر فى ذلك الوقت كانت مقسمة إلى إثنين وأربعون إقليما ، فكان كل قاضى يمثل إقليما من الأقاليم – فإذا جىء بالميت تسلمه " أنوبيس " وأخذ قلبه فوضعه فى إحدى كفتى ميزان ووضع الكفة الأخرى تمثال الآلهة " معات " أو ريشتها ، ثم وقف الإله " توت " بجانب الميزان وفى يده اليمنى قلم وفى يده اليسرى سجل يدون فيه نتيجة الميزان ثم يرفعها إلى أوزريس ويقف بالقرب من " توت " الوحش " أما بيت " وهو وحش له رأس تمساح وجسم أسد – متأهبا لأن يلتهم الميت الذى يصدر الحكم بالتهامه "

وفى بعض الرسوم تضاف نيران إلى المحكمة فى مكان خاص منها ليلقى فيها المذنبون ، والقلب فى الميزان يمثل أعمال الميت فى حياته وهو الذى يشهد بكل ما فعله صاحبه من خير أو شر "

ثم يثبت نص قصة مصرية قديمة عثر عليها المصور " لوجى جريفت " فى ورقة بردى وهى فى المتحف البريطانى تصف رحلة قام بها فتى إسمه " سينوزيرس " مع أبيه " ساتنى " ليطلعه على طريقة الحساب والثواب والعقاب فى العالم الآخر "

وهى تدل على أن الحساب لا علاقة له بالغنى والفقر ويصف فيها نزولهم إلى دار محاسبة الأموات فيدخلان سبع قاعات واسعة مملوءة بالناس من جميع الطبقات "

فشاهدا أناسا تأكل الحمير من خلفهم ، وأناسا يثبون إلى طعام معلق فوق رؤسهم فلا يدركونه بينما الحفارون يحفرون تحت أقدامهم ليزدادوا بعدا عن الطعام المعلق "

وشاهدا رجلا منطرحا تحت الباب على ظهره ومحور هذا الباب تركز فى عينه اليمنى يدور عليها كلما فتح أقفل وهو لا ينفك يفتح ويقفل والرجل يصيح من الألم ،

ثم وجد أرواحا من الأبرار لكل منها مكان تقيم فيه ، وجاء تصوير الخير والشر الذى يترتب الجزاء عليهما على لسان أحد الموتى فى خطاب وجهه إلى " أوزريس " للدفاع فى النص الموجود فى كتاب " الموتى " يقول لقد جئت إليك أجلب الحقيقة وأطرد الخطيئة ، إننى لم أقارف الشر ، و لم أعتد ، و لم أسرق ، و لم أقتل غدرا و لم أمس القرابين ، و لم أكذب ، و لم أسل دموع أحد ، و لم أتدنس ، و لم أذبح الحيوانات المقدسة ، و لم أتلف أرضا مزروعة ، و لم أقذف ، و لم أترك الغضب يخرجنى إلى غير الحق ، و لم أزن ، و لم أرفض أن أسمع كلمة العدل ، و لم أسىء الظن بالملك ولا بأبى ، و لم ألوث الماء ، و لم أحل سيدا على أن يسىء إلى عبده ، و لم أحلف كاذبا ، و لم أغش فى الميزان ، و لم أمنع اللبن عن أفواه الرضع ، و لم أصد طيور الآلهة ، و لم أرد ماء إلا حين الحاجة إليه ، و لم أسد قناة رى على غيرى ، و لم أطفىء نارا يجب أن تشتعل ، و لم يخطر على بالى أن أستخف بالآلهة ، إننى طاهر طاهر " (1).

هذا هو موقف " المصريين القدماء " من حساب العاصين أو المخطئين وعقابهم ومحاكمتهم أمام محكمة إلهية عادلة لا تظلم ولا تجور بل تسوى بين الحاكم والمحكوم ، والسيد والعبد فى الثواب والعقاب ، فالجميع تحت حكم المحكمة سواء ، وهذا قمة العدل والإنصاف ،

أما عقيدة " المصريين القدماء " فى ثواب المطيعين وجزاؤهم الجزاء الأوفى ، فيتمثل فى : الصعود إلى السماء بعد رحلة مليئة بالمخاطر وذلك للاقامة مع " الآلهة " أو مع الإله "رع " فى سفينته ، وهؤلاء يسمون الممجدين ، ويقيمون فى حقل الطعام يتناولون أطعمة شهية مختلفة اللون والطعم والشكل تتجدد ولا تنفذ ، وصحتهم تزداد حسنا يوما بعد يوم ، فيومهم أحسن من أمسهم ، وغدهم أحسن من يومهم ، كما أن

---

(1) راجع : / رشدى عليان وسعدون الساموك : الأديان ص ٦٠ باختصار وتصرف ،الأستاذ / سيد قطب ، مشاهد القيامة فى القرآن ص ١٢ وما بعدها .

السماء " نوت " والثعبان الذى يحمى الشمس يعطيان الصاعد إلى السماء عند وصوله إليه ثدييهما ليرضع منهما فمتى رضع عاد صبيا . [1]

هذا فيما يتعلق بعقيدة وموقف " المصريين القدماء " من البعث والحساب والثواب والعقاب ، وكيف تباين موقفهم عن موقف سلفهم – العراقيين القدماء – فى هذه القضايا الهامة ؟

فالعراقيين القدماء ينكرون البعث الأخروى ويقصرون الحساب أو الثواب للمطيعين ، والعقاب للعاصين على الحياة الدنيا فقط ولا يؤمنون بهما فى الحياة الآخرة

أما المصريين القدماء فإنهم يعتقدون بثواب المطيعين وعقاب العاصين فى الحياة الآخرة لا فى الدنيا ؟

كما أن العراقيين القدماء يؤمنون بأكثر من " إله " لهذا العالم ، أى أنهم يشركون مع " الله " تعالى آلهة أخرى؟ أما المصريين القدماء فإن عقيدتهم يغلب عليها التوحيد أكثر من التعدد ؟

وهذا ما نأخذه من النصوص الواردة عنهم والمتعلقة بكيفية الحساب فى الآخرة كما أننا نلحظ تمسكهم بكل الفضائل وتحذيرهم من جميع الرذائل ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على توافقهم مع روح الشرائع السماوية ؟

كما نلحظ تطبيق مبدأ المساواة بين الناس فى الحساب أو المحاكمة فلا فرق بين " كاهن " أو فرد عادى ؟ وهذا من الأمور الحسنة فى هذه العقيدة المصرية القديمة لأن العدل إذا عم وانتشر بين الناس فإننا لا نجد ظالما ومظلوما ، ومعتديا ومعتدى عليه ،

---

(١) راجع الأستاذ / سيد قطب : مشاهد القيامة فى القرآن ص ٥٨ باختصار وتصرف ، د / رشدى عليان : الأديان ص ٥٨ ، طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ج ٢ ص ٩٦ – ١٠٠ .

وقويا وضعيفا ، وسارقا ومسروقا وهكذا ، كما يعيش الجميع فى ظل هذا العدل فى أمن وأمان ولا تجد خائفا ولا محروما ؟

وبوجه عام فإن عقيدة " المصريين القدماء " فى هذه القضية تختلف فى جميع جوانبها عما قبلها وتمتاز بعدة أمور من أهمها : -

أنها عقيدة موحّدة وإن شابها بعض الأمور التى تعكر صفائها ونقائها ، كما أن لها أصولا سماوية صحيحة تستمد منها قوتها وسلامة عقيدتها فى " الإله " تعالى ، والبعث والحساب أو الثواب والعقاب ؟

كما أنهم لا يعتقدون أن الإنسان مجبرا على فعل المعاصى وذلك خلافا لما يعتقده العراقيين القدماء ومن على شاكلتهم .

ثالثا : اليوم الآخر عند الزرادشتية

بعد أن عرضنا لعقيدتى " العراقيين القدماء " و " المصريين القدماء " فى قضية الحساب أو الثواب والعقاب الأخروى ، ووقفنا على مدى التباين بين العقيدتين فى هذه القضية الهامة ، نأتى لنتعرف على عقيدة الزرادشتية لنرى مدى الاتفاق والاختلاف بينها وبين ما سبقها ؟

وبعد الاطلاع على بعض النصوص الواردة عنهم بشأن هذه القضية تبين لنا أن هناك تشابها كبيرا بين عقيدتى " المصريين القدماء " و " الديانة الزرادشتية " ، وهذا ما يؤكده أحد العلماء بقوله : -

" يرى الزرادشتيون أن الإنسان عندما يموت تظل روحه معلقة بجانب جسده ثلاثة أيام وثلاث ليال وتكون منعمة بنعيمه أو معذبة بعذابه ، وفى فجر اليوم الرابع تهب على روحه ريح إما عطرة وذلك إذا كان الإنسان الميت خيرا ، وإما نتنة إذا كان الميت شريرا ، وتحملها إلى موضع يلتقى فيه إما بفتاة جميلة ، وإما بعجوز مفزعة ، وأن

الفتاة والعجوز ليستا حقيقيتين ، وإنما هما تصوير وتمثيل لأعمال الميت ، وهما تعبير عن ضميره الذى يقوده إلى حيث معبر الحساب والحكم الأخير ، وعلى باب هذا المعبر يوجد ثلاثة قضاة بينهم " مبتهرا " وهناك ينصب ميزان توضع فى إحدى كفتيه حسنات الميت وفى الأخرى سيئاته ، وبناء على صعود إحدى الكفتين ، أو هبوطها يصدر الحكم على الإنسان ، وعلى إثر إنتهاء الوزن وصدور الحكم يؤمر المحاسب بالمرور فوق هذا المعبر أو الصراط الممتد فوق الجحيم الذى يتسع للأخيار الصالحين ويضيق للأشرار الطالحين وهؤلاء – الأشرار – يهوون فى جحيم مظلم ظلاما كثيفا إلى حد يستطاع معه لمسه باليد ، فإذا هوا فى الجحيم كانوا متزاحمين كأنهم كمية من الشعر فى معرفة حصان ، ومع ذلك فكل واحد منهم يشعر فى وسط هذا الزحام بوحدة قاسية وعزلة ممضة .

أما الأخيار فيذهبون إلى النور حيث يستقبلهم " أهورامازدا " وهو إله الخير وخالق الكون وحافظه من الفساد الذى يحاوله إله الشر " أهريمان " بعد أن يمروا فى وسط العمل الصالح والقول والخير والفكرة الطيبة ، وهناك يستمتعون فى كنف مازدا بالسعادة الأبدية (١) .

وهكذا نجد " الديانة الزرادشتية " تتوافق مع العقيدة المصرية القديمة فى قضية الحساب أو الثواب والعقاب .

وتختلف فى نفس الوقت مع عقيدة العراقيين القدماء فى نفس القضية ونلحظ فى هذه الديانة الزرادشتية بساطتها وعمق أفكارها ومغزى رموزها ، وذلك عندما رمزت للجنة بفتاة جميلة كإشارة واضحة إلى نعيم الجنة وما أعده (الله) تعالى لأهلها من

---

(١) راجع الأستاذ / سيد قطب : مشاهد القيامة فى القرآن ص ١٩ ، ٢٠ بتصرف ، د / رشدى عليان ، وسعدون الساموك : الديان ص ١٢٩ ، د / محمد عبد العال : فى العقائد والأديان ص ١٦٣ ، سليمان مظهر : قصة الديانات ص ٣١٤ .

متاع طيب لا ينفد أبدا ، ورمزت للنار بعجوز مفزعة كإشارة واضحة إلى عذاب أهل النار وما أعده الله تعالى للعاصين ، والرمزان فيهما دعوة صريحة إلى المسارعة إلى الجنة والرغبة فيها ، والبعد عن النار والرهبة منها ، فما أجمل الجنة ومثلها ، وأفزع النار وصورها ؟

كما نلحظ فى " الديانة الزرادشتية " رجحان كفة الخير والعدل على كفة الشر والظلم وهذا ما يتجلى بوضوح فى صراع إله الخير المسمى " أهورامازدا " وإله الشر المسمى " أهريمان " وغلبة إله الخير لإله الشر ، كإشارة واضحة إلى الصراع القائم – منذ ظهور الإنسان على ظهر الأرض – بين الخير والشر ، والحق والباطل ، والعدل والظلم ، وكيف ينتصر الخير والحق والعدل على الشر والباطل والظلم مهما كثر ومهما حاول إثبات وجوده فإن مصيره إلى الزوال والإنتهاء سريعا وهذه سنة الله تعالى فى كل زمان ومكان ولأنه " سبحانه وتعالى " يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون والمشركون والظالمون ؟

ونشير إلى أن الديانة الزرادشتية " ديانة ثنوية " أى أنها تؤمن بوجود إلهين لهذا العالم ، وهما فى صراع دائم ولكن فى نهاية الصراع ينهزم إله الشر ويندحر كإشارة إلى أن الشر لا بقاء له ولا أساس له

بعكس الخير فإنه باق وله أسس سليمة يرتكز عليها ، وهى وإن كانت عقيدتها " ثنوية " فهى أقرب إلى التوحيد منها إلى الشرك أو الإشراك ؟

وهذا ما نأخذه من انهزام إله الشر والظلم والباطل أمام إله الخير والعدل والحق ، وهذا تأكيد إلى أن إله الشر لا وجود له ولا بقاء له ، ولكنه كسراب يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ؟

وبوجه عام فإن الديانة الزرادشتية متوافقة إلى حد كبير مع عقيدة " المصريين القدماء " فى قضية الحساب أو الثواب والعقاب ، كما أنها متوافقة مع منطوق

النصوص النقلية ، وصريح البراهين العقلية إلا ما شذت عنه وهو اعتقادها بوجود إلهين للخير والشر ، ولكنها على كل حال أفضل من عقيدة العراقيين القدماء فى هذه القضية الهامة ، سواء ما يتصل بموقفها من الثواب والعقاب ، أو إيمانها بوجود الجنة والنار وتمثيلهما بفتاة جميلة وعجوز مفزعة ، وإيمانها بوجود الصراط الذى يمر الناس عليه يوم القيامة واتساعه لأهل الخير ، وتضييقه لأهل الشر ، كما أن الديانة الزرادشتية لها أصول سماوية صحيحة ترتكز عليها فى هذه القضية وإن شابها بعض الإنحرافات من قبل المفسدين فى الأرض .

رابعا : اليوم الآخر عند الإغريق القدماء

بعد أن عرفنا عقيدة " العراقيين القدماء " و " المصريين القدماء " و " الديانة الزرادشتية " فى قضية البعث والحساب أو الثواب والعقاب ومدى الإتفاق والاختلاف بينهم ،

نأتى لنتعرف على عقيدة " الإغريق القدماء " فى هذه القضية الهامة لنرى مدى توافقها أو تباينها مع ما قبلها ،

وندع أحد العلماء يوضح لنا عقيدهم فى اليوم الآخر فيقول : ظهرت عقيدة الإيمان باليوم الآخر فى أوديس هوميروس الذى عاش حوالى القرن التاسع قبل الميلاد ،

والغالب أنها كانت موجودة قبل " هوميروس " فضمنها ملحمته ، يذكر " هوميروس " على لسان " عويس " – بطل الأوديسه – أنه رأى فى " هيدز " أى العالم السفلى تحت الأرض الإله " مينوس " جالسا على عرشه والصولجان الذهبى فى يده والموتى يعرضون عليه قضاياهم وقد تجمعت جموعهم عند البوابات الكبيرة ينتظرون دورهم فى عرض قضاياهم ،

ومن ألوان العذاب التى رآها أنه شاهد " تيتوس " الجبار منبطحا على الأرض بحيث يشغل تسعة أفدنة وعلى كل من جنبيه أفعوان هائل أرقم يتغذى بمضغ من كبده الكبير الدامى ومن أحشائه الغلاظ جزاء على محاولته اجتذاب " لاتونا " عشيقة كبير الآلهة ،

وشاهد " تانتالوس " يتخبط فى عين حمئة من الماء الساخن وقد غاص فيها إلى ذقنه والموج يضرب وجهه ، ومع ذلك يلهث من شدة الظمأ ، وفوق رأسه أشجار الفاكهة لا تصل يده إليها ،

وشاهد " سيفوس " يدفع صخرة كبيرة ليصل بها إلى أعلى جبل حتى إذا أراد

الوصول تدحرجت الصخرة إلى أرض الجحيم وقد أضناه التعب الفظيع ،

وشاهد " هرقل " الجبار محكوما عليه بأن يطيع ويخدم ابن عمه " يورينوس " [1]

والمتأمل فى هذا النص – السابق – يلحظ عدة أمور أساسية أهمها : –

١ – إن عقيدة " الإغريق القدماء " فى اليوم الآخر والحساب أو الثواب والعقاب للمطيعين والعاصين تشبه إلى حد كبير عقيدة " المصريين القدماء " و " الديانة الزرادشتية " فهى عقيدة إيجابية لها أصول سماوية صحيحة بخلاف عقيدة " العراقيين القدماء " .

٢ – إن " الأغريق القدماء " برهنوا على إيمانهم بالحساب ، أو الثواب والعقاب الأخروى بتلك المشاهد أو الرؤى التى رآها " تيتوس " الجبار كإشارة واضحة إلى مصير كل ظالم وجبار ومتكبر وهو الخلود فى النار وبئس القرار ، وأنه يسلط عليه " الأفعوان " ليهجم عليه فيأكل جسده خاصة كبده الدامى الكبير وذلك جزاء محاولته خيانة الآلهة للإيقاع بعشيقته .

٣ – إيمان " الإغريق القدماء " بالقصاص فى الأخرة أى أنه يقتص من الإنسان فى الآخرة نظير مظلمته ، ويظهر هذا واضحا فى مشاهدة " هرقل " الجبّار وهو محكوم عليه بخدمة وطاعة أبناء عمه كإشارة واضحة إلى أنه كان يفعل ذلك مع أبناء عمه فى الدنيا ، فكان جزاؤه أن يفعل به كذلك فى الاخرة لأن الجزاء من جنس العمل ،

من جهة أخرى قام أحد العلماء بإلقاء الضوء على جانب آخر من عقيدة " الإغريق القدماء " قائلا : –

---

(١) الأستاذ / سيد قطب : مشاهد القيامة فى القرآن ص ٢١ – ٢٣ بتصرف .

« والشاعر " بندار " فى القرن الخامس ق.م. يقول فى قصيدته الأولمبيـــة الثانيـــة سيجد العظماء فى الأرض قاضيا فى الجحيم ، فالذين ارتكبوا منهم أعمـــــالا محرمـــة تحاكمهم الآلهة " أنانكى " ومع أنه لم يبين كيفية المحاسبة لكنه بهذا يقرب من عقيدة المصريين فى عدالة الحساب »

ويقول " أفلاطون " (ولد بين سنتى ٤٢٩ – ٤٢٧ ق) فإذا جاء الأموات أمام قاضيهم ودعاهم " رادمانت " وهو أخو " مينوس " إلى القرب منه ثم فحص روح كل واحد منهم من غير أن يعرف لمن هى ، فإذا وجدها مملوءة فسادا وخبثا وكانت قـــد عاشت بعيدًا عن الحقيقة بعث بها إلى السجن لتتلقى به العقاب الذى تستحقه »

و " ردمانت " يرسل المحكوم عليهم إلى قاع الجحيم بعد أن يسمهم بميسم تبعـا لقابلياتهم أو عدم قابلياتهم للتطهير ، أما الروح الذى يرى أنه عـــاش فى الطـــهر وفى الحقيقة فإنه يبتهج به ويرسله إلى الجزائر السعيدة »[1] .

ونلحظ فى هذا النص تأكيد عقيدة " الإغريق القدماء " على الإيمان بوجـــود الجنة والنار كجزاء للمطيعين وعقاب للعاصين ، وتؤكد على إيمانهم بمبـــدأ ثـــواب المطيع الذى عاشت روحـــه فى الدنيا فى طهر ونقاء وحقيقـــة و لم تعـــرف الخبـــث والخبائث فيكون مصير هذه الروح الإبتهاج والفرح والسعادة عن طريق إرسالها إلى الجزائر السعيدة وهذه إشارة إلى دخولها الجنة والتنعم فيها »

أما جزاء الروح الشقية التى عاشت فى خبث وخبائث وارتكبت الرذائل فيكون بطرحها فى الجحيم سواء كان صاحبها سيدا أو عبدا ، حاكما أو محكوما ، وهذا مـــا يؤكد على إيمانهم بمبدأ العدل والمساواة بين الناس فى الحساب أو الثواب والعقاب »

فالكل أمام حكم الله تعالى سواء وما يميز بعضهم عن بعض هو مدى التزام

---

(١) الأستاذ / سيد قطب : مشاهد القيامة فى القرآن ص ٢٧ ، ٢٨ .

الإنسان بتطبيق أوامر الله تعالى ، وطاعة رسله عليهم الصلاة والسلام فيما أمروا به وما نهوا عنه وبوجه عام فإن عقيدة " الإغريق القدماء " متوافقة مع كل ما هو منقول ومعقول وتشبه إلى حد كبير عقيدة " المصريين القدماء " و " الديانة الزرادشتية " كما أن لها أصولا سماوية صحيحة وإن شابها بعض القصور الذى يعكر صفاءها ،

وأنها عقيدة موحدة وتحمل الكثير من الأصول الصحيحة ، مما يجعلها جديرة بالأحترام ويضعها فى مصاف العقائد الصحيحة مادامت تؤمن باليوم الآخر ، والثواب والعقاب والجنة والنار كجزاء للمطيعين وعقاب للعاصين .

خامسا : اليوم الآخر عند الرومان

بعد بياننا لعقيدة " العراقيين القدماء " و " المصريين القدماء " و " الديانة الزرادشتية " و " الإغريق القدماء " فى الحساب أو الثواب والعقاب وعرفنا مدى الإتفاق والتباين بينها نأتى لنتعرف على عقيدة " الرومان " وموقفها من هذه القضية الهامة ،

وبعد الاطلاع على بعض النصوص الرومانية الواردة لهذه القضية تبين لنا : –

أن " الرومان القدماء " يقفون موقفا إيجابيا من موضوع الثواب والعقاب ، بمعنى أنهم يعتقدون أن هناك نوعا من النعيم فى الآخرة للإنسان المطيع ، ونوعا من العذاب فى الآخرة للإنسان العاصى لكى يلقى المطيع جزاء طاعته والعاصى جزاء عصيانه ،

وأن هذا هو العدل الإلهى الذى يعطى لكل إنسان جزاءه اللائق بعمله فلا ظلم ولا تضييع لعمل عامل ،

وهذا ما يؤكده أحد شعراء الرومان القدماء وهو " فرجيل " ولد سنة (٧٠ – ٩٠ ق) وهو شاعر الرومان الأكبر وقد ذكر فى ملحمته المسماة " الإلياذة " : –

إن " إينياس " بطل الملحمة يذهب إلى العالم السفلى للإلتقاء بروح أبيه " أنشير " لاستفتائها فى مستقبله ومستقبل ذريته ويهبط مع كاهنة تقوده إلى منازل الموتى وقد إمتلأت أشباحا وأرواحا ويعبران نهر " ستكس " وهو نهر فى الجحيم ملىء بالحيات والحيوانات المخيفة ، ومرا فى عالم يأس وقنوط وأخيرا لقى أباه فأنبأه بما كتب لسلالته من مجد وفخار . (١)

ونلحظ فى هذا النص الرومانى القديم أنهم يثبتون الثواب للمطيع والعقاب للعاصى ، وهذا الثواب والعقاب لا يكون فى الدنيا وإنما يكون فى الآخرة ،

وقد عبروا عن إيمانهم بعقاب العاصين فى الآخرة بنهر ملىء بالحيات والحيوانات المخيفة كإشارة إلى العذاب الذى ينتظر العاصين ،

أما تعبيرهم عن إيمانهم بثواب المطيعين فى الآخرة فهو – كما جاء فى النص – عندما لقى أباه فأنبأه بما كتب لسلالته من مجد وفخار كإشارة إلى النعيم الذى ينتظر المطيعين عند (الله) تعالى فى الآخرة ،

وبهذا توافقت العقيدة الرومانية القديمة مع كل ما هو منقول ومعقول ،

فقد أثبتت الحساب أو الثواب والعقاب فى الآخرة و لم تقصره على الدنيا كما فعل " العراقيين القدماء " .

وتوافقت مع العقائد القديمة الصحيحة خاصة " المصريين القدماء " و " الديانة الزرادشتية " و " الإغريق القدماء " ،

وهذا مما يجعلها جديرة بالإحترام والإهتمام مادامت تعبر عن فكر موافق للفطرة الإنسانية السليمة و لم تأت بما يخالفها .

---

(١) الأستاذ / سيد قطب : مشاهد القيامة فى القرآن ص ٢٨ بتصرف .

سادسا : اليوم الآخر عند الهندوس

أما عقيدة " الهندوس " فى اليوم الآخر وموقفهم من الثواب والعقاب فهى على نفس شاكلة " العراقيين القدماء " ،

بمعنى أنهم يجعلون الثواب للمطيع والعقاب للعاصى فى دار الدنيا فقط ، وينكرون وقوعهما فى الدار الآخرة بل وصل بهم الأمر إلى إنكار الحياة الآخرة أصلا بناء على إيمانهم بتناسخ الأرواح ، أى أن روح الميت تعود مرة أخرى إلى جسم إنسان آخر بعد مفارقتها لجسدها الأول ويسمون هذا بتكرار المولد.

وقد أكد أحد العلماء عقيدة " الهندوس " فى اليوم الآخر بقوله : –

" لا يعتقد الهندوس بالحياة الآخرة التى يكون فيها الجزاء ولكنهم يعتقدون بالكارما أى قانون الجزاء ، ويعنى أن جميع أعمال البشر الإختيارية خيرا كانت أم شرا لابد أن يُجازوا عليها بالثواب أو بالعقاب بناء على ناموس العدل الصارم وهذا الجزاء يكون فى الحياة ، ولكنهم حين رأوا أن الجزاء قد لايقع فيموت الظالم ولا يقتص منه ويموت المحسن دون أن يحسن إليه لجؤوا إلى القول بالتناسخ.

والتناسخ يسمى تكرار المولد أى رجوع الروح بعد خروجها من جسم إلى العالم الأرضى فى جسم آخر ، وسبب التناسخ أن الروح خرجت ولها شهوات لم تتحقق بعد وعليها ديون كثيرة لابد من أدائها ، فلابد من أن تتذوق ثمار أعمالها فى حياة أخرى أى فى جسد آخر ، فإن لم تصلح فى هذا الجسد ففى جسد آخر وهكذا إلى أن تكتمل الميول والشهوات وتستوفى الديون والزهد المفرط وأرق الليل وتعذيب النفس وتعريضه لأشق التجارب حتى يبدوا هذا دائما كثير الخوف والهموم والتشاؤم

فى سبيل تخليص الروح من سيطرة الجسد لتنطلق منه فى النهاية وتتحد مع البراهما »[1]

هذا فيما يتعلق بعقيدة " الهندوس " من قضية الثواب والعقاب على الأعمال فهى لا تثبت ثوابا ولا عقابا أخرويا وإنما تقصرهما على الدنيا فقط عن طريق تناسخ الأرواح أو تكرار المولد ، وأن هذه الأرواح إما تكون خيرة مطيعة وعندئذ تحل فى أجساد مثلها ، وإما أن تكون أرواح شريرة عاصية وعندئذ تحل فى أجساد شريرة مثلها كذلك ،

فهذا هو تفسير الحساب أو الثواب والعقاب عند " الهندوس " وبنظرة بسيطة نجد أن عقيدتهم هذه قد اشتملت على عدة أخطاء ظاهرة منها : -

١ - إن عقيدة " الهندوس " لم توضح موقفها من قضية وجود الله تعالى وما إذا كانت تعتقد بأن الله تعالى واحد : أم تشرك معه غيره ؟

٢ - إن عقيدة " الهندوس " قد خالفت جميع العقائد التى سبقتها فيما عدا العراقيين القدماء وهو المذهب الوحيد الشاذ الذى أنكر وقوع الثواب والعقاب فى الآخرة ، ولذا فإن " الهندوس " قد تشبهوا بالمذهب - الفاسد والشاذ - العراقى القديم وخالفوا كل ما هو صحيح ومعقول .

٣ - إن قول " الهندوس " بتناسخ الأرواح أو تكرار المولد قول باطل ومذهب فاسد من جميع الوجوه ، والقائلون بهذا القول " كفرة " فى نظر الإسلام الحنيف وفى نظر جميع العقلاء من الناس كذلك وهذا ما أكده أحد أئمة الإسلام بقوله :- " وأما الكفرة الذين ظهروا فى دولة الإسلام واستتروا بظاهر الإسلام واغتالوا المسلمين فى السر كالغلاة من الرافضة السبئية : والبيانية والمغيرية ، والمنصورية ،

---

(١) د / أحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ص ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٩ ، د / رشدى عليان وسعدون الساموك : الأديان ، القسم الأول ص ٨٩ ، الأستاذ / سيد قطب : مشاهد القيامة فى القرآن ص ٢٥ .

والجناحية ، والخطابية ، وسائر الحلولية ، والباطنية ، والمقنعية المبيضة بما وراء نهر جيحون ، والمحمرة بأذربيجان ، ومحمرة طبرستان ، والذين قالوا بتناسخ الأرواح " (١)

٤ – إن عقيدة " الهندوس " تأخذ بكل ما هو شاذ وباطل ومخالف للمنقول والمعقول سواء كان هذا الشذوذ متعلقا بالعقيدة . أو الشريعة أو الأخلاق ، كما أنها دعت إلى أمور مخالفة لما هو منقول ومعقول كدعوتها إلى تعذيب الجسم بالصوم والزهد المفرط ، وطول السهر بالليل كنوع من العبادة ، وتعريض النفس لأشق وأصعب التجارب إلى غير ذلك من أمور تضر بالجسم والروح معا وليست من العبادة أو الطاعة فى شيء . مع الإشارة إلى أنها العقيدة الوحيدة من بين العقائد السابقة التى قالت بتناسخ الأرواح ودعت إلى تعذيب الجسد والروح معا.

٥ – إن عقيدة " الهندوس " رغم شذوذها ومخالفتها لكل ما هو منقول ومعقول فهى الديانة السائدة – الآن – فى (الهند) التى تقدس الكثير من المخلوقات أكثر من تقديسها للخالق عز وجل ، وتحارب الإسلام وأهله بشتى الوسائل فى محاولة لإخراج المسلمين عن دينهم وشريعتهم وأخلاقهم ، وهذا ما يؤكده أحد العلماء بقوله : " والهندوسية ديانة الجمهرة العظمى فى (الهند) الآن ، وتسمى " الهندوكية " وسميت " البرهمية " ابتداء من (القرن الثامن ق.م) نسبة إلى " براهما " وهو القوة السحرية العظيمة الكامنة التى تطلب كثيرا من العبادات كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم القرابين . ومن " براهما " إشتقت الكلمة " البراهمة " لتكون علما على رجال الدين الذين كان يعتقد أنهم يتصلون فى طبائعهم بالعنصر الإلهى ، وهم لهذا كانوا كهنة الأمة لا تجوز الذبائح إلا بحضرتهم وعلى أيديهم » (٢)

---

(١) الإمام البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢١٦ .

(٢) د / أحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ص ٣٩ .

وعلى هذا فعقيدة " الهندوس " باطلة وفاسدة من جميع جوانبها العقائدية والتشريعية والأخلاقية ، ومخالفة لجميع العقائد التى سبقتها ما عدا عقيدة " العراقيين القدماء " التى قد عرفنا فسادها .

وإن " العقيدة الهندوسية " مردود عليها نقلا وعقلا وأنها عقيدة غير جديرة بالأحترام نظرا لشذوذها ومخالفتها لكل العقائد الصحيحة التى سبقتها ، كما أننا لا نلمس فيها أصولا سماوية صحيحة . بل هى قائمة على أنقاض أفكار بالية فاسدة سواء كانت موروثة ، أو ناتجة عن أناس فاسدين عقليا وعقائديا وأخلاقيا .

سابعا : اليوم الآخر عند اليهود

أما عقيدة " اليهود " فى اليوم الآخر فنتعرف عليها فى السطور التالية .

ولكن قبل ذلك نشير إلى أن " اليهودية " من العقائد السماوية الصحيحة ولها كتاب سماوى صحيح وهو " التوراة " وقد أرسل " الله " عز وجل إليها نبى الله موسى " وأخيه " هارون " عليهما الصلاة والسلام .

وقد تضمن كتابها المقدس أمور العقيدة والشريعة والأخلاق وهذا هو حال الكتاب المقدس – التوراة – قبل أن تصل إليه أيدى المفسدين فى الأرض . أى قبل أن يُحرف من قبل شرذمة قليلون إشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، ورضوا بقليل من المال الفانى على كثير من متاع الآخرة الباقى .

وقيام هذه الشرذمة الضالة بتحريف كتاب " الله " تعالى – التوراة – ثابت بالنقل والعقل . فمن النصوص النقلية التى تؤكد قيامهم بهذا الجرم العظيم :

قول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ

هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١)

وقد بين علماء الإسلام موقف الإسلام من " اليهودية " مشيرين إلى أنه موقف الرافض لما قامت وتقوم به ضد الإسلام ونبى الإسلام وأهل الإسلام ،

وهاهو أحد العلماء يشير إلى هذا المعنى بقوله : " هاجم الإسلام اليهودية وأعلن أنها بدلت كتابها تبديلا وخاطب القرآن الكريم قلوبهم كما خاطب عقولهم ،

وكانت أهم نقاط الخلاف معهم فى بادىء الأمر هى المجتمع الدينى المغلق الدين لإسرائيل فقط وليس ثمة أنبياء سوى أنبيائهم فلم يعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ،

وكانت هذه أهم مشكلة من مشاكل الجدل بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين أحبارهم " (٢)

كما أن الصراع بين المسلمين واليهود كان ومازال حول قضايا أساسية من قضايا العقيدة : منها على سبيل المثال :

١ – موقف اليهود من الإله تعالى ونظرتهم له ونظرة المسلمين له ، وكيف أن الموقفين متباعدين عن بعضهما كما بعدت السماء عن الأرض ، فاليهود قوم ماديون يؤمنون بالمادة وبكل ما هو مادى ومحسوس . فقد طلبوا – أكثر من مرة – من نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام أن يجعل لهم إلهاً آخر غير الله تعالى يعبدونه ، وهذا ماحكاه القرآن الكريم فى قوله تعالى :

---

(١) سورة المائدة الآية : ٤١ .

(٢) د / على النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ج ١ ، ص ٦٤ .

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (١)

٢ – مسألة النبوة بوجه عام ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بوجه خاص ، وكيف أنهم لم يؤمنوا به عليه الصلاة والسلام زاعمين أنه نبى إلى العرب خاصة ، وأن نبوته لا تشملهم مع أن نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام لو كان حيا ماوسعه إلا إتباعه صلى الله عليه وسلم والإيمان به ، لأن نبوته عامة شاملة للعرب وغير العرب وهذا من فضائل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ›

وهناك الكثير من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تؤكد أنه صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الناس كافة منها :

- قول الله تعالى ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٢)
- قول الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٣)
- قول الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

- حديث النبى محمد صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحمر

---

(١) سورة الأعراف الآيات : ١٣٨ – ١٤٠ .
(٢) سورة الأعراف جزء من الآية ١٥٨ .
(٣) سورة الأنبياء الآية : ١٠٧ .
(٤) سورة سبأ الآية : ٢٨ .

وأسود ، وأحلت لى الغنائم و لم تحل لأحد قبلى ، وجعلت لى الأرض طهورا ومسجدا فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرعب بين يدى مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة " (١)

٣ – موقفهم من الأنبياء و الرسل عليهم الصلاة والسلام وكيف قاموا بقتل الكثير منهم وكذبوهم ، وحاربوهم بالقول والفعل ، وقد سجل القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٢)

أما عقيدتهم فى موضوع البعث والثواب والعقاب فبينه أحد العلماء بقوله :

" اليهودية فى جوهرها أسلوب حياة لا عقيدة تعتقد ، ومجالها الأوحد هو هذا العالم الحاضر وليس فيما وراء هذا العالم ، وفى دائرة المعارف العبرية يقرر " كوهلر " أن اليهودية ليست عقيدة أو نظاما من العقائد يتوقف على قبولها الفداء أو الخلاص فى المستقبل ولكنها نظام للسلوك البشرى وناموس البر الذى يتحتم على الإنسان إتباعه

ولما كانت اليهودية دين أعمال لا دين إيمان لم يتكلم اليهود فى كتبهم عن الآخرة ، والبعث والحساب لأنها أمور متوقفة على العقيدة والثواب والعقاب يتم فى الحياة الدنيا ،

لكن بعد احتلال الفرس – الذين يدينون بديانة زرادشت – بلاد بابل ودولة اليهود ، وبعد أن سمح " قورش " ملك الفرس لليهود بالعودة إلى فلسطين وإعادة معبدهم قامت علاقات طيبة بين " اليهود " و " الفرس " ،

(١) الحديث : رواه الإمام مسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١١٢ .

فدرس " اليهود " عقائد " زرادشت " فاقتبسوا منهم الاعتقاد بالحياة الآخرة ، وفى هذا الوقت بدأ الأنبياء وأشعيا و دانيال كما فى سفر " دانيال " يذكرون الناس بيوم البعث والحساب ، والجزاء»

لكن اليهود حين تحدثوا عن الآخرة كانوا يعنون بها غير ما تعنيه الديانات الأخرى من وجود دار حساب على ما قدم - الإنسان - فى حياته الأولى»

واليهود عند الباحثين قسمان :

١ - قسم عاش فى حياته الدنيا سعيدا حرا وهؤلاء حصلوا على الجانب المادى من رضا إلههم .

٢ - قسم عاش تحت سلطان الجوييم أو مشردا فى المنفى فهؤلاء من حقهم العودة للحياة مرة أخرى لينالوا نصيبهم من النعيم وقد حاول بعض طائفة " الفريسين " القول بها لكن هذه المحاولة لقيت معارضة شديدة ، أما باقى الفرق اليهودية فلم تعرف عنها شيئا »[1]

هذا موقف " اليهودية " و " اليهود " من قضية البعث والثواب والعقاب . وهو قد مر بمرحلتين : -

الأولى : أنهم لم يعرفوا شيئا عن هذه القضايا السمعية الهامة إما لعدم ورودها فى كتابهم المقدس - التوراة - وهذا ما نستبعده ، وإما لقيام البعض منهم بحذفها وتحريفها عن مواضعها وهذا هو ما أميل إليه لماذا ؟

لأنه لا يعقل أن تكون عقيدة سماوية صحيحة لها كتاب مقدس ، ولها نبى مرسل من الله . تعالى ثم لا يأت لهذه القضايا ذكر فى كتابهم أو على لسان نبيهما موسى و هارون عليهما الصلاة والسلام .

---

(١) د / أحمد شلبى : اليهودية ص ١٩٤ - ١٩٦ بتصرف .

الثانية : إن اليهودية أو اليهود قد عرفوا هذه القضايا الأخروية بعد احتكاكهم بالفرس ، ودراستهم لعقائدهم أو دياناتهم المتمثلة فى ديانة زرادشت فتعلموا منهم الإيمان باليوم الآخر والثواب والعقاب الأخروى بعد أن كانوا يعتقدون أن الثواب والعقاب لا يكون إلا فى الحياة الدنيا فقط ،

وهذا لا أميل إليه إذ كيف يتعلم من له كتاب سماوى ونبى مرسل ممن ليس له كتاب ؟ وعلى كل فقد انقسم اليهود بإزاء هذه القضايا السمعية إلى قسمين أو فريقين :

أولهما : يؤمن بهذه القضاياوهذا هو الاعتقاد الصحيح الموافق لكل ما هو منقول ومعقول.

ثانيهما : يعتقد أن الحساب أو الثواب والعقاب لا يكون إلا فى الحياة الدنيا فقط ، وينكرون وقوعه فى الآخرة وهذا الإعتقاد مخالف لجميع العقائد القديمة الصحيحة وموافق – فقط – لعقيدة العراقيين القدماء و الهندوسية وهما العقيدتان الوحيدتان من بين العقائد القديمة الباطلة والفاسدة نقلا وعقلا .

ثامنا : اليوم الآخر عند الصابئة

ونأتى إلى طائفة " الصابئة " لنتعرف على موقفها من اليوم الآخر ، هذه الطائفة التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم كدليل على أن لها أصولا سماوية صحيحة تستقى منها عقيدتها وشريعتها وذلك كما جاء فى قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١)

وقبل الوقوف على موقف الصابئة من البعث والثواب والعقاب أرى إعطاء القارىء الكريم نبذة مختصرة عن نشأة الصابئة ومؤسسها ، ومدى تأثيرها فى غيرها وتأثرها بغيرها ، وموقفها من بعض المخلوقات الإلهية .

وهاهو أحد العلماء يوضح هذا بقوله :

" أما الصابئة الحقيقية فقد نسب مذهبها إلى " بوداسف " ويقول عنه " المقدس" بوراسف الفيلسوف ، كان من أهل الحقيقة ، كان عالما بالأدوار والأكوار ، واستخراج سر العالم ، وأنه قال : بأكثر من " آدم " وقد أثرت هذه الصابئة فى الدروز فقد قالوا بأكثر من " آدم " كما أثرت فى " القرامطة " ، أما " بوداسف " مؤسس هذه الطائفة فيذكر عنه " البيرونى " قد ظهر عند مضى سنة من ملك " طمهورث " بأرض الهند وأتى بالكتابة الفارسية ، ودعى إلى ملة " الصابئين " فأتبعه خلق كثير ، وهنا نتساءل ما هو الفرق بين الاثنين ؟

إن الصابئة تعبد الكواكب وتسجد لها وعقائدهم مزيج من يهودية ومجوسية وترى أن نفوس عظمائهم هى الوسطاء بينهم وبين الله تعالى فعبدوا أيضا هذه

---

(١) سورة البقرة الآية ٦٢ .

النفوس ، ويرى " ابن خلدون " أن الكلدانيين خالفوهم فى التوحيد " (١)

هذا فيما يتعلق بنشأة الصابئة وموقفها من بعض المخلوقات ، ومدى تأثرها بغيرها وتأثيرها فى غيرها .

أما موقفها من البعث والثواب والعقاب فبعد الاطلاع على بعض النصوص الواردة عنهم بشأن هذه القضية الهامة . وجدنا :

أن الصابئة تتفق مع جميع المذاهب والعقائد الصحيحة فى هذه القضية أى أنها تثبت بعث الآخرة والثواب للمطيع والعقاب للعاصى . وكلاهما فى الآخرة وذلك عن طريق وزن الأعمال ، فإن رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة ، أما إذا رجحت سيئاته على حسناته فإنه يدخل النار وبئس القرار . وهذا ما يؤكده أحد العلماء بقوله :-

" يعتقد الصابئة المندائيون أن الموت إنتقال من العالم المادى إلى العالم الروحى وتخلد هناك فتحاسب حسابا عسيرا بأن توزن أعمال صاحبها ، فإن رجحت حسناته فإن روحه تذهب إلى عالم الأنوار الجنة فتتنعم كالقديسين والروحانيين . وإن رجحت سيئاته فإن روحه تقاد إلى المطهر " المطراثه " فى عالم الظلام النار حيث تتعذب فيه بدرجات متفاوتة إلى أن تتطهر من ذنوبها ثم تُرسل إلى عالم الأنوار " (٢)

وبهذا قد اتضح بشكل جلى عقيدة الصابئة فى قضية البعث والثواب والعقاب وأنها لا تختلف عن المذاهب والعقائد الصحيحة فى هذه القضايا السمعية الهامة وهذا مما يجعلها جديرة بالتقدير والإحترام نظرا لسلامتها وصوابها وتوافقها مع صحيح

---

(١) د / على النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ج ١ ص ٢١٧ .

(٢) راجع د / رشدى عليان ، وسعدون الساموك : الأديان ص ١٨٧ ، د / رشدى عليان : الصابئون .

المنقول وصريح المعقول ، وفى نفس الوقت إمتازت عن المذاهب والعقائد الشاذة السابقة التى أنكرت البعث والثواب والعقاب فى الأخرة .

تاسعا : اليوم الآخر عند النصارى

ونختم الكلام – فى هذا الفصل – بموقف النصارى من اليوم الآخر ، والثواب والعقاب ،

وبداية نعطى نبذة موجزة عن شريعة النصارى وكتابها ورسولها الذى أرسل إليها وموقف الشريعة اليهودية والإسلامية من المسيحية ، وندع أحد العلماء يوضح هذه الأمور قائلا :–

" ولئن كان الإسلام قد هاجم اليهودية هجوما عنيفا فإنه لم يفعل هذا مع المسيحية ، كانت المسيحية عودة للروح فى قلب اليهودية ومحاولة للتخفيف من غلواء هذه الأخيرة ،

وتتابع أنبياء بنى إسرائيل يحمل كل منهم لقب المسيح الراعى الصالح الذى مسح رأسه بالزيت ، وكان المسيح الأخير هو عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، ولكن ما صدقه اليهود ولا راعوا رسالته ، بل هزءوا به واستنكروه وضربوه ضربا مبرحا وهو يتوسل إليهم بروح القدس ويحدثهم فى رفق وعذوبة ،

ومضى المسيح وأصحاب الدين المغلق – اليهود – مغلقين فى دينهم حاملين لسماتهم فقط فى بقاع الأرض ، ملتحفين بتوراتهم أينما حلوا ،

وذهب الراعى الصالح وهم غير آبهين به بل لم يذكروه فى تاريخ أيامهم " (١)

---

(١) د / على النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ج ١٠٩ .

هذا فيما يتعلق بموقف اليهودية من النصرانية أو " المسيحية وهو -كما نرى – قد اتسم بالعداوة والحقد والتنكر مع أنها شريعة سماوية صحيحة ولها كتاب سماوى صحيح وقد أرسل إليها نبيها عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، وقد نزل عليه " الإنجيل " بوحى من الله عز وجل للعمل بما جاء فيه إلى أن يأتى الله أمرا كان مفعولا ، أى إلى أن يأتى شرع جديد ينسخ شريعته ثم يؤمنوا بالشريعة الجديدة – الخاتمة – فمنهم من آمن ومنهم من كفر.

وعلى كل فلئن كان اليهود قد وقفوا من النصرانية موقف المكذب والمحارب لها ولرسولها فإنهم قد فعلوا نفس الشيء مع الإسلام ورسول الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ولئن كان اليهود قد ضل أكثرهم فإن النصارى كانوا وما زالوا كذلك فقد ضل أكثرهم عن سواء السبيل خاصة فيما يتعلق بموقفهم من نبيهم عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام واعتقادهم فيه معتقدات باطلة مخالفة للنقل والعقل معا ، وبسبب اعتقادهم هذا حكم الله تعالى بكفرهم ، فمرة يقولون : إن الله هو المسيح بن مريم ، ومرة يقولون : إن الإله تعالى ليس واحدا بل إن الآلهة ثلاثة هم الآب و الإبن و روح القدس ، ومرة يعتقدون أن السيد المسيح عليه السلام قد صُلِبَ تكفيرا عنهم وأنه لم يُرفع إلى السماء إلى غير هذا من أكاذيب وأباطيل لم ينزل الله تعالى بها من سلطان.

وقد رد الله تعالى على هؤلاء الكفرة الذين إعتقدوا مثل هذه الاعتقادات الباطلة وذلك فى قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ

مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (١)

أما رد الله عز وجل عليهم بشأن قولهم إن السيد المسيح عليه الصلاة والسلام قتل أو صلب فجاء فى قول الله تعالى :

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٢)

أما رد الله عز وجل على من لم يؤمن برسالة النبى الخاتم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فجاء فى قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة المائدة آية : ٧٢ – ٧٥ .

(٢) سورة النساء آية : ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٣) سورة آل عمران آية : ٨٥ – ٨٨ .

وكيف لا يؤمنوا برسالته صلى الله عليه وسلم وقد وصاهم نبيهم عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بالإيمان به وبشريعته وذلك كما حكاه الله عز وجل عنه فى قوله تعالى :

﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين (٦) ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [١]

وبعد هذه الإطلالة السريعة على الشريعة النصرانية وموقف أصحابها من الشريعة الإسلامية ونبيها الخاتم وموقف اليهود منها ومن نبى الله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ،

نأتى إلى موقف النصرانية من البعث والثواب والعقاب ، فبعد الإطلاع على بعض النصوص الواردة عنهم بشأن هذه القضايا السمعية الهامة وجدناهم يؤمنون باليوم الآخر وأن الله تعالى يبعث الناس من قبورهم ويثيب المطيعين على طاعتهم ويعاقب العاصين على عصيانهم شأنهم فى هذا شأن أى عقيدة وشريعة سماوية صحيحة وهذا مايؤكده أحد العلماء بقوله :-

" يعتقد النصارى باليوم الآخر وبعث الأموات من القبور والحساب على ما قدّم الإنسان من عمل فى الحياة الدنيا لكنهم يقولون بأن المحاسِب هو المسيح عليه السلام ، وأن الجنة جزاء من يعمل الخير ، والنار جزاء من يعمل الشر "[٢]

كما يؤكد أحد العلماء على معتقدهم الفاسد بشأن صلب السيد المسيح عليه الصلاة والسلام وأنه الذى يقوم ببعثهم من قبورهم ويحاسبهم بنفسه وذلك

---

(١) سورة الصف الآيتان : ٦ ، ٧ .

بقوله " يقول النصارى إن المسيح عليه السلام قام بالتكفير عن خطايا الناس والتكفير هو الصلب . لهذا صلب ورضى الله عن صلبه وهو ابنه ودفن بعد الصلب ، ولكنه قام بعد ثلاثة أيام من قبره وإن اختلفت الأناجيل فى تفصيل القيام فمتى يقول : إنه ظهر فى الجليل ولوقا فى أورشليم ، و يوحنا فى اليهودية والجليل معا ، و مرقس قال إنه ظهر بين تلاميذه ؛

قالوا : و لم يمكث المسيح عليه السلام بعد قيامته هذه إلا أربعين يوما ثم ارتفع بعدها إلى السماء وجلس بجوار " الأب " و " الأب " لا يدين أحدا بل أعطى ذلك الإبن لذلك سيأتى " المسيح " ليدين الناس يوم القيامة يحاسب كل إنسان على مافعل وفكر فإن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وله بهذا الملك الأبدى فلا فناء لملكه ، ففى إنجيل " يوحنا " الحق أقول لكم إنه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت " ابن الله " والسامعون يحيون لأنه كما أن " الأب " له حياة فى ذاته كذلك أعطى " الإبن " أن تكون له حياة فى ذاته ، وأعطاه سلطانا أن يدين أيضا لأنه إبن الإنسان لا تعجبوا من هذا ؛

فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة ؛

أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئا كما أسمع أدين ودينونتى عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة " الأب " الذى أرسلنى "(1)

فهذا موقف " النصارى " من اليوم الآخر والثواب والعقاب كما جاءت فى أناجيلهم المعتمدة – عندهم – التى إستندوا عليها فى التعبير عن عقيدتهم فى هذه القضايا السمعية الهامة ؛

---

(1) الإمام محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص ١٠٥ ، ١٠٧ .

ولنا على موقفهم هذا من هذه القضايا السمعية عدة ملاحظات أهمها :-

الأولى : إن مذهب النصارى في الآخرة والبعث والثواب والعقاب يشوبه الكثير من التناقضات والأباطيل الظاهرة التي لا تخفى على كل ذي لب سليم التي منها على سبيل المثال لا الحصر أنه إذا كانت عقيدة النصارى هذه قد أخذوها - فعلا - من الأناجيل والمفترض أن هذه الأناجيل وحي من الله تعالى ليس فيها شيء زائد أو ناقص وأنهم قد اعتمدوا عليها في عقيدتهم وشريعتهم ومعاملاتهم مع أنفسهم ومع الآخرين.

فهل هذه الأناجيل ليس فيها أي إشارة أو بشارة بالنبي الخاتم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أم أن هذه الأناجيل ليست معنية بهذا الأمر ؟

مع أن الشيء الذي لا يختلف فيه إثنان من العقلاء أن الكتب السماوية الصحيحة ما دام مصدرها واحد وتدعوا إلى عقيدة واحدة هي إفراد المعبود جل وعلا بالعبادة والتقديس ، وما دام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إخوة لعلاة دينهم واحد وربهم واحد وأمهاتهم شتى.

فإنه لا يعقل أن تكون الأناجيل لا يوجد فيها أي بشارة بالنبي الخاتم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والوصية بالإيمان به وبشريعته ؟

ومع أن القرآن الكريم قد جاء فيه ما يؤكد على إيمان نبيهم عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بدعوته ووصّى بها قومه قبل أن يُرفع إلى الله عز وجل.

وعلى هذا فإن العقل يقول لابد أن تكون أيدي المفسدين في الأرض قد وصلت إلى هذه الأناجيل وتم حذف هذه الإشارات والبشارات بالنبي الخاتم صلى الله عليه وسلم لأنه كيف يختلف الإنجيل - أو الأناجيل - مع القرآن الكريم في هذا الأمر مع أن مصدرهما واحد وهو الله عز وجل ؟

الثانية : إذا كانت " الأناجيل " لم تُحرّف – كما يزعم البعض منهم – فمن الأمور المعلومة لجميع العقلاء أن العقيدة واحدة من لدن أبينا " آدم " عليه الصلاة والسلام إلى أن يرث " الله " الأرض ومن عليها وهو الاعتقاد بأن " الله " تعالى واحد لا شريك له

فكيف يخالف النصارى جميع الرسالات السماوية ويشذون عن إجماع العقلاء ويعتقدون بأن " الله " تعالى ليس واحدا بل يجعلون الآلهة ثلاثة هم " الأب " و " الإبن " و " روح القدس " ؟

كيف يتفق التوحيد مع التثليث ، وكيف يتفق هذا الاعتقاد مع تحذير السيد " المسيح " عليه السلام من الشرك والإشراك وذلك قبل رفعه إلى السماء بإذن ربه عز وجل ؟

وقد رد " الله " عز وجل على هؤلاء الكفرة المشركين من النصارى الذين اعتقدوا أن " عيسى بن مريم " عليه الصلاة والسلام " إله " أو " إبن إله " وذلك على لسان نبيهم السيد " المسيح " عليه الصلاة والسلام لكى يهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة .

وهذا ما جاء فى قول الله عز وجل فى حوار مع رب العزة سبحانه وتعالى :

﴿وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب (١١٦) ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ﴾ (١)

---

(١) سورة المائدة آية : ١١٦ ، ١١٧ .

الثالثة : يعتقد " النصارى " أو معظمهم – على الأقل – أن السيد " المسيح " عليه الصلاة والسلام قد قُتل أو صُلب تكفيرا عن ذنوبهم وذنوب البشر ، كما يعتقدون أن الذى يقوم بالحساب فى الآخرة هو السيد " المسيح " عليه السلام نفسه بإذن من "أبيه" تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

ونقول لهم إذا كان السيد " المسيح " عليه السلام قد قُتل أو صُلب تكفيرا عن ذنوبهم خاصة ، وذنوب البشرية عامة فهل – بعد هذا – يبقى معنى للحساب ؟ وعلى أى شىء يُحاسِب مادام قد غُفر لهم وكفّر عن ذنوبهم ؟

إن قولهم هذا فى غاية الفساد والتناقض ولا يستقيم مع أى عقل سليم فضلا عن مخالفته لجميع النصوص السماوية كما أنه مخالف للفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها وهى أن " رب الناس " واحد وهو رازق الناس ومحيى الناس ومميت الناس ومحاسب الناس جميعا ، وأن الكل تحت أمره سواء ، لافضل لأحد على أحد إلا بالتقوى .

الرابعة : إذا كان السيد " المسيح " عليه الصلاة والسلام ابن الله تعالى حقا وصدقا كما يزعم " النصارى " فالعقل السليم يقول كيف يرضى " الأب " بقتل أو صلب إبنه الوحيد تكفيرا عن ذنوب الناس ؟

أليس فى هذا مغالطة عقلية صريحة ، ومخالفة لجميع العقائد السماوية التى أجمعت على أن الله تعالى واحد لا مولود له ولا ولد ؟

الخامسة : يلحظ القارىء الكريم مدى التباين الظاهر بين " الأناجيل " النصرانية وعدم اتفاقها على قول واحد بشأن قيامة السيد المسيح عليه الصلاة والسلام بعد قتله أو صلبه – كما يزعمون – مع أن المفترض فيها إتفاقها على قول واحد فى هذه المسألة البسيطة ، فإذا لم تتفق على قول واحد بشأن هذه المسألة فكيف ننتظر منها إتفاقها على قضايا ذات شأن فى العقيدة والشريعة والأخلاق ؟

وهذا ما يؤكد على أن هذه " الأناجيل " لم تسلم من التحريف والعبث بما من قبل المفسدين في الأرض ، وأن كل إنجيل يزعم أنه وحده الصحيح وما سواه باطل ، أو أنه على شيء وما سواه ليس بشيء؟

وفي حقيقة الأمر أن جميعها ليس على شيء لأن الأناجيل تكذب بعضهابعضا ، كفعل " اليهود " مع " النصارى " فكلا منهما يتهم الآخر بأنه ليس على شيء وجاء حكم الله تعالى فيهم جميعا بأنهم ليسوا على شيء .

وهذا ما أكده الله عز وجل في قرآنه الكريم بقوله تعالى :

﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ (١)

السادسة : يعتقد " النصارى " أن الذي يحاسب الناس في الآخرة هو السيد المسيح عليه الصلاة والسلام ؟

واعتقادهم هذا باطل ومخالف لجميع الشرائع السماوية ، وإجماع العقلاء من أهل الشرائع السماوية عامة والشريعة الإسلامية خاصة؟

ومما يدل بل يؤكد على فساد عقيدة النصارى ما جاء في قول الله تعالى :

﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ﴾ (٢)

وعلى هذا فإن الذي يحاسب الناس هو رب الناس وليس السيد المسيح عليه السلام كما يزعم النصارى .

(١) سورة البقرة الآية : ١١٣ .

(٢) سورة غافر الآية : ١٧

الفصـــل الثالـــث

اليـــــوم الآخـــــر

فى

الفكــــر الإسلامـــى

عرضنا فيما سبق للآراء والمذاهب الإنسانية وبعض الشرائع السماوية الصحيحة فى اليوم الآخر والبعث والثواب والعقاب ،

ووقفنا على مدى التباين بينهما فى هذه الموضوعات السمعية .

وفى هذا الفصل -بمشيئة الله وتوفيقه- نعرض لموقف الفكر الإسلامى فى هذه القضايا الهامة لنرى مدى التوافق بينه وبين المذاهب الإنسانية والشرائع السابقة على الشريعة الإسلامية ،

ونفتتح الكلام بخير الكلم وأصدقه بقول الله تعالى : -

﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ (١)

فقد اشتملت هذه الآيه الكريمة على أصول الدين أو أركان الإيمان ، ومعلوم أن أصول الدين هى الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر ،

ونتوقف عند الركن الخامس من هذه الأركان وهو الإيمان باليوم الآخر أو يوم القيامة ، وربما يسأل سائل ويقول : لماذا سمى باليوم الآخر وبيوم القيامة ؟

أما تسميته باليوم الآخر فلأنه آخر أيام الدنيا أى أنه متصل بآخر أيام الدنيا لأنه ليس منها حتى يكون آخرها ،

وسمى بيوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم وقيامهم بين يدى خالقهم تعالى . وقيام الحجة لهم أو عليهم وله نحو ثلاثمائة إسم . (٢)

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٨٥ .

(٢) الإمام البيجورى : شرح البيجورى على جوهرة التوحيد ج ٢ ص ٧٦ بتصرف .

كما برهن " النقل " على وقوع اليوم الآخر وما يكون فيه من أحداث عظام تشيب لها الولدان ، وأنه لا ريب فيه ، وأن الإيمان به من أركان الإيمان وأصول الدين ، وأن إنكاره كفر صريح بإجماع الشرائع السماوية وصريح العقول الإنسانية ؛

فكذلك " العقل " قد عضد " النقل " فى هذه القضية الهامة ، لهذا برهن كثير من علماء الإسلام على وقوع اليوم الآخر ببراهين عقلية صحيحة مستمدة من نصوص نقلية صريحة ؛

وهاهو أحد العلماء يبرهن بالعقل على وقوع اليوم الآخر بقوله :-

" الإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالغيب الذى يجب أن نستيقنه ويمكن أن نقرب من طريقة فهمه بما يأتى :

أ – رأى الطبيب فى يدك كأسا من الماء فتأمل به فقال لك : لا تشرب هذا الماء فإنه ملوث يعرض حياتك للخطر . وأنت لا تعلم عن الطب والماء وخصائصه شيئا سوى أن هذا " الطبيب " حاذق .

ب – أُخبرت أن علماء الأرصاد والفلك حددوا خسوف القمر فى ليلة معينة أو هبوب رياح عاتية فى يوم ما ورأيت أن الخبر يقينى رسمى ، لاشك أنك تستيقن ذلك لأمرين هما :

١ – يقينك أن " الطبيب " حاذق ، وأن علماء الأرصاد صادقون فيما يخبرون.

٢ – يقينك بأن كلام " الطبيب " وخبر علماء الأرصاد يقينى صادر من جهة رسمية على نحو لا يحتمل الكذب ، هذان الأمران وإن كانا من الأمور الغيبية إلا أنك استيقنتهما فلم تعد تشك فى جزء منهما . (١)

---

(١) د / محمد سعيد رمضان : كبرى اليقينيات الكونية ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

أى كما أننا نلجأ إلى من يخبرنا مايتعلق بمصالحنا اليومية العارضة ولا نملك إلا تصديقه فيما يقول . سواء كان هذا الخبر متعلقا بالعلوم الطبيعية أو الإنسانية أو الفلكية أو الحيوانية أو النباتية ، أو غير ذلك من علوم تتصل بحياة الإنسان وشئونه ؟

وإن هؤلاء العلماء – الذين نلجأ إليهم للسؤال – يسمون " بأهل الذكر " أى أهل العلم والمعرفة والخبرة وأنهم الأعلم من غيرهم بحقيقة الشيء المراد السؤال عنه وهذا ما نأخذه من منطوق قول الله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للعلوم الإنسانية والطبيعية فالسؤال عن العلوم الإلهية التى تتعلق بذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ، وما يجب له وما يجوز عليه وما يستحيل فى حقه عز وجل ، وكذا ما يكون بعد الموت من سؤال وعذاب ونعيم وبعث وحساب . وصراط . وميزان وجنة ونار ، وما إلى ذلك يكون أولى بل فى سلم الأولويات من السؤال عن العلوم الإنسانية والطبيعية ؟ فما دمنا قد صدقنا من أخبرنا عن هذه العلوم التى تخص حياتنا اليومية فإن تصديق من يخبرنا بشئون العلوم الإلهية وما يتعلق بمصائرنا بعد الموت يكون آكد وأتم ؟

خاصة إذا كان من يخبرنا عن العلوم الإلهية ليس إنسانا عاديا يحتمل قوله الصدق والكذب وإنما هو إنسان يتكلم بوحى من الله تعالى، وإن كل مايقوله صدق لا يتطرق إليه أدنى شك أو ريب ، بالإضافة إلى أن الذى أخبرنا بشأن العلوم الإلهية هو رب الناس جميعا وخالقهم والأعلم بما ينفعهم وما يضرهم ؟

---

(١) سورة النحل الآية : ٤٣ .

صحيح أن ما أخبرنا الله تعالى به على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام غيب لم نره بعد ، ولكن الغيب بالنسبة لله تعالى و لرسله عليهم الصلاة والسلام آكد وأصدق من المشاهد بالنسبة لنا ، ولأن العلوم الإنسانية والطبيعية – المشاهدة – قد أتت نتائجها عن طريق العقل أو الحواس أو الحواس والعقل معا؛

ومعلوم لكل ذى لب سليم أن نتائج العلوم الإنسانية والطبيعية ليست مأمونة الخطأ وإنما هى ظنية ، أى أنها ليست صادقة مطلقا ولا كاذبة مطلقا ، بدليل كثرة الأراء والمذاهب الإنسانية فى مسألة واحدة ناهيك عن جملة من المسائل أو القضايا المختلفة وكل مذهب أو فكر يزعم أنه وحده الصحيح وماسواه لا يرقى إلى مرتبة الصدق واليقين ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، فدائما ما تتغير نتائج هذه العلوم الطبيعية بين فترة وأخرى؛

وأنها لا تعرف اليقين التام أو الحقيقة المطلقة ، وبوجه عام فليس هناك أصدق من العلوم الإلهية التى أتت عن طريق الوحى الصادق ، وعن طريق أمناء الله تعالى فى أرضه وهم أنبياء الله عز وجل ورسله عليهم الصلاة والسلام كما أن من صفات المؤمنين الإيمان بالغيب أى كل ما غاب عن بصر الإنسان وحواسه ، ولكنه سمع به من رسول صادق أو من رب العزة سبحانه وتعالى فى كتبه المقدسة عامة وفى قرآنه الكريم خاصة؛

وهذا المعنى نفهمه من قول الله تعالى فى بيان صفات المتقين :

﴿ الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١)

---

(١) سورة البقرة الآيات : ١ – ٥ .

هذا هو موقف المؤمنين والمؤمنات من أخبار الله تعالى وأخبار أنبيـــاءه عليهم الصلاة والسلام مع ما يكون لهم فى الدنيا من هدى وأمن وأمان ، وما يكون فى الآخرة من فلاح وفوز بلقاء الله عز وجل والتنعم بخيراته ؟

و لم لا ؟ والجزاء من جنس العمل ولا يظلم الله تعالى الناس شيئا ، فهل بعد بيان الله ورسله عليهم الصلاة والسلام بيان ؟ وهل بعد كلام الله تعالى كلام ؟ وهل بعد هدى الله عز وجل هدى ؟ وهل هناك سعادة للإنسان فى الدنيا وفوز فى الآخرة بعيدا عن الله تعالى ومعونته ؟

الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر

الناظر فى آيات القرآن الكريم يجد أن الله عز وجل قرن الإيمان به ســبحانه وتعالى بالإيمان باليوم الآخر ، فلا فصل لأحدهما عن الآخر فمن آمن بالله تعـــالى و لم يؤمن باليوم الآخر لا ينفعه إيمانه وكذلك العكس لأن الإثنان متلازمان وليس الأمـــر كذلك فقط وإنما من شرط إيمان المؤمن أن يؤمن بجميع أركان الإيمان وأصول الديـــن التى أشرنا إليها من قبل ؟

ولكى يتأكد كلامنا هذا أى اقتران الإيمان بالله تعالى بالإيمان باليوم الآخر وأن الإثنان لا يفترقان وأنه لا ينفع أحدهما دون الآخر ؟

إليك أيها القارىء الكريم بعض الآيات القرآنية التى تؤكد هذا المعنى بـــأوضح بيان :ـ

١ – قول الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَــنْ آمَــنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُــمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١)

٢ – قول الله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِــنْ

(١) سورة البقرة الآية : ٦٢ .

الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١)

٣ – قول الله تعالى . ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٢)

٤ – قول الله تعالى ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣)

٥ – قول الله تعالى ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

٦ – قول الله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٥)

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٢٦ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٧٧ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٢٨ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٣٢

(٥) سورة البقرة الآية : ٢٦٤ .

فهذه الآيات القرآنية جاءت فى سورة واحدة من سور القرآن المدنى الذى نــزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة وهى سورة البقرة وهى أطول سورة مدنية على الإطلاق .

وقد قرن الله تعالى فيها الإيمان به عز وجل بالإيمان بــاليوم الآخــر ، أى أن الإيمان بالله تعالى يؤدى إلى الإيمان باليوم الآخر وما يكون فيه من أحداث تشيب لها الولدان .

٧ – قول الله تعالى ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١)

فهذه الآية الكريمة جاء ذكرها فى سورة مدنية كذلك وقد خاطب الله تعالى فيها أهل الكتاب – اليهود والنصارى – خاصة والمسلمون عامة مبينا فيها صفات المؤمنين الذين من صفاتهم :

الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وما يكون فيه من ثواب وعقــاب ، ويــأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون فى الخيرات ، فهؤلاء المؤمنون إن آمنوا بهــذه الأمور وعملوا بأحكامها فإنهم يكونوا من الصالحين كما قضى الله تعالى بذلــك وقدر فى علمه الأزلى القديم .

وبوجه عام فإن اليوم الآخر يحتل مكانا بارزا فى الفكر الإسلامى الأصيل وهــو ركن هام من أركان الإيمان وأصول الدين وقد آمن من آمن به ، وكفر من كذب بــه والتكذيب به تكذيب لما علم من الدين بالضرورة - لأنه ثابت فى جميــع الشرائع السماوية من لدن آدم عليه الصلاة والسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

(١) سورة آل عمران الآية : ١١٤ .

الباب الثانى

الموت ومتعلقاته

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مفهوم الموت .
الفصل الثانى : سؤال القبر وعذابه ونعيمه .
الفصل الثالث : مستقر الأرواح .

الفصل الأول

مفهوم الموت

فى هذا الفصل – بمشيئة الله وتوفيقه – نبين معنى الموت أو مفهومه وهل الروح تموت أم لا ؟ وهل النفس واحدة أو متعددة ؟ إلى غير هذا من أمور نعرض لها فى موضعها .

وبداية نشير إلى أن الموت مخلوق شأنه فى ذلك شأن أى مخلوق كما أن الحياة مخلوقة ، وأن ذلك يرجع إلى حكم كثيرة أخفى الله عز وجل عنا أكثرها ، وأظهر لنا طرفا يسيرا منها ، وأن الحياة نعمة من الله تعالى ينظر الله لعبده ماذا يصنع هذه النعمة هل يرعى حقها أم يضيعها . كذلك الموت نعمة ورحمة من الله عز وجل على عباده ، وقد بين الله تعالى حكمة خلق الموت والحياة بقوله عز وجل من قائل :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (١)

كما أن الحياة مقدّرة فى علم الله تعالى الأزلى ولن يستطيع مخلوق أن يتأخر أو يتقدم لحظة واحدة عن أمر الله عز وجل . وهذا ما يؤكده رب العزة سبحانه وتعالى بقوله :

﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢)

كما أن كل نفس تموت حتى ملك الموت – الموكل بقبض الأرواح – يموت ولم يبق إلا الله الحى الذى لا يموت وذلك كما قضى الله عز وجل فى علمه القديم بقوله عز من قائل :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ

---

(١) سورة الملك الآيتان : ١ ، ٢ .

(٢) سورة المنافقون الآية : ١١

وبهذا يتأكد أن " ملك الموت " يقوم بقبض أرواح الخلق بناء على أمر من الله تعالى وحده ، وأن كل نفس تموت بأجلها دون تقديم أو تأخير وأن هذا لا يمنع أن الله تعالى قد وكل رسلا لمساعدة ملك الموت في القيام بمهمته هذه ، فكيف يستبعد العقل هذا الأمر ؟ وكيف يشكك فيه بعد أن عرف أن الدنيا بالنسبة لملك الموت كمائدة يجلس عليها ، أو كطست في متناول يده بحيث لا يصعب عليه شيء بأمر الله تعالى ومعونته ؟

وأن الموت عبارة عن انتقال من دار إلى دار إنتقال من دار فيها عمل دون حساب إلى دار فيها حساب ولا عمل ، وأن الموت عبارة عن حد فاصل بين حياة الدنيا وحياة الآخرة ؛

وأن الله عز وجل – بحكمته ورحمته – جعل هذه الدنيا فرصة للإنسان بوجه عام والمؤمن والمؤمنة بوجه خاص أن يتزود فيهما من التقوى والعمل الصالح ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [(١)] وبالموت تنقطع صلة الإنسان بالدنيا إلا ما استثناه رسول الشريعة الخاتمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله :

" إذا مات الإنسان إنقطع عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعوا له " [(٢)] لذا فقد أمر الله عز وجل عباده عامة والمؤمنين خاصة بعمل الصالحات وحذرهم من عمل السيئات ، وأنه تعالى مطلع على الجميع فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وسوف يخبرهم بما قدموا وما أخروا وذلك يوم القيامة يوم لا ينفع ندم أو ملامة ، وهذا ما يؤكده " رب العزة " سبحانه وتعالى

---

(١) سورة الشعراء الآيتان ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) الحديث : رواه الإمام مسلم في كتاب الوصية .

بقوله عز من قائل . ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١)

كما أن الأعمال بخواتيمها وليس ببداياتها أى أن العبرة بالمداومة على العمل والإخلاص فيه إلى آخر لحظة من عمر الإنسان فى هذه الدنيا فلا يشرك فى عمله أحد مع " الله " تعالى وإلا فعمله مردود عليه وهذا ما أكده " رب العزة " سبحانه وتعالى فى قرآنه الكريم بقوله :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (٢)

كذلك أكد هذا المعنى رسول الشريعة الإسلامية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه الصحابى الجليل " أبو هريرة " رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار ، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة " (٣)

وفى حديث الصحابى الجليل " سهل بن سعد " رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن العبد ليعمل عمل أهل النار وأنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار ، وإنما الأعمال بالخواتيم " (٤)

وكما حذرنا " النقل " من سوء الخاتمة فى كلام " الله " تعالى القديم ، وعلى لسان رسوله الأمين سيدنا " محمد " صلى الله عليه وسلم فقد حذرنا " العقل " كما جاء عن أئمة الإسلام وعلمائه الأبرار كذلك فهذا أحدهم يقول فى ذلك :

---

(١) سورة التوبة الآية : ١٠٥ .

(٢) سورة الكهف الآية : ١١٠ .

(٣) الحديث : رواه الإمام مسلم فى كتاب القدر .

(٤) الحديث : رواه الإمام البخارى فى كتاب القدر .

" فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قربك فإن ذلك وإن كان من كسبك فإنه من خلق ربك فمهما افتخرت بذلك كنت كالمفتخر بمتاع غيرك وربما سلبه عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف الطير فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم فأصبحت وزهرها يابس هشيم ، كذلك العبد يمسى وقلبه بطاعة الله مشرق سليم فيصبح وهو بمعصيته مظلم سقيم " (١)

كما حذر علماء الإسلام من إرتكاب المعاصى بوجه عام والكبائر بوجه خاص لأن الإصرار على إرتكاب الصغائر يؤدى إلى إرتكاب الكبائر وإرتكاب الكبائر يؤدى إلى الكفر والخروج من الإسلام كلية – والعياذ بالله – وهذا أحدهم يقول فى ذلك :–

" وعلى العبد أن لا يتهاون بصغائر الذنوب حتى لا تهون عليه كبائرها والصغيرة بجوار أختها تزداد وتكبر والمصر عليها على شفا هلكة ومعظم النار من مستصغر الشرر ، فعن عائشة – رضى الله عنها – قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا عائشة إياك ومحقرات الأعمال – وفى لفظ الذنوب – فإن لها من الله طالبا " (٢)

وقال ابن قدامة رحمه الله إعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب منها الإصرار والمواظبة وفى الحديث من رواية ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال " لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع الإستغفار " (٣)

واعلم أن العفو عن كبيرة قد انقضت و لم يتبعها مثلها أرجى من العفو عن صغيرة يواظب عليها العبد ، ومن الأسباب التى تعظم بها الصغائر أن يستصغر الذنب كلما استعظمه العبد صغر عند الله تعالى ، وكلما استصغره العبد كبر عند

---

(١) الإمام القرطبى : التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الأخرة ص ٣٦ وما بعدها .

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ج ٦ ص ٧٠ ، ١٥١ ، وابن ماجه فى سننه ج ٢ ص ١٤١٨ ، والدارمى ج ٢ ص ٣٠٣ .

(٣) الحديث : رواه أبو الشيخ ومن طريقة " الديلمى " .

الله تعالى فإن استعظامه يصدر عن نفور القلب منه وكراهيته له " (١)

وإن الموت ليس عدم محض أو فناء صرف وإنما الموت تبدل حال وانتقال من دار إلى دار ، لذا قال علماء الإسلام فى تعريف الموت :

" الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار " (٢)

والموت يعنى عجز الإنسان عن ممارسة نشاطه أو حركته التى كان يقوم بها قبل خروج روحه من جسده فيصبح الجسم – بعد خروج الروح – لا حركة ولا حول له ولا قوة ، وأن هذا يشير إلى عظم مكانة الروح بالنسبة للإنسان فهى سر من أسرار الله تعالى وبسببها جعل الله تعالى الإنسان خليفته فى أرضه ، وجعله سيدا ومفضلا على كثير من خلقه وسخر له كل شىء فى هذا الوجود ، وقد عرّف علماء الإسلام الروح فقالوا :

" والروح جسم لطيف شفاف ، حى لذاته ، مشتبك بالبدن إشتباك الماء بالعود الأخضر ، وعند مفارقته الجسد ينقطع تصرفه فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها حسب مشيئتها " (٣)

والناظرفى أحوال الموتى يستطيع الخروج بعدة دروس هامة يمكن الإستفادة منها ونقلها للأحياء الذين يريدون أن يذكروا أو يريدون شكورا من هذه الدروس :–

أولا : أن الموت لا يخضع لحسابات إنسانية ، ولا يتوقف على قصر العمر أو طوله ، ولا يرجع إلى صحة أو مرض أو غير ذلك من أسباب أو حسابات إنسانية .

ثانيا : أن الذى يملك التصرف فى أمور الخلق كافة هو الله تعالى وحده ، وأن غيره تعالى لا يملك لنفسه أو لغيره شيئا فهو سبحانه وتعالى الذى يقدر الآجال ،

---

(١) د / عبد الله شاكر : براءة أهل السنة من تكفير عصاة الأمة ص ٩ ، ١٠ باختصار .

(٢) الإمام القرطبى : التذكرة ص ١٠ ، الإمام ابن قيم الجوزية : الروح ص ٤٥ .

(٣) كمال الدين الطائى : رسالة فى التوحيد ص ١٠٠ .

ويختار اللحظة التى يتم فيها مفارقة الروح للجسد ، وأنه لا يغيب عن علمـــه شىء فى الأرض أو فى السماء .

ثالثا : أن قبض روح المؤمنين يختلف عن قبض روح الكافرين ، فعند قبض روح المؤمن يرسل الله عز وجل إليه ملائكة موصوفون بالرحمة ليقوموا بمعالجة روحه فى يسر وسهولة ويقولون لها أخرجى أيتها النفس الطيبة إلى مغفـــرة مـــن الله ورضوان ، ويدعون صاحبها بأحب الأسماء إليه ويبشرونه بالجنة .

أما روح الكافر فيرسل الله عز وجل إليها ملائكة غلاظ شداد ليعـــالجوا قبض روحه بغلظة وشدة ، ويقولون أخرجى أيتها النفس الخبيثة إلى سخط من الله وغضب ، ويدعونه بأقبح الأسماء إليه ، وقد جاءت إشارات فى القرآن الكـــريم لتوضيح هذه المعانى فى مواضع متعددة منها : -

قول الله تعالى ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (1)

هذا فيما يتعلق بقبض روح المؤمنين ، أما قبض روح الكافرين والظالمين فقـــال الله فيهم ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِـنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيـهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (2)

ونشير إلى أن هناك من زعم - ويزعم - أن الموت عبارة عن توقـــف قلـــب الإنسان عن النبض أو الحركة ، أو أنه عبارة عن موت خلايا المخ ؟

ولا يخفى على كل ذى لب سليم مدى تهافت هذا الزعم ومخالفتـــه لمنطـــوق النصوص القرآنية وصريح البراهين العقلية ، فأصحاب هذا القول - الفاسد - يحاولون

---

(١) سورة النحل الآية : ٣٢ .

(٢) سورة النحل : الآيتان ٢٨ ، ٢٩

أن يسلبوا عن الله تعالى صفة من صفاته الأزلية وهى صفة الخلق والتكوين وقد ثبت بالدليل القاطع أن الله تعالى هو الذى خلق الموت والحياة وأنه لا دخل لهذه الأمور العارضة فى مسألة خلق الله عز وجل للموت والحياة ، وأن هؤلاء الذين يزعمون أن الموت يحدث نتيجة خلل فى إحدى وظائف أعضاء الإنسان

فزعمهم باطل ومردود عليه بالنقل والعقل ، أما الرد عليه نقلا فقد سبق الإشارة إليه ، أما بيان تهافته فى نظر العقل فهو كالتالى :

" الروح تغادر الجسم وهو فى أكمل حالات الصحة ، هذا هو التعريف الذى ذكره المسلمين وآمنوا به ، أما ما ذكره بعضهم من أن :

أ - الموت توقف القلب عن النبض ، فقد إنهارت فى السنوات الأخيرة بزراعة القلوب أو الأجهزة الصناعية .

ب - الموت هو موت خلايا المخ ، فقد إنهارت أيضا حينما أعلنت مستشفى جامعة طوكيو نجاحها فى إعادة مخ رجل للحياة بعد أن توقف نشاطه عدة شهور [(١)]

ومن الأمور المسلّمة عند المؤمنين وعلماء الغرب المنصفين : أن الإنسان يموت فى أى وقت وعلى أى وضع يشاؤه الله عز وجل ، وأن الموت هو المعضلة الحقيقية التى حيرت أزكى العقول الإنسانية ناهيك عن العقول العادية ، وهذا أحد العلماء الغربيين يؤكد هذه الحقيقة بقوله :

" إن الإنسان لا يسأم أبدا من البحث عن الخلود والسعى وراءه مع أنه لن يظفر به إلى الأبد فتركيبه الجسمانى يخضع لقوانين معينة إنه يستطيع أن يوقف الزمن الفسيولوجى لأعضاء الجسد حتى يؤخر الموت لفترة قصيرة ولكنه لن يتغلب على الموت أبدا " [(٢)]

---

(١) د / عبد الرزاق نوفل : يوم القيامة ص ٦٠ ، ٦٢ باختصار وتصرف .

(٢) د / الكسيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول ص ٢٠٩ .

وقد انقسم العلماء قسمين فى تفسيرهم للروح :

فريق يقول : إن الروح جسم لطيف شفاف .

فريق يقول : إن الروح ليس بجسم ولا عرض وإنما هى جوهر ، وهـذا الـرأى -الأخير - أشار إليه أحد العلماء بقوله :

" هذا سؤال عن سر الروح الذى لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى كشفه لمن ليس أهلا له فإن كنت من أهله فاسمع واعلم أن الروح ليس بجسم يحل البدن حلول الماء فى الإناء ، ولا هو عرض يحل القلب والدماغ حلول السواد فى الأسود والعلم فى العالم ، بل هو جوهر وليس بعرض لأنه يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات " (١)

كذلك أشار أحد علماء الإسلام إلى أن تعلق الروح بالبدن لا يوصف بأنه داخل البدن أو خارجه أو حالا فيه ، وأن السر فى عدم كشف النبى صلى الله عليه وسلم عن حقيقة الروح أن العقول الإنسانية - عامة - لا تستطيع فهم ما يعنيه صلى الله عليه وسلم لذا فضّل عدم الكشف عن حقيقتها لهذا السبب ، وقد بين أحد العلماء هذا المعنى بقوله : " لا هو داخل ولا هو خارج ولا هو منفصل ولا متصل لأن مصحح الاتصاف بالاتصال والانفصال الجسمية والتحيز وقد انتفيا عنه فانفك عن الضدين ، كما أن الجماد لا هو عالم ولا هو جاهل لأن مصحح العلم والجهل الحياة ، فإذا انتفت انتفى الضدان ، فقيل له - الغزالى رحمه الله - هل هو فى جهة ؟ فقال : هو منزه عن الحلول فى المحال والإتصال بالأجسام والإختصاص بالجهات ، فإن كل ذلك صفات الأجسام وأعراضها والروح ليس بجسم ولا عرض فى جسم بل هو

---

(١) الإمام الغزالى : القصور العوالى ج ٢ ص ١٥٨ ، ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩٢ .

مقدس عن هذه العوارض ، فقيل له لم منع الرسول عليه السلام عن إفشاء هذا السر وكشف حقيقة الروح بقوله تعالى ﴿ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ (١) ؟

فقال : لأن الأفهام لا تحتمله لأن الناس قسمان : عوام وخواص ، أما من غلب على طبعه العامية فهذا لا يقبله ولا يصدقه فى صفات الله تعالى فكيف يصدق فى حق الروح الإنسانية ؟

ولهذا أنكرت الكرامية و الحنبلية ومن كانت العامية أغلب عليه ذلك وجعلوا الإله تعالى جسما إذ لم يعقلوا موجودا إلا جسما مشارا إليه . (٢)

وعلى هذا فإن عدم الخوض فى مثل هذه الأمور وهذه الأسرار الإلهية أولى من الخوض فيها ، وهذا ما فعله السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين تأسيا برسول الشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم العالم بكتاب الله تعالى وما يحويه من أسرار ، فإذا كان هذا شأن النبى صلى الله عليه وسلم أعنى إمساكه عن الكلام فى مثل هذه الأسرار الإلهية فكيف بحال غيره عليه الصلاة والسلام ؟ مع أننا مأمورين باتباعه قولا وفعلا فى حياته وبعد مماته صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة الإسراء : جزء من الآية ٨٥ .

(٢) الإمام الغزالى : القصور العوالى ج ٢ ص ١٦٠ .

مسألة خلافية

هذا وقد تباينت أراء العلماء فيما إذا كانت الروح قديمة أو حادثة وكلا منهما يحاول أن يدعم مذهبه بالأدلة النقلية والبراهين العقلية مضيفا إليها بعض أقوال علماء السلف رضوان الله عليهم أجمعين الواردة بهذا الشأن ، مع أن الرأى الذى أجمع عليه علماء أهل السنة والجماعة أن الروح مخلوقة وحادثة وليست قديمة ، وقد أكد علماء الإسلام على هذا المعنى بقوله :ـ

[فقيل الروح قديمة ، وقد أجمعت الرسل عليهم الصلاة والسلام على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة وهذا معلوم بالضرورة من دينهم أن العالم حادث ، ومضى على هذا الصحابة و الصالحون و التابعون حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه فى الكتاب والسنة فزعم أنها قديمة واحتج بأنها من أمر الله تعالى أضافها إليه بقوله ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ (١) وبقوله ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ (٢) كما أضاف إليه علمه وقدرته وسمعه وبصره ويده.

وتوقف آخرون ، واتفق أهل السنة والجماعة أنها مخلوقة وممن نقل الإجماع على ذلك محمد بن نصر المروزى و ابن قتيبة وغيرهما ، ومن الأدلة على أن الروح مخلوقة قول الله تعالى ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٣) فهذا عام لا تخصيص فيه بوجه ما ولا يدخل فى ذلك صفات الله تعالى فإنها داخلة فى مسمى إسمه فهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق وما سواه مخلوق ومعلوم قطعا أن الروح ليس هى الله تعالى ولا صفة من صفاته وإنما هى من مصنوعاته] (٤)

---

(١) سورة الإسراء جزء من الآية : ٨٥ .

(٢) سورة الحجر جزء من الآية : ٢٩ .

(٣) سورة الزمر جزء من الآية : ٦٢ .

(٤) ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩١ .

هذا فيما يتعلق ببيان أراء علماء الإسلام فى حقيقة الروح ، وهل هى داخل الجسد أو خارجه ؟ وهل هى جوهرا أو عرضا ؟ وهل هى قديمة أو حادثة ؟

وإنه لا يخفى على كل ذى لب سليم أن الإنسان يتركب من الجسم والروح معا ، ولا يمكن فصل حقيقة الإنسان عن هذين الشيئين ، ولكن الخلاف جاء من ناحية مسمى الإنسان هل هو الروح فقط ؟ أم الجسم فقط ؟ أم الجسم والروح معا ؟

وقد أكد علماء الإسلام على أن الإنسان لا يوصف بأنه جسم فقط أو روح فقط بل الإنسان مركب منهما معا ، وهذا أحدهم يقول فى ذلك :

" وللناس فى مسمى الإنسان هل هو الروح فقط ؟ أو البدن فقط ؟ أو مجموعهما أو كل منهما ؟ وهذه الأقوال الأربعة لهم فى كلامه هل هو اللفظ ؟ أو المعنى فقط ؟ أو هما ؟ أو كل منهما ؟ فالخلاف بينهم فى الناطق ونطقه والحق أن الإنسان إسم لهما وقد يطلق على أحدهما بقرينة وكذا الكلام " (١)

وعلى كل فإن الخلاف مازال قائما – بين علماء الإسلام – فيما إذا كانت الروح جوهرا أو عرضا ؟ داخل البدن أو خارجه ؟ تموت بموت الجسد أم تبقى بعده ؟

ومع هذا فإن هناك إجماعا من علماء أهل السنة والجماعة على أن النفس أو الروح مخلوقة ومصنوعة وحادثة وليست قديمة لأن كل شيىء غير الله تعالى وصفاته وأفعاله مخلوق وحادث أما من شذ عن إجماع العقلاء زاعما أن الروح قديمة لا حادثة لأنها من أمر الله تعالى فقوله مخالف للنقل و العقل معا ،

ومن جهتى أرى أن الروح سر من أسرار الله تعالى لا يمكن لأحد من الناس الوقوف على حقيقتها أو كشف ماهيتها ومهما حاول الباحثون أن يصلوا إلى رأى قاطع فلن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا يدلنا على هذا ،

---

(١) ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩٢ .

عندما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم – من اليهود وغيرهم – عن الروح فلم يقل شيئا فيها وإنما قال من أمر ربي ، ومعلوم أن أمر الله تعالى لا يمكن لأحد كشف حقيقته حتى ولو كان ملكا مقربا أو رسولا مرسلا فضلا عن أن يكون إنسانا عاديا .

تمنى الموت

هل للإنسان أن يتمنى الموت ؟ وقد أجاب نبى الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن هذا السؤال فى عدة أحاديث وردت عنه مفادها :

أنه لا يجوز للإنسان أن يتمنى الموت لضر نزل به لماذا ؟ لأن تمنى الموت – فى هذه الحالة – فيه نوع من الشكوى أو عدم الرضا عن قضاء الله تعالى وقدره ، وأن واجب الإنسان المؤمن خاصة أن يرضى بما قضاه الله تعالى وقدره سواء كان خيرا أو شرا ، لأن الإنسان لا يعرف فيما إذا كانت الحياة خيرا له ، أم أن الموت خيرا له ، كذلك علمنا نبى الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما نقوله وهو طلب الخير من الله تعالى سواء كان بالموت أو الحياة ، ثم نفوض الأمر لصاحب الأمر سبحانه وتعالى ليختار ما يشاء ، وقد أكد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على هذه المعانى الطيبة فى هذا الحديث الصحيح الذى رواه الصحابى الجليل أنس رضى الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لابد متمنيا ، فليقل اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى] .(١)

وقال النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر : " لايتمنين أحدكم الموت إما محسنا فلعله يزداد خيرا ، وإما مسيئا فلعله يستعتب " (٢)

---

(١) الحديث أخرجه الإمام " البخارى " فى كتاب الدعوات – باب الدعاء بالموت والحياة .

(٢) الحديث أخرجه الإمام " البخارى " فى كتاب التمنى – باب ما يكره من التمنى .

ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام " فلعله يستعتب " الإستعتاب طلب العتب وهو الرضا وذلك لا يحصل إلا بالتوبة والرجوع عن الذنوب .[1]

ومعنى الحديث بوجه عام لا يتمنين أحدكم الموت محسنا أو مسيئا أى سواء كان على حالة الإحسان أو الإساءة ، أما إن كان محسنا فلا يتمنى الموت لعله يزداد إحسانا على إحسانه فيضاعف أجره وثوابه ، وأما إن كان مسيئا فلا يتمنى أيضا إذ لعله يندم على إساءته ويطلب – من الله تعالى – الرضا عنه فيكون ذلك سببا لمحو سيئاته التى اقترفها .[2]

والناظر فى حديثى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد أنهما يخاطبان الفطرة السليمة والعقول المستنيرة بكتاب الله تعالى وهدى رسوله عليه الصلاة والسلام ونأخذ منهما عدة دروس أهمها :

أولا : مدى رحمة نبى الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالناس عامة وبأمته خاصة وذلك بإرشادهم إلى ما ينفعهم فى حياتهم وبعد مماتهم .

ثانيا : بشارة النبى صلى الله عليه وسلم المذنبين بسعة رحمة الله تعالى وعدم اليأس فأمامهم فرصة للتوبة والرجوع إلى الله تعالى مرة أخرى ، وفيهما دعوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم – للمذنبين – بالتوبة والاستغفار ، وفيهما دعوة للمطيعين للتزود من الخيرات والمسارعة إلى الله تعالى بطلب الإستزادة من الخير .

ثالثا : تأكيد الرسول صلى الله عليه وسلم على ما يجب على المؤمن عمله تجاه قضاء الله تعالى وقدره وهو التسليم والرضا بكل ما قضاه الله عز وجل لعبده

---

(١) الإمام القرطبى : التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٤ ، ٥ .

(٢) الإمام القسطلانى : إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى ج ١٠ ض ٢٨٠ .

وذكر الله تعالى فى جميع الأحوال سواء كان فى اليسر أو العسر ، فى الصحة أو المرض ، فى الطاعة أو المعصية ؟

هذا فيما يتعلق بالرأى الأول الذى يقول بعدم تمنى الموت لضر نزل بالإنسان إلا أن هناك رأيا آخر ذهب إليه بعض علماء الإسلام يخالف الرأى الأول مستدلين على رأيهم هذا ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية – أيضا – خلاصته . أنه يجوز للإنسان أن يتمنى الموت ودعاء ربه عز وجل بالتعجيل به خوف ذهاب دينه ؟

وقد استدل هذا الفريق من العلماء على رأيهم بهذه الأدلة :

١ – قول الله تعالى على لسان نبى الله يوسف عليه السلام ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١) قال " قتادة " رضى الله عنه : لم يتمن الموت أحد نبى ولا غيره إلا يوسف عليه السلام حين تكاملت عليه النعم وجمع له الشمل اشتاق إلى لقاء ربه عز وجل فقال ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ﴾ (٢) وقيل : إن يوسف عليه السلام لم يتمنى الموت وإنما تمنى الموافاة على الإسلام أى إذا جاء أجلى توفنى مسلما ؟

وهذا القول هو المختار فى تأويل الآية الكريمة عند علماء التفسير رحمة الله عليهم أجمعين .

٢ – قول الله تعالى على لسان مريم عليها السلام ﴿ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنسِيًّا ﴾ (٣) قال بعض علماء الإسلام : إن مريم عليها السلام تمنت الموت لسببين :

أولهما : أنها خافت أن يظن بها السوء فى دينها وتُعيّر فيفتنها ذلك .

---

(١) سورة يوسف جزء من الآية : ١٠١ .

(٢) سورة يوسف جزء من الآية : ١٠١ .

(٣) سورة مريم جزء من الآية : ٢٣ .

ثانيهما : أن يقع قوم بسببها فى البهتان والنسبة إلى الزنا وذلك مهلك لهم .

٣ – حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه :

" لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى مكانه " (١)

قال بعض العلماء إنما هو خبر أن ذلك سيكون لشدة ما ينزل بالناس من فساد الحال فى الدين وضعفه وخوف ذهابه لا لضر ينزل بالإنسان فى جسمه وماله .

قالوا : ومما يؤكد هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم (٢) " اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين ، وإذا أردت فى الناس فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون " (٣)

هذا هو الرأى الثانى المجيز تمنى الموت فى حالة وجود أسباب معينة كذهاب الدين والفتنة وما شابه ذلك .

وربما يفهم البعض أن هناك تعارضا أو تناقضا بين الرأيين كما هذا هو الظاهر منهما ولكن حقيقة الأمر وباطنه خلاف الظاهر والمخيل كيف ؟

لأن الرأى الأول : ينهى عن تمنى الموت فى حالة نزول ضر بالإنسان فلو تمنى الموت – فى هذه الحالة – فإن هذا يكون فيه نوع من عدم الرضا بقضاء الله تعالى وقدره .

والرأى الثانى : يجيز تمنى الموت فى حالة الخوف على الدين وفتنة الناس بسبب شىء نزل بالإنسان كما حدث للسيدة مريم عليها السلام وعلى هذا فإنه لا

---

(١) الحديث : رواه الإمام مالك فى الموطأ – جامع الجنائز ج ١ ص ١٨٧ .

(٢) الإمام القرطبى : التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٦ ، ٧ بتصرف .

(٣) الحديث : رواه الإمام مالك فى الموطأ – القرآن – العمل فى الدعاء ج ١ ص ١٧٠ .

تعارض بين الرأيين ولا تناقض بينهما وذلك لعدة أمور أهمها في نظري :-

١ - أنه لا يمكن أن يكون هناك تعارضا أو تناقضا بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية يصدق بعضها بعضا ، كذلك الشأن في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يتعارض بعضها مع بعض لأن لكل حديث أو أحاديث - منها سبب خاص به وأن هذا السبب لا ينسحب على غيره حتى يفهم منه تعارضا .

٢ - إن أعداء الإسلام والمسلمين يحاولون بشتى الوسائل أن يوهموا بعض الناس أن هناك تعارضا أو تناقضا بين الآيات القرآنية بعضها مع بعض ، وبعضها وبعض الأحاديث النبوية ، وبعضها مع بعض النتائج والقوانين الطبيعية الإنسانية ،

ولكن هيهات لهم ذلك فالقرآن الكريم محفوظ بحفظ الله تعالى له لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كذلك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بها إلا بناء عن وحى من الله تعالى فكيف يأتى إليها الشك أو التعارض - المزعوم - مع بعض الآيات القرآنية .

٣ - إن الله عز وجل ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم حذرنا من الفتنة والوقوع فيها لأنها تضر بالدين والدنيا وذلك فى قوله عز من قائل ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١) وقانا الله تعالى شر الفتنة فى الدين والدنيا والآخرة ورزقنا فهم كتابه وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة الأنفال الآية : ٢٥ .

ما الذى يتبع الميت ؟

ويقول قائل الإنسان بعد موته وانتقاله من دار الدنيا إلى دار الآخرة هل ينتقل أو يتبعه شيء ؟

أجاب علماء الإسلام على هذا السؤال قائلين : إن هناك أشياء تتبع الميت منها ما هو مادى ، ومنها ما هو معنوى ، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يفيد تحديد هذه الأشياء بثلاثة وما يفيد – كذلك – عدم الإقتصار على الثلاثة بل تتعدى إلى سبعة أشياء ، أما ما يفيد أن الذى يتبع الميت ثلاثة أشياء فقد جاء .

فى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يتبع الميت ثلاثة فيرجع إثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله " (١)

أما مايفيد ما يتبع الميت أكثر من ذلك فقد جاء فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره ، وولدا صالحا تركه ، ومصحفا ورثه ، أو مسجدا بناه ، أو بيتا لإبن السبيل بناه ، أو نهرا أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته يلحقه من بعد موته " (٢)

والناظر فى هذين الحديثين الشريفين ربما يفهم منهما أن بينهما تعارضا أو تناقضا ولكن التعارض أو التناقض غير موجود أصلا وغير متصور ألبتة وذلك لأمرين :

١ – إما لأن تحديد العدد فى هذا الأمر غير حجة .

٢ – وإما لأن النبى محمد صلى الله عليه وسلم أخبر أولا بما يقيد العدد فى ثلاثة

---

(١) الحديث أخرجه الإمام " البخارى " فى كتاب الرقاق – باب سكرات الموت .

(٢) الحديث : رواه الإمام ابن ماجه فى المقدمة – باب ثواب معلم الناس الخير .

أشياء ، ثم أطلعه الله عز وجل على الزائد فأخبر به صلى الله عليه وسلم بعد ذلك .

وعلى هذا لا يوجد تعارض أو تناقض بين الحديثين الشريفين ولأن أبواب الخير ليست مقصورة أو محصورة فى أشياء دون أشياء وإنما أبوابها كثيرة ومتنوعة وتناسب جميع الناس فى كل زمان ومكان .

فالحديث الأول : أجمل الأشياء التى تتبع الميت دون تفصيل .

أما الحديث الثانى : فقد فصل وبين هذه الأمور بشىء من التفصيل ، ولو تدبرنا فى الحديث الثانى الوارد عنه صلى الله عليه وسلم لوجدنا أن الأشياء الزائدة فيه عن الحديث الأول هى :

١ – المصحف المورث .

٢ – المسجد المشيّد .

٣ – البيت المبنى لإبن السبيل .

٤ – النهر الجارى .

فهذه الأشياء أو الأمور الأربعة تدخل تحت مفهوم الصدقة الجارية كما لا يخفى ذلك على كل ذى لب سليم ، وعلى كل فإن إحتمال التعارض أو التناقض بين الحديثين الشريفين غير موجود أصلا كما قد يفهم البعض منهما فى محاولة لوجود التباين أو التضارب فى أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وهذا ما نرفضه جملة وتفصيلا لأنه عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى .

الفصـــل الثانـــى

ســؤال القـــــــــبر
و
عذابـــــــــــه
و
نعيمـــــــــــه

فى هذا الفصل - بمشيئة الله وتوفيقه - نبرهن على سؤال الميت فى قبره ، وأنه يعذب وينعم فيه بحسب عمل الإنسان وذلك بالنصوص النقلية والبراهين العقلية ›

وبداية نعطى القارىء الكريم فكرة موجزة عن مفهوم القبر :

[القبر " مفرد وجمعه القبور وهو جمع كثرة و أقبر جمع قلة ويقال لمدفن الموتى مقبر ومقبرة] (1)

وقد جاء ذكر القبر ومعناه فى آيات كثيرة من آى الذكر الحكيم وذلك فى معرض الرد على المنكرين والمشككين فى بعث الأموات من قبورهم وحسابهم على ما قدموا وما أخروا من أعمال وقد رد الله عز وجل على هؤلاء المنكرين والمشككين فاضحا قولهم واعتقادهم - الفاسد - وذلك فى قوله تعالى :

﴿ قُتِلَ الإنسان ما أكفره (١٧) من أي شيء خلقه (١٨) من نطفة خلقه فقدره (١٩) ثم السبيل يسره (٢٠) ثم أماته فأقبره (٢١) ثم إذا شاء أنشره (٢٢) كلا لما يقض ما أمره ﴾ (2)

وقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤكد سؤال الميت قبر أم لم يقبر ويتم السؤال من قبل ملكين يسمى أحدهما منكر والآخر نكير ولا عبرة بمن أنكر وجود الملكين فى القبر ووجود السؤال فيه لأن إنكارهما مخالف للنقل و العقل معا ولا دليل لهم على ما يزعمون .

---

(١) الإمام القرطبى : التذكرة ص ٨٨ ، السفارينى : لوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ٤ .

(٢) سورة عبس الآيات : ١٧ - ٢٣ .

النصوص النقلية وسؤال القبر

الأدلة التى تؤكد سؤال الميت فى قبره كثيرة منها :

١ – الحديث الذى رواه البراء بن عازب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه [المسلم إذا سئل فى القبر يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فذلك قوله " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة] (١)

٢ – الحديث الذى رواه أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ماكنت تقول فى هذا الرجل – أى لمحمد عليه الصلاة والسلام – فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : أنظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا ، وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمضارب من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين » (٢)

٣ – الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . " إذا قبر أحدكم أو الإنسان ، أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل " محمد " صلى الله عليه وسلم فهو قائل ما كان يقول ، فإن كان مؤمنا ، قال : هو عبد الله ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فيقولان له : إنا كنا لنعلم أنك تقول ذلك ، ثم يفسح له فى قبره

---

(١) الحديث : أخرجه الإمام " مسلم " فى كتاب الجنة – باب عرض مقعد الميت .

(٢) الحديث : أخرجه الإمام " البخارى " فى كتاب الجنائز – باب ما جاء فى عذاب القبر .

سبعون ذراعا فى سبعين ذراعا وينور له فيه ، ويقال له : نم ، فيقول : أرجع إلى أهلى ومالى فأخبرهم ، فيقولان : نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، ثم يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقا قال : لا أدرى كنت أسمع الناس يقولون شيئا فكنت أقوله ، فيقولون له : كنا نعلم أنك تقول ذلك ، ثم يقال للأرض إلتئمى عليه ، فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه ، فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك "[1]

٤ – الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . " إذا احتضر المؤمن . أتته الملائكة بحريرة بيضاء فيقولون أخرجى أيتها الروح الطيبة راضية مرضيا عنك إلى روح وريحان ورب غير غضبان ، فتخرج كأطيب ريح مسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتوا باب السماء فيقولون : ما أطيب هذه الريح التى جاءتكم من الأرض ، فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه ، فيسألونه ماذا فعل فلان ؟ قال فيقولون : دعوه يستريح فإنه كان فى غم الدنيا ، فإذا قال أتاكم فيقولون إنه ذهب به إلى أمه الهاوية ، وإن الكافر إذا إحتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون : أخرجى مسخوطا عليك إلى عذاب الله فتخرج كأنتن ريح جيفة ، حتى يأتوا به باب الأرض فيقولون : ما أنتن هذه الروح حتى يأتوا به أرواح الكفار "[2]

فهذا قليل من كثير من الأحاديث النبوية الصحيحة التى تؤكد على أن فى القبر سؤالا ليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ، وليزداد الذين آمنوا إيمانا مع إيمانهم ، ثبتنا الله تعالى – بفضله ورحمته – عند السؤال ووقانا عذاب القبر وضمته .

---

(١) الحديث : رواه الإمام " أبى حاتم " فى صحيحه .

(٢) الحديث : رواه الأئمة " النسائى " " و البزار " " ومسلم " مختصرا .

العقل وسؤال القبر

إذا كانت النصوص النقلية قد برهنت وأكدت على سؤال الميت فى قبره بحيث لا يبقى هناك أى شبهة للمنكرين أو المشككين فى سؤال القبر؟

فإن العقل قد أيد النقل فى هذه القضية الهامة وأن الإثنان متوافقان فى هذا الأمر، وقد أكثر علماء الإسلام من البرهنة العقلية المستنيرة بالنصوص النقلية على أن هناك سؤالا فى القبر للمؤمن وغير المؤمن؟

فهذا أحدهم يقول فى هذا مؤكدا على سؤال الميت فى قبره: " ويراد به أن الله تعالى يحى العبد المكلف فى قبره برد الحياة إليه ويجعله من العقل فى مثل الوصف الذى عاش عليه ليعقل ما يسأل عنه وما يجيب به ويفهم ما أتاه من ربه تعالى وما أعدّ له فى قبره من كرامة أو هوان " (1)

هل سؤال القبر عام أم خاص ؟

ويسأل سائل هل سؤال الميت فى القبر عام لجميع الأمم أم هو خاص بالأمة المحمدية أمة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

وقد انقسم العلماء بإزاء الإجابة على هذا السؤال ثلاثة أقسام :

أولهما : يذهب إلى أن سؤال القبر عام لا يخص أمة دون أمة .

ثانيهما : يذهب إلى أن سؤال القبر خاص بأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ثالثهما : اختار التوقف فى هذا الأمر و لم يقطع برأى .

ولكن الرأى الراجح فى هذه القضية هو الرأى الأول الذى يذهب إلى أن السؤال عام وليس خاص بأمة معينة ، وقد بين أحد العلماء هذا الخلاف فى هذا

---

(1) الإمام القرطبى : التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ١٢٤ .

الموضوع بقوله : " وللناس فى سؤال منكر و نكير هل خاص بهذه الأمة أم لا ؟ ثلاثة أقوال : الثالث – منهما – التوقف وهو قول جماعة منهم أبو عمر بن عبد البر فقال وفى حديث زيد بن ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها " (١)

وعلى هذا القول يحتمل أن تكون هذه الأمة قد خصت بذلك وهذا أمر لا يقطع به ويظهر عدم الإختصاص والله أعلم (٢)

وأرى أن سؤال القبر عام لجميع الأمم ولا يخص أمة دون أمة لأن الرب تعالى واحد والدين واحد والتكاليف عامة وليست خاصة بأمة دون أمة ، كما أن الملكين الموكلين بهذا الأمر موجودان فى كل زمان ومكان فكيف يكون السؤال خاصاً بأمة دون أمة ؟ وحقيقة السؤال وكيفيته مرده إلى الله عز وجل وحده .

الإيمان بسؤال القبر

هذا وقد أكد علماء الإسلام على أن الإيمان بسؤال القبر من الأمور الواجبة على المؤمن والمؤمنة وهو مذهب جمهور المسلمين (٣)

عذاب القبر

أتفق جمهور المسلمين على أن فى القبر نعيما للمطيعين ، وعذابا للعاصين بكيفية لا يعلمها إلا الله تعالى وحده ، وقد أكدت النصوص النقلية والبراهين العقلية على هذا والتى منها :

١ – قول الله تعالى فى آل فرعون ﴿ النار يعرضون عليها غدوًا وعشيا ويوم تقوم

(١) الحديث رواه " الإمام مسلم " و " أحمد " وهو مخرج فى الصحيحين ص ١٥٩ .
(٢) إبن العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠١ .
(٣) الإمام عبد السلام اللقانى : شرح جوهرة التوحيد ص ٢٢٠

الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ [1] أى أن لهم عذابا قبل بعثهم من قبورهم ، ولهم عذابا بعد خروجهم من قبورهم وذلك بإدخالهم فى أشد العذاب.

٢ – قول الله تعالى على لسان المذنبين العاصين ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ﴾ [2] والمراد بالإماتتين والإحياءين فى الآية الكريمة : الإماتة التى كانت قبل دخولهم قبورهم ، ثم إحيائهم مرة أخرى ثم إماتتهم فيه مرة أخرى ثم إحيائهم للحشر والحساب،

قال بعض علماء التفسير والغرض من ذكر الإحياءين : أنهم عرفوا فيهما – الإماتتين والإحياءين – قدرة الله عز وجل على بعثهم ولذا قالوا " فاعترفنا بذنوبنا " أى الذنوب التى حصلت بسبب إنكار البعث ، و لم يذكر الإحياء فى الدنيا لأنهم لم يكونوا معترفين بذنوبهم فى هذا الإحياء، وذهب بعضهم إلى أن المراد بالإماتتين:ما ذكر، وبالإحياءين الإحياء فى الدنيا والإحياء فى القبر لأن مقصودهم ذكر الأمور الماضية ، وأما الحياة الثالثة أى حياة الحشر فهم فيها فعلا لذا فلا حاجة لذكرها مرة أخرى .

٣ – قول الله تعالى ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (١٢٤) قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا (١٢٥) قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ [3]
قال الصحابيان الجليلان أبو سعيد الخدرى و عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما : المراد بالضنك فى الآية الكريمة عذاب القبر .

---

(١) سورة غافر الآية : ٤٦ .
(٢) سورة غافر الآية : ١١ .
(٣) سورة طه الآيات: ١٢٤ – ١٢٦ .

٤ – قول الله تعالى ﴿ وإن للذين ظلموا عـــذابا دون ذلـــك ولـــكــن أكثرهـــم لايعلمون ﴾ (١)

قال بعض المفسرين:" المراد بالعذاب فى الآية الكريمة ع عـــذاب القبر لأن (الله) تعالى ذكره عقب قوله تعالى ﴿ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ﴾ (٢) والمراد باليوم الآخر فى الآية الكريمة ع آخر يوم من أيامـــهم الدنيوية فدل هذا على أن العذاب الذى هم فيه هو عذاب القبر .

٥ – قول الله تعالى ﴿ ألهاكم التكاثر (١) حتى زرتم المقـــابر (٢) كلـــا ســوف تعلمون (٣) ثم كلا سوف تعلمون ﴾ (٣) فدلت هذه الآيات الكريمة علـى أن فى القبر عذابا للعاصين .

٦ – جاء فى الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن النبى صلـــى الله عليه وسلم قال " إنهم – أهل القبور – يعذبون عذابا تسمعه البهائم كلها " (٤)

٧ – جاء فى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليـــه وسلم مر بقبرين فقال " إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكـــان لا يستبرىء من البول ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ، فدعا بجريـــدة رطبـــة فشقها نصفين وقال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا " (٥)

٨ – جاء فى صحيح أبى حاتم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم " إذا قبر أحدكم أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان ،

---

(١) سورة الطور الآية : ٤٧ .
(٢) سورة الطور الآية : ٤٥ .
(٣) سورة التكاثر الآيات : ١ – ٤ .
(٤) الحديث أخرجه الإمام " البخارى " فى كتاب الدعوات باب التعوذ من عذاب القبر .
(٥) الحديث : متفق عليه ، صحيح أبى داود (١٥) .

يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير [1]

فهذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تبرهن بل وتؤكد على أن فى القبر عذابا للعاصين بحيث لا يمكن تأويلها أو صرفها عن ظواهرها وأنه لا حجة للمنكرين أو المشككين فى عذاب القبر بعد هذه البراهين الساطعة لكل ذى عقل سليم [2]

ومع هذا فقد حاول بعض الذين فى قلوبهم مرض أن ينكر عذاب القبر أو يشكك فى حدوثه بسبب قصر عقولهم عن تصوره ، وإنه لا عبرة بإنكار هذه الشرذمة الضالة المخالفة لكل ما هو منقول ومعقول ، لأن الله عز وجل قادر على كل شيء وأنه لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء ، وأنه لا دليل من نقل أو عقل على إنكارهم لعذاب القبر سوى أنهم لم يتصوروه أو يعقلوه أو لم يشاهدوه .

العقل وعذاب القبر

إذا كانت النصوص النقلية قد برهنت وأكدت على وجود عذاب فى القبر للعاصين فإن العقل يؤيد النقل فى هذا الأمر ولا يملك إلا التسليم بما جاء فى النصوص النقلية لأنها كلام الله تعالى وكلام رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ،

لذا فالواجب على المؤمن والمؤمنة التصديق بكل ما أخبر به الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لأن خبر الله تعالى وخبر رسوله عليه الصلاة والسلام

---

(١) الحديث : أخرجه الإمام " الترمذى " ١١٩ / ١٢ وقال : حديث حسن غريب وهو مخرج فى الصحيحة ١٣٩١ .

(٢) لمزيد من التعرف فى بيان هذا الموضوع راجع الإمام الجرجانى : المواقف وشرحه ص ٥٩١ ، الإمام التفتازانى : شرح المقاصد ج ٢ ص ٢٢٠ ، الإمام القرطبى : التذكرة ص١١٣ومابعدها ، الإمام ابن القيم الجوزية : الروح ص ٥٤ ، ٥٤ ، الإمام السفارينى : لوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ٥ ، ١٣ ، ١٤٢ ، ابن أبى العز شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩٨ ، ٣٩٩ .

صدق لا ريب فيه وكون العقل لم يقف على كيفية عذاب القبر فإن ذلك ليس مدعاة للتكذيب بوجود عذاب ونعيم فى القبر ، فكم من أمور ظاهرة مشاهدة للعقل ومع هذا فإنه لا يعلم حقيقة أمرها .

فكيف بهذه الأمور السمعية التى لم يكلفنا الله تعالى بالبحث عن حقيقتها أو كيفيتها وإنما كلفنا بالإيمان أو التصديق بها فقط .

وهذا لعلمه عز وجل بقصر العقول عن إدراك حقيقة هذه الأمور ولا يضر المؤمن والمؤمنة الجهل بكيفية عذاب القبر ولكن يضرهما التكذيب بوجوده أو الشك فى خبر الله تعالى وخبر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد أكد علماء الإسلام على عذاب العاصين فى القبر كما أخبر القرآن الكريم والسنة النبوية بذلك ، وهذا أحد العلماء يؤكد على هذه الحقيقة السمعية بقوله : " قال الجمهور إننا نؤمن بما ورد فى الأخبار ولله تعالى أن يفعل ما يشاء من عقاب ونعيم ويصرف أبصارنا ويغيبه عنا فلو كان الميت بيننا موضوعا كذلك يمتنع أن يأتيه الملكان ويسألانه ويجيبا من غير أن يشعر الحاضرون بهما ومثال ذلك نائمان بيننا أحدهما يُنعّم والآخر يُعذّب ولا يشعر بذلك أحد حولهما "[1]

كذلك قال أحد العلماء مؤكدا على ثبوت عذاب القبر بقوله :-
" وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ، ولا تتكلم عن كيفية إذ ليس للعقل وقوف على كيفية لكونه لا عهد له به فى هذه الدار والشرع لا يأتى بما تحيله العقول ولكنه قد يأتى بما تحتار فيه العقول ، فإن عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود فى الدنيا بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة

---

(١) الإمام القرطبى : التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ١٢٦ ، الإمام الغزالى : القصور العوالى ج ٢ ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، أحياء علوم الدين ص ١١٩ ج ٤ ص ٤٨٥ .

المألوفة فى الدنيا به"(1)

فهذا ما قاله العقل فى هذه القضية السمعية الهامة مؤيدا ما قالته النصوص النقلية ومسترشدا بها فى هذا السبيل وإن من واجب المؤمن والمؤمنة نحو كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم التصديق بهما تصديقا كاملا لا ريب فيه ، لأن التكذيب بهما تكذيب لله تعالى ولرسله عليهم الصلاة والسلام ومن يكذب بهما فهو كاذب كفار.

كذلك اتفق أهل السنة والجماعة على عذاب القبر وأجمعوا على أن منكره ضال مضل وذلك لثبوته بالكتاب والسنة والعقل ، قال أحد أئمة الإسلام مؤكدا على أن عذاب القبر حق " وهذا كما أنه مقتضى السنة الصحيحة فهو متفق عليه بين أهل السنة . قال " المروزى " قال أبو عبد الله : عذاب القبر حق لا ينكر إلا ضال مضل.

وقال ابن حنبل قلت لأبي عبد الله فى عذاب القبر فقال : هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها كلها جاءت عن النبى صلى الله عليه وسلم بإسناد جيد أقررنا به.

وإذا لم نقر بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعناه ورددناه ؟ رددنا على الله أمره قال الله تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ (2) قلت له وعذاب القبر حق ؟ قال حق يعذبون فى القبور ، قال وسمعت أبا عبد الله يقول : نؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير وإن العبد يسأل فى قبره فـ ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ (3) فى القبر(4)

---

(1) ابن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩٩ .

(2) سورة الحشر جزء من الآية : ٧ .

(3) سورة إبراهيم جزء من الآية : ٢٧ .

(4) الإمام ابن القيم : الروح ص ٧٢.

فهل بعد تأكيد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم تأكيد ؟ وهل بعد بيان الله ورسوله بيان ؟ حقا إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ومن يضلل الله فما له من هاد .

نعيم القبر

إذا كان ماسبق بيان وتأكيد لعذاب القبر للعاصين فإن الشيء المقابل لهم هم الطائعين الذين أنعم الله تعالى عليهم وجزاهم بما عملوا .

فإذا كان عذاب القبر ثبت بالكتاب والسنة والعقل فإن نعيم القبر كذلك ومن يؤمن بأحدهما يؤمن بالآخر ، ومن يكذب بأحدهما يكذب بالآخر ، لأنه متى ثبت عذابا فى القبر فإنه يثبت أن فيه نعيما كذلك ، وقد أجمع " أهل السنة والجماعة " على ذلك مصدقين بما جاءت به النصوص النقلية والبراهين العقلية .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤكدا على عذاب القبر ونعيمه :- " إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار " [1] ونشير إلى أن بعض الناس ربما يفهم أن عذاب القبر ونعيمه يشبه عذاب الدنيا ونعيمها ، ونقول لهم أن هذا الفهم أو هذا الاعتقاد خطأ كبير لماذا ؟ لأن دار الدنيا لا تشبه دار الآخرة ، ونار الدنيا لا تشبه نار الآخرة ، كما أن نعيم الدنيا لا يشبه نعيم الآخرة .

فدار الدنيا لها أحكامها وقوانينها الخاصة بها ، كما أن دار الآخرة كذلك ، ولعل هذا المعنى يشير إليه قول الله تعالى ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار (٤٨) وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد (٤٩) سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار (٥٠) ليجزي الله**

---

(١) الحديث أخرجه الإمام " الترمذى " فى كتاب صفة القيامة – باب القبر يقول للمؤمنين مرحبا وأهلا . قال الترمذى – حديث حسن غريب .

كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب ﴾ (١)

كذلك أشار أحد العلماء إلى ذلك مؤكدا الفرق بين نعيم وعذاب الدنيا والآخرة بقوله " ويجب أن يعلم أن ذلك ليس من جنس نار الدنيا ونعيمها حتى يكون أعظم حرا من جمر الدنيا ولو مسّها أهل الدنيا لم يحسوا بها بل أعجب من ذلك أن الرجلين يدفن أحدهما إلى جنب صاحبه أحدهما فى روضة من رياض الجنة ، والآخر فى حفرة من النار لا يصل من أحدهما إلى جاره حر ناره أو نعيمه ، ولو أطلع الله تعالى علي ما هو محجوب عن إدراك العقول لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب " (٢)

كما قال الله تعالى فى قرآنه الكريم ﴿ مرج البحرين يلتقيان (١٩) بينهما برزخ لا يبغيان ﴾ (٣)

فهاتين الآيتين الكريمتين يمكن أن تقرب إلى الأفهام عدم تأثر الإنسان المعذب بنعيم المنعم كذلك العكس أى لا يمكن أن يتأثر الإنسان المنعم من عذاب من عصى وتكبر لأن لكل منهما شأن يغنيه؟

فكما أن الله تعالى أمسك الماء العذب عن أن يختلط بالماء المالح فى الدنيافإنه عز وجل يجعل بين من يُعذّب أو يُنعّم حاجزا لا يتعدى لأحدهما شيئًا من صاحبه فى الآخرة مما يؤكد قدرة الله عز وجل الذى لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء.

ويسأل سائل : كيف يعرف الإنسان المنعم أنه ينعم والإنسان المعذب أنه يعذب مع أنهما ميتان ؟، وقد أجاب علماء الإسلام على هذا السؤال مؤكدين على أن الله عز وجل بيده الأمر كله وأنه كما أوصل النعيم والعذاب إليهما فإنه عز وجل قادر

---

(١) سورة إبراهيم الآيات : ٤٨ – ٥١ .

(٢) ابن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٠ ، ٤٠١ .

(٣) سورة الرحمن آية : ١٩ – ٢٠ .

على إعادة الحياة إليهما لكى ينعم من ينعم ويعذب من يعذب ، وهذا أحد العلماء يؤكد هذا المعنى بقوله : " والعلماء يتفقون على أن الله تعالى يعيد إلى الميت فى القبر نوع حياة قدر ما يتألم ويتلذذ ويشهد ذلك الكتاب والأخبار والآثار " (١)

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه

هذا وقد أكد علماء الإسلام على أن الإيمان بعذاب القبر ونعيمه من الأمور الواجبة على المؤمن والمؤمنة ، وهذا ما أكده أحد العلماء بقوله " عذاب القبر والإيمان به واجب وهو قول الجمهور " (٢)

هل عذاب القبر ونعيمه دائم أو منقطع ؟

إذا كانت النصوص النقلية والبراهين العقلية قد برهنت وأكدت على ثبوت عذاب القبر ونعيمه بحيث لا يبقى هناك أدنى شبهة للمنكرين أو المشككين والمتشككين ، فهل هذا النعيم والعذاب مستمر أم منقطع ؟

وقد أجاب علماء الإسلام على هذا السؤال بأن هناك نوعين من العذاب منه: ماهو دائم ، ومنه ما هو منقطع وذلك بحسب عمل الإنسان مع إشارتهم إلى عدم فتح باب السؤال والجدل والجدال فى هذا الأمر وذلك حفاظا على وحدة كلمة المسلمين فى مثل هذه القضايا السمعية الهامة التى لا يتكلم فيها الإنسان إلا بناء عن دليل قاطع من كتاب أو سنة ، وقد بين أحد العلماء وجه الخلاف بين العلماء بقوله : " وكذلك اختلف فى سؤال الأطفال أيضا وهل يدوم عذاب القبر أو ينقطع ؟

جوابه : أنه نوعان منه ما هو دائم كما قال تعالى **﴿ النار يُعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾** (٣) وكذلك فى

---

(١) الإمام التفتازانى : شرح المقاصد ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٢) الإمام القرطبى : التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة ١٢٤ .

(٣) سورة غافر الآية : ٤٦ .

حديث البراء بن عازب فى قصة الكافر " ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة " (١)

والنوع الثانى : أنه مدة ثم ينقطع وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه » (٢)

وأرى أن حقيقة ذلك يرجع إلى الله تعالى وحده وأنه سبحانه يتصوف فى ملكه كيفما يشاء .

هل العذاب والنعيم خاص بالقبر ؟

ولسائل أن يقول هل العذاب والنعيم خاص بكون الإنسان فى القبر أم أنه يعذب وينعم فى أى مكان وفى أى زمان قُبر أم لم يقبر ؟

وفى الإجابة على هذا السؤال رجّح علماء الإسلام الرأى الثانى الذى يقول ان الإنسان الميت يعذب أو ينعم قبر أو لم يقبر ، بمعنى آخر أنه لا يشترط وجود قبر للإنسان الميت لكى يعذب أو ينعم، وهذا ما أكده أحد العلماء بقوله :- " واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب نال نصيبه منه قبر أو لم يقبر أكلته السباع أو احترق حتى صار رمادا ونسف فى الهواء، أو صلب أو غرق فى البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور وما ورد من إجلاسه وإختلاف أضلاعه ونحو ذلك فيجب أن يفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير فلا يحمل كلامه مالا يحتمله ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان " (٣)

---

(١) الحديث : صحيح راجع أحكام الجنائز ص ١٥٦ - ١٥٩ .

(٢) ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠١ .

(٣) ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٠ .

وعلى هذا لا يشترط أن يكون الإنسان الميت فى قبر لكى يعذب أو ينعم وإنما يصله العذاب والنعيم فى أى زمان ومكان وعلى أية حالة كان عليها لأن الله عز وجل قادر على كل شيء.

فهو سبحانه وتعالى الخالق لكل شيء فى الأرض وفى السماء ، وأن كل شيء مسخر بإذنه ، وأن الأماكن والأزمان عنده سواء فلا فرق بين أن يكون الإنسان المعذب أو المنعم فى البر أو البحر حتى ولو ذرى فى الهواء وأكلته السباع و كان على أى حالة وأى وضع فإنه لن يغيب عن علم الله عز وجل مثقال ذرة فى الأرض أو فى السماء.

ولا يعجزه أن يأمر البر والبحر والجبال والأنهار أن تأتى بما فيها من بقايا الإنسان الميت حتى تتجمع أجزاؤه مرة أخرى بإذن الله تعالى الخالق المصور لكى يعذب أو ينعم ، فأين الغرابة والإستحالة فى هذا ؟ فالذى قدر على خلقه أول مرة أقدر على إعادته ثانية .

هل العذاب والنعيم للجسد والروح معا ؟

كما تباينت الآراء فيما إذا كان عذاب القبر ونعيمه دائم أو منقطع فكذلك الأمر بالنسبة للعذاب والنعيم هل هو للجسد والروح معا ؟ أم أنه يقع لأحدهما دون الآخر ؟ وقد انقسم العلماء بإزاء الإجابة على هذا السؤال إلى قسمين :

أحدهما : يقول إن العذاب والنعيم يكون للبدن والروح معا ولا يقع لأحدهما دون الآخر وهذا ما اتفق عليه جمهور المسلمين .

ثانيهما : يقول إن العذاب والنعيم يكون للروح فقط دون البدن قائلين أن الجسد يهلك أما الروح فتبقى ، وهذا القول يمثله " أكثر المعتزلة " وبعض الطوائف الإسلامية ، كذلك قال به الإمام ابن حزم الظاهرى وابن مرة رحمهما الله تعالى ، وقد بين الإمام ابن القيم الجوزية رحمة الله تعالى هذا الخلاف

بقوله : " وقد سُئل شيخ الإسلام – ابن تيمية – عن هذه المسألة ونحن نذكر لفظ جوابه فقال : بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق " أهل السنة والجماعة " تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن ، وتنعم وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليهما فى هذا الحال مجتمعين كما تكون الروح منفردة عن البدن »

وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح ؟

هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة وأهل الكلام ، وفى المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة و الحديث قول من يقول : إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح ، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب ، وهذا قول الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين »

ويقوله كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الأبدان لكن يقولون لا يكون ذلك فى البرزخ وإنما يكون عند القيام من القبور ، لكن هؤلاء ينكرون عذاب البدن فى البرزخ فقط ويقولون : إن الأرواح هى المنعمة أو المعذبة فى البرزخ فإذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن »

وهذا القول قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار ابن حزم وابن مرة »[1].

وبهذا يظهر أن الرأى الراجح والصحيح فى هذا الأمر هو ما ذهب إليه جمهور المسلمين من " أهل السنة والجماعة " من أن العذاب والنعيم يكون للبدن والروح معاً ولا يكون لأحدهما دون الآخر ، لأن الإنسان مركب منهما ؛

ولا عبرة بقول من خالف الإجماع سواء كان من الفلاسفة أو غيرهم لأن قولهم شاذ ولا يقاس عليه ، ولأن الأمة لا تجتمع على باطل أو خطأ .

---

(١) الإمام ابن القيم الجوزية : الروح ص ٦٤ .

الفصل الثالث

مستقر الأرواح

بعد أن يُوفىّ الإنسان أجله المقدر له فى دار الدنيا ينتقل إلى دار الآخرة ليجد الإنسان ما عمله حاضرا إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، ولا يظلم الله تعالى الناس شيئا .

وبطبيعة الحال فإن الإنسان مركب من جسد وروح وأن مستقر الجسد هو القبر وهذا هو الغالب بالنسبة للأموات . و المكان الذى يدفن أو يموت فيه بالنسبة لبعض الأشخاص الذين يموتون و يدفنون .

وإن هذا الأمر لا خلاف فيه بين العلماء فى أى زمان ومكان ، وإنما الخلاف فى مستقر الأرواح أى المكان الذى تستقر فيه الأرواح بعد مفارقتها دار الدنيا .

* فإذا كانت الأراء قد تباينت فيما إذا كانت الروح جسما أو عرضا ، حادثة أو قديمة ، مخلوقة قبل الجسم أو بعده ، تموت بموت الجسد أو تبقى .

فإن الآراء أشد تباينا فى مسألة مستقر الأرواح فقد كثرت الآراء فى هذا الأمر وكل رأى منها يعبر عن فهم معين لهذا الأمر لا سيما أنه لم يرد نص قاطع فى هذا الأمر ، لهذا كثرت الإجتهادات من العلماء رحمة الله عليهم أجمعين .

فها هو الإمام " ابن القيم الجوزية " رحمه الله تعالى يوضح ما قيل من أراء فى هذه القضية بقوله : " فهذه مسألة عظيمة تكلم فيها الناس واختلفوا فيها وهى إنما تتلقى من " السمع " فقط ، واختلف فى ذلك فقال قائلون : أرواح المؤمنين عند الله فى الجنة شهداء كانوا أم غير شهداء إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم وهذا مذهب أبى هريرة و عبد الله بن عمر رضى الله عنهم .

وقالت طائفة : هم بفناء الجنة على بابها يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها .

وقالت طائفة : الأرواح على أفنية قبورها ، وقال مالك : بلغنى أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت ، وقال الإمام " أحمد " فى رواية ابنه عبد الله :

أرواح الكفار فى النار ، وأرواح المؤمنين فى الجنة ؟

وقال " أبو عبد الله بن منده " وقالت طائفة من الصحابة والتابعين : أرواح الكفار فى النار ، وأرواح المؤمنين فى الجنة ؟

وقال " أبو عبد الله بن منده " وقالت طائفة من الصحابة والتابعين : أرواح المؤمنين عند الله عز وجل و لم يزيدوا على ذلك ، وقال روى عن جماعة من الصحابة والتابعين : أن أرواح المؤمنين بالجابية ، وأرواح الكفار ببرهوت بئر بحضر موت ؟

وقال " صفوان بن عمرو " سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان هل لأنفس المؤمنين مجتمع ؟ فقال : إن الأرض التى يقول الله تعالى " ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [1]

قال : هى الأرض التى يجتمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث ، وقالوا : هى الأرض التى يورثها الله المؤمنين فى الدنيا ؟

فقال كعب : أرواح المؤمنين فى عليين فى السماء السابعة ، وأرواح الكفار فى سجين فى الأرض السابعة تحت خد إبليس ؟

وقال طائفة : أرواح المؤمنين ببئر زمزم ، وأرواح الكفار ببئر برهوت ؟

وقال سلمان الفارسى : أرواح المؤمنين فى برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت ، وأرواح الكفار فى سجين ، وفى لفظ عنه : نسمة المؤمنين تذهب فى الأرض حيث شاءت ، وقالت طائفة : أرواح المؤمنين عن يمين آدم ، وأرواح الكفار عن شماله ؟[2]

فهذه بعض الأقوال الواردة عن بعض الصحابة والتابعين وأئمة الدين فى هذا

(١) سورة الأنبياء الآية : ١٠٥ .

(٢) الإمام ابن القيم الجوزية : الروح ص ١١٤ ، ١١٥ .

الأمر الهام، وهى عبارة عن إجتهادات أو استنتاجات عقلية قد يكون لها ما يؤيدها من أثر وارد بهذا الشأن ، وأحيانا لا يتوفر لها ذلك ، وعلى كل فإن من اجتهد وأصاب فله أجران ، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد خاصة بعد عدم توافر نص سمعى قاطع فى هذه القضية،

و لم تقف الأقوال عند هذا الحد وإنما هناك أقوال أخرى جاءت من بعض العلماء بينها أحد أئمة الإسلام بقوله : " وقالت طائفة أخرى منهم ابن حزم مستقرها حيث كان قبل خلق أجسادها قال : والذى نقول به فى مستقر الأرواح هو ما قاله الله عز وجل ونبيه صلى الله عليه وسلم لا نتعداه فهو البرهان الواضح وهو أن الله عز وجل قال ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ (٢)

فصح أن الله تعالى خلق الأرواح جملة ، وكذلك أخبر صلى الله عليه وسلم " أن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها إئتلف ، وما تناكر منها اختلف " (٣)

وأخذ الله عهدها وشهادتها له بالربوبية وهى مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم وقبل أن يدخلها فى الأجساد – والأجساد يومئذ تراب وماء – ثم أقرها حيث شاء وهو البرزخ التى ترجع إليه عند الموت، ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها فى الأجساد المتولدة من المنى إلى أن قال : فصح أن الأرواح أجساد حاملة لأعراضها من التعارف والتناكر وإنها عارفة مميزة فيبلوهم

---

(١) سورة الأعراف الآية : ١٧٢ .

(٢) سورة الأعراف الآيـة : ١١ .

(٣) الحديث : صحيح رواه الإمام مسلم .

الله . فى الدنيا كما يشاء ثم يتوفاها فترجع إلى البرزخ الذى رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به عند سماء الدنيا أرواح أهل السعادة عـــن يمـــين آدم وأرواح أهل الشقاوة عن يساره وذلك عند منقطع العناصر ويعجـــل أرواح الأنبيـــاء والشهداء إلى الجنة «[1]

ونلحظ أن أغلب الأقوال التى قيلت فى هذه القضية وردت بصيغة وقيـــل وهى ليست قطعية الثبوت أو الدلالة .

صحيح أن هذه الأقوال وردت على لسان بعض الصحابة والتـــابعين وبعـــض الأئمة المجتهدين إلا أن القول الفصل فى الحكم عليها هو الله تعالى وحده .

أعنى لابد أن يكون هناك نص قاطع من كتاب أو سنة يؤكد صحتها وصوابها ، وعلى كل فإن هذه الأقوال ليس فيها ما يحيله العقل أو يستنكره ، بل على العكـــس فهى موافقة للفطرة السليمة الخالية من التيارات الفكرية والمذاهب المادية الإلحادية .

والشاذ منها – ما قالته طائفة التناسخية المنكرين لبعث الأجســـاد فى الآخـــرة وثوابها وعقابها .

. ولو تدبرنا فى هذه المسألة لوجدنا أن حال الأرواح فى البرزخ – أى الزمـــن الذى بين حياة الدنيا وحياة الأخرة – ليست على درجة متساوية فى المكان والمنزلـــة ، وإنما يميزها التفاوت والتباين وذلك بحسب عملها فى دار الدنيا . فكلما كانت الـــروح مطيعة لله تعالى كلما كانت درجتها أو مكانتها قريبة من " خالقها " وجديرة بعنايته ومعيته سبحانه وتعالى ، وكلما كانت الروح خبيثة عاصية لله عز وجل فى دار الدنيا كلما كانت بعيدة عن الله تعالى وقريبة من النار وبئس القرار ، فكمـــا أن الجنـــة والنعيم درجات بعضها أرفع من بعض ، فكذلك النار والعذاب دركات بعضه أشد فى

---

(١) الإمام ابن القيم الجوزية : الروح ص ١١٥ .

الإيلام من بعض ويكاد علماء الإسلام يجمعون على أن الأرواح لا تستقر فى مكان معين وإنما تنتقل وتتحرك بإذن ربها من مكان لآخر ، كما أنها تتزاور فيما بينها وتسأل عن أحوال أهل الدنيا وأخبارهم ممن مات وانتقل إليهم ليجاورهم ، وأنها تسبح فى أرض الله تعالى وتحت سمائه خاصة أرواح المؤمنين والشهداء والصالحين والأنبياء المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ولعل هذا المعنى هو ما يشير إليه أحد الأئمة بقوله : " وقد تواترت الرؤيا من أصناف بنى آدم على فعل الأرواح بعد موتها مالا تقدر على مثله حال إتصالها بالبدن فى هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والإثنين والعدد القليل ونحو ذلك.

وكم قد رؤى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر فى النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفار والظلم فإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عَدَدَهم وعُدَدِهم وضعف المؤمنين وقلتهم.

ومن العجب أن أرواح المؤمنين المتحابين المتعارفين تتلاقى وبينها أعظم مسافة وأبعدها فتتسالم وتتعارف فيعرف بعضها بعضا كأنه جليسه وعشيره فإذا رآه طابق ذلك ما كان عرفته روحه قبل رؤيته، قال عبد الله بن عمرو : إن أرواح المؤمنين تتلاقى على مسيرة يوم وما رأى أحدهم صاحبه قط ورفعه بعضهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم "[1]

كما أن الأرواح لها تعلق مباشر بأجساد أصحابها وهى تحوم حول قبورهم قبل بعثهم.

من ناحية أخرى أشار أحد العلماء إلى أن الأرواح محبوسة فى مستودع وأنها لا تنفك عنه إلا عند بعثها ، وهذا ما قيل فى هذا الشأن :

---

(١) الإمام ابن القيم : الروح ص ١٢٩ - ١٣٠ .

" إنه بعد إنتهاء فترة القبر التي تتم فيها فتنة الإنسان وبما ينكشف أمره وتظهر حالـــه فيسعد أو يشقى نتيجة لما يجيب به عن سؤال الملكين حيث يثبت الله الذين آمنــوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين بعد انتهاء الفترة هذه تــودع الــروح البشــرية في مستودع الرحمة أو العذاب في عليين ، أو سجين ، وتبقى هكذا مرهونة محبوســة في ذلك المستودع إلى يوم يبعثون حيث يعيد الله تعالى الأجسام بعد فنائــها ويــأذن للأرواح أن تدخلها ، بيد أن للأرواح وسواء كانت في عليين مستودع الأخيــار ، أو في سجين مستودع الشرار إتصالا مباشرا بالقبر الذى ضم رفاة صاحبها وأودعت جثته فيه " (١)

- وإذا ما نظر العقل في هذا القول فإنه يجد فيه مخالفة صريحة للعقول السليمة إذ كيف يقال بحبس الأرواح مطلقا سواء كانت أرواح المؤمنين التي تكون في عليــين أو أرواح الكافرين التي تكون في سجين ؟

إن هذا القول لا دليل عليه من قرآن أو سنة أو إجماع من العقلاء كيف ؟

١ – لأنه ثبت بالدليل القاطع والتجربة أن الأرواح لا تستقر في مكان معين إنمــا طبيعتها الحركة والانتقال من مكان لآخر .

٢ – إن فيه مخالفة صريحة لمنطوق الحديث الصحيح الذى قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تنــاكر منــها اختلف " (٢)

٣ – إنه مخالف للأقوال والأخبار المتواترة عن السلف الصالح رضوان الله عليــهم أجمعين ، ومن جاء بعدهم من الخلف الذين أجمعوا على أن الأرواح منها مــا هو محبوس ، ومنها ما هو مرسل ، ومنها ما هو في عليين ، ومنها مــا هــو في

---

(١) أبو بكر الجزائرى : عقيدة المؤمن ٣٨٨ .

(٢) الحديث : صحيح رواه الإمام مسلم .

سجين ، ومنها ما هو سفلى أرضى ، ومنها ما هو علوى سماوى وهكذا بحسب عمل الروح فى الدنيا ومدى قربها أو بعدها من (الله) عز وجل لأن الجزاء من جنس العمل.

هذا وقام أحد العلماء الأجلاء ببيان الأقوال التى قيلت فى هذه المسألة الهامة أعنى مستقر الأرواح ما بين دار الدنيا ودار الآخرة – وهى حياة البرزخ – فعرض لثلاثة عشر قولا قيلت فى هذا الشأن وقام بالرد عليها ، وأشار إلى الرأى الراجح منها وهاهى الأقوال التى وردت فى هذا الأمر الهام :—

١ – أرواح المؤمنين فى الجنة .

٢ – الأرواح ليست فى الجنة .

٣ – الأرواح على أفنية قبورها .

٤ – أرواح المؤمنين عند (الله) تعالى .

٥ – أرواح المؤمنين بالجابية .

٦ – الأرواح تجتمع فى الأرض التى قال الله تعالى فيها " ﴿ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [1]

٧ – الأرواح فى عليين .

٨ – الأرواح فى بئر زمزم .

٩ – أرواح المؤمنين فى برزخ من الأرض .

١٠ – أرواح المؤمنين عن يمين " آدم " عليه السلام .

١١ – أرواح الكافرين عن شماله .

١٢ – الأرواح مستقرها العدم المحض .

١٣ – الأرواح مستقرها أبدان أخرى غير أبدانها الأصلية . [2]

---

(١) سورة الأنبياء جزء من الآية : ١٠٥ .

(٢) راجع الإمام ابن القيم : الروح ص ١١٤ – ١٤١ باختصار .

هذه هى الأقوال التى عرضها الإمام " ابن القيم الجوزية " رحمه الله تعالى فى مسألة مستقر الأرواح ثم أخذ فى بيانها والرد على بعضها بقوله " فإن قيل : فقد ذكرتم أقوال الناس فى مستقر الأرواح ومأخذهم فما هو الراجح من هذه الأقوال حتى نعتقده ؟ قيل : الأرواح متفاوتة فى مستقرها فى البرزخ أعظم تفاوت فمنها : أرواح فى أعلى عليين فى الملأ الأعلى وهى أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم متفاوتون فى منازلهم كما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، ومنها : أرواح فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت وهى أرواح بعض الشهداء لا جميعهم بل من الشهداء من تُحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره كما فى المسند عن " محمد بن عبد الله بن جحش " أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله مالى إن قتلت فى سبيل الله ؟ قال : الجنة ، فلما ولّى قال، إلا الدين سارّنى به جبريل آنفا " (١)

ومنهم : من يكون محبوسا على باب الجنة كما فى الحديث الآخر " رأيت صاحبكم محبوسا على باب الجنة " ،

ومنهم : من يكون محبوسا فى قبره كحديث صاحب الشملة التى غلّها ثم استشهد فقال الناس هنيئا له الجنة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم " والذى نفسى بيده إن الشملة التى غلّها لتشتعل عليه نارا فى قبره " (٢)

ومنهم : من يكون مقره باب الجنة كما فى حديث " ابن عباس " " الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية " (٣)

---

(١) الحديث : صحيح أحكام الجنائز (١٥) .
(٢) الحديث : صحيح رواه الإمام مسلم .
(٣) الحديث : رواه الإمام " أحمد " فى مسنده .

وهذا بخلاف " جعفر بن أبي طالب " حيث أبدله الله تعالى من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء ؟(1)

ومفهوم كلام الإمام " ابن القيم " رحمه الله تعالى أنه لم يقطع برأى في هذا الأمر ، وقد وجدناه يعرض للأقوال التي قيلت فيه و لم نجده يعترض على شيء منها إلا على قول من يقول : الأرواح مستقرها أبدان أخرى غير أبدانها الأصلية ؟

وهم أصحاب التناسخ أى الذين يجيزون تناسخ الأرواح ويقولون : إن الأرواح بعد خروجها من أبدان أصحابها ترجع لتحل في أجساد أخرى غير أجسادها الأصلية ، وهكذا يظل التناسخ إلى ما لا نهاية ، ولا يخفى على كل ذى لب سليم مدى مخالفة هذا القول للنصوص النقلية والبراهين العقلية الصحيحة لأنه يخالف الاعتقاد بقدرة الله عز وجل الذى خلق فسوّى وقدّر فهدى ، وأن كل قول من هذه الأقوال يعبر عن حالة خاصة تكون فيها الروح في البرزخ ؟

فكما أن الأرواح متفاوتة في دار الدنيا ، فكذلك الأمر بالنسبة للبرزخ والدار الآخرة ، وأن الإمام " ابن القيم " رحمه الله تعالى سلك مسلك التسليم أى تفويض علم هذا الأمر إلى الله تعالى لأنه لا مجال فيه للعقل لكى يقطع برأى في مسألة سمعية كهذه ، وهذا هو الأسلم والأصوب في مثل هذه القضايا الهامة التي لا مرجع فيها إلا لدليل نقلى من كتاب أو سنة ، وأنه لم يرد نص قطعى في هذا الأمر فتبقى المسألة موضع اجتهادات واستنتاجات ليس إلا ؟

وعلى هذا فالرأى الراجح هو التفويض والتسليم وعدم فتح باب الجدل والجدال في مثل هذه القضايا السمعية حفاظا على إجتماع " جمهور المسلمين " على كلمة سواء وسد باب التفرق والاختلاف لاسيما وأن مثل هذه الأمور لا يضير المؤمن والمؤمنة الجهل بها ؟ وأن الله عز وجل لم يكلفنا البحث فيها رحمة بنا وذلك لعلمه تعالى بعجز العقول عن إدراك مثل هذه الأمور .

---

(1) الإمام ابن القيم : الروح ص ١٤٥ – ١٤٦ .

هل الروح تموت بموت الجسد ؟

وإتماما لما سبق بيانه فيما يتعلق بالروح يرد سؤال هل الروح تموت بموت الجسد أم تبقى بعده ؟

وبعد استقراء كثير من أراء العلماء الواردة بهذا الشأن تبين : أن أكثرهم يذهب إلى أن الروح لا تموت بموت الجسد ولكنهاتظل حية أو فيها نوع من الحياة على الأقل

وقد استمد العلماء قولهم هذا من بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تشير إلى أن الروح لا تموت وإنما تبقى بإذن ربها حية بكيفية لا يعلمها إلا الله تعالى وحده ، فمن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤكد على بقاء الروح بعد موت الجسد :

١ – قول الله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ . (١)

٢ – قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " وما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه فى الدنيا فيسلّم عليه ، إلا ردّ عليه روحه حتى يرد عليه السلام " (٢)

فإذا كان هذا ما يقوله القرآن الكريم والسنة النبوية فى هذا الأمر فماذا يقول العقل فيه ؟

فى الحقيقة أن العقل يؤيد النقل فيما ذهب إليه فى هذا الأمر ، وهذه بعض أقوال العلماء التي تؤكد بقاء الروح :

---

(١) سورة ال عمران الآية : ١٦٩ .

(٢) الحديث : فى أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن ج ٦ ص ٤٢٦ . تأليف محمد أمين الشنقيطى المتوفى سنة ١٣٩٣ ه مطبعة المدنى ، الأولى .

" فى وقوف رسول الله صلى الله عليه وسلم على فم القليب ينادى قتلى المشركين ويكلمهم بعد ما ماتوا ، وفيما قاله لعمر رضى الله عنه إذ ذاك دليل واضح على أن للميت حياة روحية خاصة به لا ندرى كيفيتها وحقيقتها ، وأن أرواح الموتى تظل حائمة حول أجسادهم ومن هذا يتصور معنى عذاب القبر ونعيمه غير أن ذلك كله إنما يخضع لموازين لا تنضبط بعقولنا وإدراكاتنا الدنيوية هذه إذ هو مما يسمى بعالم الملكوت البعيد عن مشاهداتنا وتجاربنا العقلية والمادية فطريق الإيمان إنما هو التسليم لها بعد أن تصلنا بطريق ثابت صحيح " (١)

وهذا أحد العلماء يشير إلى أن الشرع لا ينهى عن البحث فى مثل هذه الأمور الهامة فقال " ربما اعتقد من لا تحقيق لديه أن الشرع يزجر عن التعرض لهذا القدر فى تصحيح أو إبطال ؟ وليس فى الشرع دليل يدل على ذلك وقوله سبحانه ﴿ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ (٢) جواب مقنع إذا فهم الأمر بما هو عليه ولو أراد الزجر لذكر الحكم عليه " (٣)

بل إن بعض العلماء أكد على أن الأرض لا تأكل بعض الأجساد وذلك كما جاء فى بعض الأحاديث الصحيحة والآثار المروية فى هذا الشأن وهذا ما قاله أحد العلماء مشيرا إلى بقاء الجسد كذلك :-

" وحرم الله على الأرض أن تأكل أجساد " الأنبياء " كما روى فى السنن ، وأما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مدد من دفنه كما هو لم يتغير فيحتمل بقاؤه كذلك فى تربته إلى يوم محشره ، ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة والله أعلم "

---

(١) د / محمد سعيد البوطى : فقه السيرة النبوية ص ١٦٤ .
(٢) سورة الإسراء جزء من الآية : ٨٥ .
(٣) الإمام الغزالى القصور العوالى ج ٣ ص ١١٣ .

وكأنه – والله أعلم – كلما كانت الشهادة أكمل والشهيد أفضل كان بقـــاء جسده أطول »[1]

فإذا كانت بعض الأجساد تبقى دون تآكل فبقاء الأرواح أولى بالبقاء وعـــدم الموت ، كذلك ما يؤكد على أن الأرواح باقية لا تموت بموت الجسد

إشارات الكثير من العلماء المحققين على أن النفس الإنسانية لها عدة تعلقـــات ببدن صاحبها ، وفى كل مرحلة من مراحل تعلقها به لها حياة خاصة تختلـــف عمـــا سبقها وما لحقها ، وهى فى كل الأحوال لها حياة وحركة خاصة بها ،

---

(١) أبن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٤ .

أما الأحوال التى تمر بها النفس الإنسانية فهى :

١ - حالها وهى فى بطن الأم أو الجنين .

٢ - حالها بعد خروجها منه وقد صارت إنسانا .

٣ - حالها وهى فى النوم .

٤ - حالها وهى فى " البرزخ " أى ما بين موتها وبعثها .

٥ - حالها بعد البعث من قبورها .

وقد أشار أحد العلماء إلى أن أحوال النفس الإنسانية هذه عبارة عن دورها أو مكانها التى تحل فيه ، وأن الدور ثلاثة هى :

١ - دار الدنيا .

٢ - دار البرزخ .

٣ - دار الآخرة .

وقد جعل الله تعالى لكل دار منها أحكاما خاصة بها لا تنطبق على ما قبلها ولا على ما بعدها .[1]

وبوجه عام فإن النصوص النقلية والبراهين العقلية شاهدة ومؤكدة على بقاء الروح حية بإذن ربها عز وجل ومما يؤكد إمكانية البعث وأنه غير مستحيل نقلا وعقلا بل إن الإعادة أهون من الخلق أول مرة بالقياس العقلى الصرف ولكن كل شئ هين على الله تعالى فإنه لا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهذا مانتعرض إليه بالتفصيل - بمشيئة الله وتوفيقه - فى الفصل اللاحق .

---

(١) راجع الإمام ابن القيم : الروح ص٥٥ ، ١٤٦ - ١٤٧ باختصار ، ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٩ .

الباب الثالث

الـــدار الآخـــرة

ويشتمل على ثلاثة فصول :

- **الفصـــل الأول : المعاد .**
- **الفصل الثانى : الساعة وعلاماتها .**
- **الفصل الثالث : الصور والحشر .**

الفصل الأول

المعاد

جاءت كلمة البعث والنشور والمعاد فى القرآن الكريم فى مواضع متعددة وكذلك فى السنة النبوية الصحيحة فما معناها ؟

أولا معنى البعث : بعث الله تعالى الأموات من قبورهم بعد جمع أجزائهم الأصلية واعادة الروح فيها .

ثانيا النشور : يقابل أو يرادف البعث فى المعنى يقال : نشر الميت إذا عاش بعد الموت ، وأنشره " الله " تعالى أى أحياه [1]

وعلى هذا فلا فرق بين البعث والنشور فى اللغة أو المعنى فمعناهما واحد إذ اطلق أحدهما أريد به الآخر.

كذلك يرادف البعث والنشور فى المعنى المعاد وأن هذا الاصطلاح هو الذى استخدمه كبار علماء الكلام أمثال : " أبو الحسن الأشعرى " و " الباقلانى " و " الجوينى " و " الغزالى " و " الشهرستانى " و " فخر الدين الرازى " و " أبو منصور الماتريدى " و " عضد الدين الإيجى " و " سعد الدين التفتازانى " – وغيرهم – وذلك عند بحثهم لهذا الموضوع الهام.

وعلى كل فإن الاصطلاحات الثلاثة – البعث والنشور والمعاد – تعنى أن الله تعالى يحى الإنسان مرة أخرى للعرض والحساب ليلقى الإنسان ثواب طاعته وعقاب معصيته.

ولا يخفى على كل ذى لب سليم أن الإيمان بالبعث من أركان الإيمان وأصول الدين لأنه يتعلق بالإيمان باليوم الآخر وهو الركن الخامس من أركان الإيمان ،

---

(١) الإمام التفتازانى : شرح المقاصد ج٢ ص٢١٠ – ٢١١ بتصرف واختصار .

وقد اتفق جمهور المسلمين على إمكانية بعث الإنسان مرة أخرى وانه من الأمور الثابتة نقلا الجائزة عقلا.

وقد وجد على مر التاريخ الإنساني شرذمة قليلون ينكرون البعث وقد انقسموا فيما بينهم لثلاثة طوائف :

منهم : من ينكر البعث ويكذب بإمكانية وقوعه أصلا .

منهم : من يقول إن البعث يكون للروح وليس للجسد .

ومنهم : من توقف فى ذلك الأمر و لم يقطع برأى سواء بإمكانية وقوعه أو استحالته .

وقد عرض " الله " عز وجل أقوال المنكرين والمكذبين بالبعث ثم بين فساد أقوالهم لمخالفته للنقل و العقل وحكم على من يكذب بالبعث بأنه كاذب كفار لأن من يكذب بخبر الله تعالى وخبر " رسله " عليهم الصلاة والسلام فهو كافر باتفاق جميع العقلاء فى كل زمان ومكان وهذا ما يشير الله عز وجل إليه بقوله تعالى :

﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٥)﴾ (١) .

---

(١) سورة الرعد آية : ٥ .

النصوص النقلية والمعاد

إذا كان المستند الأول فى اثبات هذه الموضوعات السمعية الدليل النقلى – من كتاب وسنة – فإنه قد ورد الكثير من النصوص النقلية التى تؤكد ثبوت البعث وإمكانيته عقليا ، كما اتفق " أهل الحق " على أن البعث يكون للروح والجسد معا وأنه حق لا ريب فيه ، واستدلوا على إمكانيته بالنقل والعقل فمن النصوص النقلية التى تؤكد البعث :

١ - قول الله تعالى ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ(٢٩)﴾ (١)

٢ - قول الله تعالى ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا(٤٩)قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا(٥٠)أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلْ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا(٥١)﴾ (٢)

٣ - قول الله تعالى ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ(١٠٤)﴾ (٣)

٤ - قول الله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ(١٦)﴾ (٤)

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢٩ .

(٢) سورة الإسراء آية : ٤٩ – ٥١ .

(٣) سورة الأنبياء آية : ١٠٤ .

(٤) سورة المؤمنون آية : ١٦ .

٥ - قول الله تعالى ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ(٩) ﴾ (١)

٦ - قول الله تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ(٥١) ﴾ (٢)

٧ - قول الله تعالى ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ(٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ(٧٩) ﴾ (٣)

٨ - قول الله تعالى ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(٧) ﴾ (٤)

٩ - جاء فى صحيح الإمام البخارى رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " إنكم ملاقوا الله حفاة عراة غرلا " (٥)

١٠ - جاء فى صحيح الإمام مسلم رحمه الله عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بموعظة فقال " يا أيها الناس إنكم

---

(١) سورة فاطر آية : ٩

(٢) سورة يس آيـة : ٥١ .

(٣) سورة يس آيـة : ٧٨ - ٧٩ .

(٤) سورة التغابن آية : ٧ .

(٥) الحديث أخرجه الإمام البخارى فى كتاب - الرقاق - باب - الحشر .

تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١)

١١ - أخرج الإمام البيهقى رحمه الله تعالى فى " شعب الإيمان " عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاء العاص بن وائل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففته بيده فقال : يا محمد يحى الله بعد ما أرم قال : نعم يبعث " الله " هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم ، فنزلت الآيات فى آخر سورة " يس " ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ ...... إلى آخر السورة ﴾ (٢)

فهذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أدلة قاطعة على ثبوت البعث للروح والجسد معا (٣)

فهل يبقى بعد هذا شك عند المنكرين لبعث الأموات من قبورهم وإعادتهم ليروا جزاء أعمالهم إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر حقا إنه لا ينكر طلوع الشمس فى كبد السماء إلا من فى نظره خلل وقلبه مرض .

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها - باب فناء الدنيا وباب الحشر .

(٢) الحديث أخرجه الإمام البيهقى فى كتاب شعب الإيمان .

(٣) راجع الإمام الجرجانى : شرح المواقف ص٥٨٢ ، الإمام التفتازانى : شرح المقاصد ج٢ ص٢١١ ، الإمام السفارينى : لوامع الأنوار البهية ج٢ ص١٥٩ ، أبو بكر الجزائرى : عقيدة المؤمن ص٣٠٠ .

كما ثبت البعث أو النشور أو المعاد بالنصوص النقلية كذلك ثبت بالبراهين العقلية المأخوذة من النصوص النقلية المهتدية بهديها .

وقد أكثر علماء الإسلام من البراهين العقلية التى تثبت المعاد الأخروى وأنه من الأمور الممكنة عقلا وليس من الأمور المستحيلة ، موضحين فساد من يقول أو يعتقد بعدم إمكانيته لمخالفة قولهم للنقل و العقل معا .

وهذا أحد العلماء يبرهن على امكانية المعاد فيقول :-

" يعتمد هذا الأصل العقائدى فى إثباته على عدة مرتكزات أساسية :

المرتكز الأول :

الحكمة الإلهية : بمعنى أنه ليس فى أفعال الله تعالى أى لون من ألوان العبث فكل ما يصدر عنه تعالى فى عالم التكوين وفى عالم التشريع يحكمه مبدأ الحكمة والهادفية وقد أكدت نصوص القرآن الكريم على مبدأ الحكمة والهادفية فى الصفة الإلهية منها :

١ - قول الله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ(١٦) ﴾ [١]

٢ - قول الله تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ(١١٥) ﴾ [٢] .

٣ - قول الله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(٥٦) ﴾ [٣]

---

(١) سورة الأنبياء آيـة: ١٦ .

(٢) سورة المؤمنون آية : ١١٥ .

(٣) سورة الذاريات آية: ٥٦ .

فمن خلال الحكمة والهادفية فى حركة الكون والحياة الإنسانية تنتج لدينا حتمية المعاد بما يجسده من تتويج للمسيرة التكاملية فى الحركة الكونية .

المرتكز الثانى :

العدل الإلهى : فالعقيدة الإيمانية بالعدل الإلهى تنتج عدة حقائق :

أولا : الإيمان بالجزاء العادل الذى يوفر الثواب للمحسنين على احسانهم والمطيعين على طاعتهم ، كما يوفر العقاب للمسيئين على إساءتهم والعاصين على عصيانهم .

ثانيا : الانتصاف للمظلومين من الظالمين عن طريق المعاد .

ثالثا : لتعويض الإلهى للمحرومين والمعذبين فى الأرض من عباد الله تعالى المؤمنين .

المرتكز الثالث :

النص القرآنى : فقد تناول النص القرآنى مسألة اليوم الآخر على عدة مستويات :

المستوى الأول : التأكيد على وجود اليوم الآخر :

وهذا ما تؤكده النصوص القرآنية التالية :

١ - قول الله تعالى **﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين(٨٣)﴾** [1] .

٢ - قول الله تعالى **﴿ وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون(٦٤)﴾** [2]

---

(١) سورة القصص آية : ٨٣ .

(٢) سورة العنكبوت آية : ٦٤ .

٣ - قول الله تعالى ﴿ يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ(٣٩)﴾ (١)

٤ - قول الله تعالى ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (٢)

٥ - قول الله تعالى ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى(١٧)﴾ (٣)

المستوى الثاني : البرهنة على إمكانية " البعث " و " النشور " كما يعبر عن ذلك النصان التاليان :

١ - قول الله تعالى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ(٧٨)قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ(٧٩)﴾ (٤)

٢ - قول الله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٣٣)﴾ (٥)

المستوى الثالث إعطاء الإيمان بالآخرة موقفه فى البنية العقائدية كما تؤكد ذلك النصوص التالية :

١ - ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ(٣)وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ(٤)﴾ (٦) .

(١) سورة غافر آية : ٣٩ .
(٢) سورة فصلت آية : ٣١ .
(٣) سورة الأعلى آية : ١٧ .
(٤) سورة يس آية : ٧٨ - ٧٩ .
(٥) سورة الأحقاف آية : ٣٣ .
(٦) سورة البقرة آية : ٣ - ٤ .

٢ - قول الله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ(٣)﴾ [١] .

٣ - قول الله تعالى ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ(١٧٧)﴾ [٢] .

المستوى الرابع : التنديد بظاهرة الإنكار ليوم المعاد وذلك عن طريق النصوص القرآنية التي منها :

١ - قول الله تعالى ﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا(١٠)﴾ [٣] .

٢ - قول الله تعالى ﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ(٢٢)﴾ [٤] .

٣ - قول الله تعالى : ﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ(٢٢)﴾ [٥] .

---

(١) سورة النمل آيـــة : ٣ .

(٢) سورة البقرة آيـــة: ١٧٧ .

(٣) سورة الإسراء آية : ١٠ .

(٤) سورة النحل آيـــة : ٢٢ .

(٥) سورة المؤمنون آية : ٧٤ .

المرتكز الرابع :

الإيمان بالنبوة : بمعنى أنه من خلال العقيدة الإيمانية بالنبوة تتـــأصل الحقيقـــة الأخروية التى أكد عليها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأعطوها موقعـــا جذريـــا فى مضامينهم الرسالية ، والحقيقة الأخروية حالة غيبية تقتصر فى الإيمان بها وبمحتوياتهـــا على ما تناولته نصوص القرآن الكريم ، والآثار الثابتة عن الرسول الأكرم صلـــى الله عليه وسلم . [1]

فهذه البراهين العقلية المأخوذة من نور النصوص النقلية دليل ساطع على امكانية البعث الأخروى ودليل أكيد على كذب المنكرين للبعث ليهلك من هلك عـــن بينـــة ويحى من حى عن بينة .

(١) راجع العلامة السيد عبد الله : التشيع ص٣٢٢ –٣٢٥ بتصرف واختصار،الإمام السفارينى : لوامع الأنوار البهية ج٢ ص١٥٨ – ١٥٩ ، ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٤ – ٤٠٦ .

المنكـــرون للمعـــاد

رغم وضوح النصوص النقلية والبراهين العقلية فى تأكيد حقيقة المعاد إلا أنه وجد من ينكر هذه الحقيقة أو يشكك فى وجودها وهم على كل حال فئة قليلة ضالـة عن سواء السبيل منهم :

١ – **الطبيعيون أو الدهريون** : الذين أنكروا المعاد بناء على أن الإنسان مـــاهو إلا هيكل محسوس وأنه يفنى بصورته وأعراضه لذا فإنـــه – بهـــذه الحالـــة علـــى زعمهم – لا يعاد مرة أخرى إلى الحياة ،

وأنهم لم يشاهدوا بأبصارهم ميتا بعث من قبره ليخبرهم بما حدث له فيه وقـــد ذكر القرآن الكريم عقيدة " الطبيعيون " أو " الدهريون " وبين للناس جميعا أنهم ينكرون حقيقة البعث والحساب والجنة والنار وحكى الله عز وجل عنـــهم قولهم :

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَـهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (١)

وإن هؤلاء يعتقدون بعدم صحة الأديان وأن جميعها باطل وما هى إلا أوهـــام وخرافات – كما يزعمون – وقد ترتب على عقيدتهم – الفاسدة – هذه عـدة أمور :

أولها : إنكارهم أن يكون الإنسان أشرف المخلوقات وإنما هو – فى نظرهـــم – أخس من البهائم خلقة ، وأدنى منها فطرة .

ثانيها : إنكارهم عقيدة بعث الأموات فى الآخرة .

---

(١) سورة الجاثية آية : ٢٤ .

ثالثها : اسقاطهم فضائل الحياء والأمانة والصدق من سلوكياتهم وعرى الدين التي تميز بين الحلال والحرام .

٢ - **الحكماء والمليون** : الذين زعموا أن المعاد يكون للروح فقط ، وأنكروا معاد الأبدان مخالفين بهذا النصوص النقلية واليهود والنصارى وجمهور المسلمين (١)

حكم الإيمان بالمعاد

الإيمان بالمعاد أو ببعث الأموات من قبورهم بعد جمع أجزائهم الأصلية ثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة وأن " الله " تعالى أخبر عباده في آيات الذكر الحكيم وأكد على حقيقته وردّ على المنكرين أو المتشككين فيه .

وأن الإيمان بحقيقة المعاد من الأمور الواجبة على الإنسان عامة والمؤمن والمؤمنة خاصة وإن منكره كافر لأنه أنكر حقا معلوما من الدين بالضرورة بإجماع أهل الملل الثلاث — اليهودية — والنصرانية — والإسلام — وأن النصوص القرآنية التي جاءت بشأنه نصوص صريحة لاتقبل التأويل أو صرفها عن ظواهرها . (٢)

تباين الآراء في المعاد

تباينت الآراء في كيفية المعاد ، بمعنى هل يكون المعاد للروح والبدن معا ؟ أم للروح فقط ؟ أم للبدن فقط ؟ ، وإذا كانت هذه ثلاثة احتمالات عقلية ، فإن الآراء في هذا الموضوع ثلاثة كذلك :

---

(١) راجع الإمام سعد الدين التفتازاني : شرح المقاصد ج٢ ص٢١٠ - ٢١١ بتصرف واختصار ، الإمام ابن القيم : الروح ص٥٢ ، الإمام السفاريني : لوامع الأنوار البهية ج٢ ص١٥٧ ، محمد باشا المخزومي : خاطرات جمال الدين الأفغاني ص٢٨٩ - ٢٩٢ .

(٢) راجع ابن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية ص٤٠٤ ، الإمام جلال الدين الديواني : شرح العقائد العضدية ج٢ ص٢٤٧ ، الإمام الغزالي : القصور العوالي ج١ ص١٤٢ .

الأول : يعتقد أن المعاد روحاني فقط لأن البدن — في رأيهم — ينعدم بصوره وأعراضه فلا يعاد ، أما النفس فجوهر باق وأنها لا تفنى وتعود إلى عالم المجردات بقطع التعلقات وهذا هو مذهب الفلاسفة .

الثاني : يعتقد أن المعاد جسماني فقط لأن الروح جسم سار في البدن سريان النار في الفحم والماء في الورد ، وهذا هو مذهب جمهور المسلمين .

الثالث : يعتقد أن المعاد روحاني وجسماني معا ، وهذا اعتقاد كثير من علماء الإسلام أمثال الإمام " الغزالي " و " الحليمي " و " الراغب " و " أبي زيد الدبوسي " وهو رأى كثير من طوائف " الصوفية و " الشيعة " و " الكرامية " و " جمهور النصارى والتناسخية " (1)

والناظر في الحجة التي استند عليها المنكرون لحقيقة المعاد يجد :

أنها قائمة على أمور وهمية وخيالات واهية ليس لها أساس من نقل أو عقل زاعمين : أن القول بالمعاد لم يكن موجودا في شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام السابقين ، وأن هذا القول أو هذا الاعتقاد — في زعمهم — قد استحدث في الشريعة المحمدية شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فهذا مبلغ حجتهم التي استندوا إليها في إنكارهم لحقيقة المعاد .

وقد نسى هؤلاء أو تناسوا أن عقيدة " المعاد " ثابتة في جميع الشرائع السماوية من لدن أبينا آدم عليه الصلاة والسلام إلى خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وانها من أساسيات أى شريعة سماوية .

---

(1) الإمام الجرجاني : شرح المواقف ص٥٨٢ بتصرف ، الإمام التفتازاني : شرح المقاصد ج٢ ص٢١١ .

وإن قولهم هذا باطل نقلا وعقلا لمخالفته للكتاب والسنة والعقل والإجماع والفطرة السليمة .

وهذا أحد العلماء يوضح حقيقة المعاد وانه موجود فى جميع الشرائع السماوية وأنه ليس بدعا من الأمر .

" والقرآن الكريم بين معاد النفس عند الموت ومعاد البدن عند القيامة الكبرى من غير موضع وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى وينكرون معاد الأبدان ويقول من يقول منهم : إنه لم يخبر به إلا محمد صلى الله عليه وسلم على طريق التخييل ، وهذا كذب فإن القيامة الكبرى معروفة عند " الأنبياء " من " آدم " إلى " نوح " إلى " ابراهيم " و " موسى " و " عيسى " وغيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وقد أخبر " الله " تعالى به حين أهبط " آدم " عليه الصلاة والسلام إلى الأرض وذلك فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤)﴾ [١]

وقال الله تعالى ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥)﴾ [٢]

ولما قال إبليس اللعين ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١)﴾ [٣] .

وأما " نوح " عليه الصلاة والسلام فقال : ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨)﴾ [٤] آخر القصة [٥]

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢٤ .

(٢) سورة الأعراف آية : ٢٥ .

(٣) سورة ص آية : ٧٩ – ٨١ .

(٤) سورة نوح آية : ١٧ – ١٨ .

(٥) ابن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٤ – ٤٠٥ .

فهذه الآيات القرآنية التي جاءت على لسان الأنبياء عليه الصلاة والسلام فيها رد قاطع على هؤلاء الذين يزعمون أن عقيدة المعاد لم تكن موجودة فى الشرائع السماوية السابقة .

ومن حكمة الله تعالى ورحمته بالإنسانية أن قرّب لها ما يستبعده البعض وبين لهم ما قد يخفى على البعض منهم وذكر أمثلة ظاهرة لكل ذى عقل سليم ونظر صحيح لمن ينكر المعاد أو يشكك فى قدرة الله تعالى ، فقد وقعت تجارب عملية حسية فى الحياة الدنيا كدليل قاطع على قدرة الله عز وجل على بعث الأموات بعد مماتها ليهلك من هلك عن بينة ويحى من حى عن بينة .

فمن التجارب الحسية العملية التي وقعت بالفعل فى الحياة الدنيا لأناس ماتوا ثم أحياهم الله تعالى مرة أخرى :—

١ – أمر " الله " عز وجل جمع من الناس أن يموتوا فماتوا بإذن منه تعالى وشاهدهم جمع كثير ممن حضر ذلك ثم أحياهم الله تعالى مرة أخرى .

وقد سجل الله تعالى هذا الحدث العظيم فى قرآنه الكريم فى قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣)﴾ (١)

أليس فى هذا دليلا قاطعا على امكانية البعث للأموات فى الآخرة كما حدث فى الدنيا ؟

٢ – شكك واحد من المشككين فى قدرة الله تعالى بعث الأموات بعد مماتها فأراد الله عز وجل أن يضرب له مثلا عمليا وتجربة حسية يقوم بها بنفسه لكى يؤمن بما كفر به ، ويصدق بما كذب به فأماته الله تعالى مائة عام ثم

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٤٣ .

أحياه الله تعالى بعدها ، وقد سجل الله تعالى هذا الحدث العظيم في قرآنه الكريم في قوله عز من قائل ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) ﴾ (١)

أليس في هذه التجربة العملية دليلا قاطعا على امكانية البعث للأموات في الآخرة ؟ وأن من يُكذّب جعله الله تعالى يُصدّق بعد ما تم له من موت ثم حياة .

٣ - الأرض قبل أن ينزل عليها الماء تكون ميتة لا حركة لها ولا حياة فيها ، ثم بعد إنزال الماء عليها تتحرك بإذن ربها وتحى بعد مماتها ، وقد سجّل الله تعالى هذه التجربة العملية لافتاً الأنظار السليمة إليها كدليل قاطع ومشاهد على امكانية بعث الأموات مرة أخرى وذلك في قوله تعالى ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) ﴾ (٢)

أليس في هذا الأمر المشاهد كل يوم وفي كل زمان ومكان دليلا قاطعا على إمكانية بعث الأموات بعدمماتهم فهل يستطيع أي عاقل أن ينكر هذا الشيء المشاهد بالأبصار ؟ إن من ينكر حقيقة هذه المشاهد كمن ينكر طلوع الشمس في وسط النهار .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٩ .

(٢) سورة الحج آية : ٥ - ٦ .

٤ - قصة شاب من بنى إسرائيل قتل عمه ليستعجل ميراثه وبعد قتله أخذه ووضعه أمام بيت رجل منهم ، فأصبح الناس وشاهدوا الرجل المقتول و لم يعرفوا قاتله ، فذهب بعضهم إلى نبى الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام ليخبرهم بمن قتله بعد أن كانت تحدث فتنة عظيمة بينهم بسبب هذا المقتول فأوحى " الله " تعالى إلى " موسى " عليه السلام أن يأمرهم بذبح بقرة حتى يخبرهم بالقاتل فتعجبوا وجادلوا وفهموا أن نبى " الله " تعالى " موسى " عليه السلام يهزأ بهم ؟ وأخيرا وبعد جدل وجدال فيما بينهم ذبحوا بقرة كما أمرهم " الله " تعالى على لسان نبيهم " موسى " عليه السلام ، فأخذ سيدنا " موسى " عليه السلام بعضا من البقرة وضرب بها " المقتول " فقام بإذن الله تعالى وأخبر عن قاتله ثم مات مرة أخرى ، وقد سجل " الله " تعالى هذه القصة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣)﴾ (١) .

أليس فى هذه التجربة العملية دليلا قاطعا على امكانية بعث الأموات وقدرة الله تعالى على احياء الموتى بعد مماتهم ؟

نعم فيها وفى غيرها — مما ذكرناه — أدلة قاطعة على ثبوت قدرة الله تعالى على بعث الأموات وجمع أجزائهم الأصلية وأن اعادة الأموات أهون على الله من الخلق أول مرة بالمقياس العقلى ولكن بالمقياس الإلهى فكل شئ هين عليه عز وجل .

---

(١) سورة البقرة آية : ٧٢ - ٧٣ .

الفصل الثاني

الساعـــــــــــة

و

علاماتهـــــــــا

الساعة من أسماء القيامة وقد جاء ذكرها فى القرآن الكريم فى عـــدة مواضـــع كدليل على أهمية وتحقق وقوعها وانها لا ريب فيها ، والقيامة الكبرى نتيجة طبيعيـــة للحياة الدنيا وأعمال الإنسان فيها ليلقى فيها المطيع ثواب طاعته ، والعاصى جـــزاء عصيانه ، كما أنه حكمة من حكم " الله " تعالى الذى خلق كل شئ فأحسن خلقـــه وأودع فيه حكمته ، وقد أخفى " الله " تعالى علم الساعة عمن خلقه و لم يعط لأحـــد علم بشأنها ، وقد ورد هذا الإسم — الساعة — ليوم القيامة الكبرى فى مواضع متعـددة من القرآن الكريم إما فى صيغة سؤال عنها ؟ وإما فى صورة تأكيد من " الله " تعـــالى على وقوعها ؟وإما فى صورة انكار من المكذبين بها ؟ وإما فى صورة تهديد ووعيد لمـــن كذب بها ؟ وها هى المواضع التى جاء ذكر الساعة متضمنة الصور السابقة :—

١ – قال الله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْـــدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَـــةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّـــاسِ لَـــا يَعْلَمُونَ (١٨٧)﴾ (١)

٢ – قال الله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِـــالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥)﴾ (٢)

٣ – قال الله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّـــاعَةُ قُـــلْ بَلَـــى وَرَبِّـــي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ (٣)

٤ – قال الله تعالى ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ(٤٦)﴾ (٤)

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٨٧ .

(٢) سورة الحجر آيـــة : ٨٥ .

(٣) سورة سبأ آيـــة : ٣ .

(٤) سورة القمر آيـــة : ٤٦ .

تعريفها

يمكن أن نستنتج تعريفها أو مفهومها خاصا لهذا اليوم وذلك من خلال النصوص النقلية التي وردت بشأنه فهو ذلك اليوم العظيم الذى يقوم الناس فيه لرب العالمين ويضطرب فيه العالم ويفسد نظامه وفيه تذهل كل مرضعة عما أرضعت وهذا المعنى نأخذه من قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) ﴾ (١)

أسماؤها

الساعة أو القيامة الكبرى جاء لها أسماء كثيرة فى القرآن الكريم ، وان اختلفت الأسماء فهى تدل على معنى واحد وهو قيام الناس فيه جميعا من لدن أبينا " آدم " عليه الصلاة والسلام إلى أن يرث " الله " تعالى الأرض ومن عليها ليروا أعمالهم إن خيرا ؟ فخير ، وإن شرا ؟ فشر، وان كثرة الأدلة تدل على أنه واقع لا محالة ولا يكذب به إلا كل جاحد كفار .

فمن أسماء ذلك اليوم :-

١ - الدين : وذلك فى قوله تعالى ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) ﴾ (٢)

٢ - الحسرة : وذلك فى قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) ﴾ (٣)

٣ - البعث : وذلك فى قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ

---

(١) سورة الحج آية : ١ - ٢ .

(٢) سورة الفاتحة آية : ٤ .

(٣) سورة مريم آية : ٣٩ .

فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦)﴾ [1]

٤ - الفتح : وذلك فى قوله تعالى ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩) ﴾ [2]

٥ - التلاق : وذلك فى قوله تعالى ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥) ﴾ [3]

٦ - الحساب : وذلك فى قوله تعالى ﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧)﴾ [4]

٧ - التناد : وذلك فى قوله تعالى ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢)﴾ [5]

٨ - الخلود : وذلك فى قول الله تعالى ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤)﴾ [6]

٩ - الخروج : وذلك فى قول الله تعالى ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢)﴾ [7]

---

(١) سورة الروم آية : ٥٦ .
(٢) سورة السجدة آية : ٢٩ .
(٣) سورة غافر آية : ١٥ .
(٤) سورة غافر آية : ٢٧ .
(٥) سورة غافر آية : ٣٢ .
(٦) سورة ق آية : ٣٤ .
(٧) سورة ق آية : ٤٢ .

١٠ - الآزفة : وذلك فى قول الله تعالى ﴿ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) ﴾ (١)

١١ - الواقعة : وذلك فى قول الله تعالى ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) ﴾ (٢)

١٢ - الجمع والتغابن : وذلك فى قول الله تعالى ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) ﴾ (٣)

١٣ - الحاقة : وذلك فى قول الله تعالى ﴿ الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) ﴾ (٤)

١٤ - القارعة : وذلك فى قول الله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) ﴾ (٥)

١٥ - القيامة : وذلك فى قول الله تعالى ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) ﴾ (٦)

١٦ - الطامة : وذلك فى قول الله تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ (٣٥) ﴾ (٧) .

---

(١) سورة النجم آية : ٥٧ - ٥٨ .

(٢) سورة الواقعة آية : ١ - ٣ .

(٣) سورة التغابن آية : ٩ .

(٤) سورة الحاقة آية : ١ - ٣ .

(٥) سورة الحاقة آية : ٤ .

(٦) سورة القيامة آية : ١ .

(٧) سورة النازعات آية : ٣٤ - ٣٥ .

١٧ - الصاخة : وذلك فى قول الله تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) ﴾ (١)

١٨ - الآخرة : وذلك فى قول الله تعالى ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) ﴾ (٢)

فهذه أسماء القيامة الكبرى التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم كدليل وإشارة على أهميتها واهتمام " الله " عز وجل بشأنها ، وتحذير عباده من التكذيب أو التهاون بها ، وحث عباده على الاستعداد لها .

الساعة لا ريب فيها

أكد الله عز وجل فى أكثر من موضع من قرآنه الكريم على أن الساعة آتية لاريب فيها ، ولا يشك فيها إلا كل جاحد كذاب ، وكافر مهين ، وملحد سقيم .

وهذه بعض الآيات القرآنية التى تؤكد وقوعها :-

١ - قول الله تعالى ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (١٣٤) ﴾ (٣)

٢ - قول الله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) ﴾ (٤)

٣ - قول الله تعالى ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧) ﴾ (٥)

---

(١) سورة عبس آية : ٣٣ - ٣٧ .

(٢) سورة الأعلى آية : ١٧ .

(٣) سورة الأنعام آية : ١٣٤ .

(٤) سورة الحجر آية : ٨٥ .

(٥) سورة الحج آية : ٧ .

٤ - قول الله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (٤٣)﴾ (١)

٥ - قول الله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣)﴾ (٢)

فهذه النصوص القرآنية تؤكد على أن الساعة آتية لا ريب فيها وأنها أقرب مما يتصوره الإنسان ، وأن وقوعها يكون فى أى لحظة من ليل أو نهار .

العقل والساعة

إذا كان القرآن الكريم أكد على وقوع الساعة فإن " العقل " قد أيد النقل فيما أخبر به عن الساعة والأهوال التى تحدث فيها وقد أكد كثير من الباحثين الطبيعيين صحة وسلامة الأخبار النقلية التى تتحدث عن وقوع الساعة مما يؤكد توافق العقل مع النقل فى هذا الموضوع – كغيره من الموضوعات الأخرى – الهامة ، وهذا جانب مما قاله بعض العلماء بهذا الخصوص :-

" هناك انتقال حرارى إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأقسام الباردة ، ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية ومعنى ذلك ؟

أن الكون يتجه إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام وينضب فيها معين الطاقة ويومئذ لن تكون هنالك عمليات كيميائية أو طبيعية ولن يكون هناك أثر للحياة نفسها فى هذا الكون "

---

(١) سورة الروم آية : ٤٣ .

(٢) سورة سبأ آية : ٣ .

كما أكد " علماء الفلك " جميعا أن الشمس لابد أن يقترن بها ازدياد مفاجئ فى حرارتها وحجمها واشعاعاتها بدرجة لا تصدقها العقول وعند ذلك يتمدد سطحها الخارجى بما حوى من لهب ودخان حتى يصل القمر ويختل توازن المجموعة الشمسية كلها ، وكل شمس فى السماء لابد أن تمر على مثل هذه الحالة قبل أن تحصل على اتزانها الدائم ، ولم تمر شمسنا بالذات بهذا الدور بعد " (١)

كما أن هناك الكثير من الباحثين المحققين حاولوا أن يقربوا إلى الأفهام والعقول المكذبه أو المشككة فى وقوع الساعة عن طريق ضرب بعض الأمثلة للظواهر الطبيعية التى تحدث فى هذا الكون العجيب الذى يدبره " الله " عز وجل بحكمته ورحمته ؛

فمن الظواهر الطبيعية التى تقرب وقوع الساعة إلى الأفهام والعقول السليمة :

١ - الزلازل .

٢ - البراكين .

٣ - النجوم الجبارة .

وغيرها من ظواهر طبيعية تحدث فى العالم ، وأن حدوث هذه الظواهر الطبيعية ليست من قبيل المصادفة أو البداهة الضرورية وانما لها أسبابها الخاصة بها ؛

هذه الأسباب منها ما هو ظاهر للعلماء المتخصصين لكى يبحثوا ويعقلوا مما ورائها ومنها ما قد خفى عنهم وعن إدراكاتهم العقلية القاصرة تاركين علم ما خفى عليهم إلى مسببه وهو " الله " تعالى وحده ؛

فهذا أحد العلماء يوضح ذلك الأمر بقوله :

---

(١) نخبة من العلماء الأمريكيين : الله يتجلى فى عصر العلم ص٢٧ - ١٥٦ باختصار .

" والظاهرة الأولى التى تنذرنا بإمكان القيامة هى الزلازل فبطن الأرض شـديدة الحرارة تؤثر على ظهرها بشكل بارز فإما أن تنفجر الأرض بالحمم البركانية المدمرة ؟ وإما أن تؤثر الزلازل الرهيبة فى حياة الإنسان رغم تقدم العلم والتكنولوجيا إذ لا يملك ازاءها شيئا فكثيرا ما طمست مدن بأكملها ، أو تساقطت الجدران بصوت مرعب ولقى الملايين من الناس مصرعهم خلال ثوان معدودات كما حدث فى الصين والهند والبرتغال ولا يستطيع إنسان أن يتنبأ بموعدها بل تأتى بغتة حتى قال عالم الجغرافيا " جورج جاموف " نحن واقفون على ظهر لغم عظيم ومن الممكن أن ينفجر فى أى وقت ليدمر النظام الأرضى بأكمله "

أليست تلك قيامة صغرى هذا شأن الأرض أما حال الكون ففيه الأجرام السماوية والنجوم الجبارة العظيمة أشبه ما تكون بملايين القاذفات للقنابل النووية تسير فى الفضاء بسرعة خارقة وليس بغريب مطلقا أن تصطدم هذه الأجرام فيتبدد هذا النظام بأكمله وينفرط عقده ، وما رؤيتنا للقيامة بصورها الأولية إلا دليل واضح على أنها فى حد الإمكان وأنها آتية غدا لا ريب فيها " (1)

فهل بعد هذه الظواهر الحسية والتجارب العملية التى تحدث فى الكون بهذه الكثرة بحيث لا يخلوا مكان فى العالم لم تحدث فيه هذه الظواهر الطبيعية التى يسببها " الله " عز وجل لكى يَذكّر من يَذكّر ؟ ولكى يُصدّق من يُكذّب ؟ ولكى يؤمن من يكذب بأخبار " الله " تعالى وأخبار " رسله " عليهم الصلاة والسلام وبراهين الباحثين المحققين الذين يعرفون أن هذه الظواهر وراءها مدبر عالم حكيم ، وان ورائها شيئا هاما لابد من التنبيه له ، وما هذه الظواهر الطبيعية التى تحدث فى الكون إلا قيامة صغرى ، وما هى إلا مقدمة صغرى للنتيجة والقيامة الكبرى وهى الساعة التى لا ريب فيها .

---

(1) الأستاذ وحيد الدين خان : الإسلام يتحدى ص٧٤ – ٧٦ .

من الأمور التى استأثر " الله " عز وجل بعلمها و لم يطلع أحد عليها حتى ولو كان ملكا مقربا أو رسولا نبيا ، أو منجما كاذبا ؟

علم الساعة أو موعد القيامة الكبرى وهذا ما أكده " الله " تعالى فى قرآنه الكريم بقوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١)

ففى هذه الآية الكريمة : رد قاطع على الدجالين والسحرة المنجمين الذين يزعمون أن الساعة ستقع سنة كذا ، شهر كذا ، يوم كذا بغرض تحقيق أغراض خاصة بهم من كسب مادى خبيث أو شهرة زائفة مصطنعة ولسائل أن يقول : لماذا أخفى الله عز وجل علم الساعة عن المخلوقين و لم يطلع أحدا عليها ؟

وقد أجاب علماء الإسلام على هذا السؤال الهام قائلين :ـ

" إن السبب فى إخفاء موعد الساعة ثم أن الإخفاء هو الأصلح للخلق لئلا يتواكلوا أو يتباطؤا عن التوبة والعمل الصالح الذى يقربهم إلى " الله " تعالى ، ولكى يكونوا مستعدين لمجيئها فى كل وقت وعلى أى حال ، ولكى يغرس فى نفوسهم أن مجيئها يمكن أن يكون من أى لحظة من لحظات الزمن ، كما أن " الله " تعالى أخفى عن عباده لحظة قبض أرواحهم وفى هذا حكمة وعبرة لأولى الألباب " (٢)

وقد جاء فى كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما يؤكد أن علم الساعة عند " الله " تعالى وحده منها :

---

(١) سورة لقمان آية : ٣٤ .

(٢) الإمام السفارينى : لوامع الأنوار البهية ج٢ ص ٦٩ بتصرف .

١ - قول الله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

٢ - قول الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢)

٣ - قول الله تعالى ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴾ (٣)

٤ - قول الله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٥) ﴾ (٤)

٥ - جاء فى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع " جبريل " عليه السلام عندما سأله عن الإيمان ، والإحسان ، والساعة ؟ إلى أن قال جبريل متى الساعة ؟ قال صلى الله عليه وسلم ما المسؤل عنها بأعلم من السائل " (٥)

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٨٧ .

(٢) سورة النحل آية : ٧٧ .

(٣) سورة فصلت آية : ٤٧ .

(٤) سورة النازعات آية : ٤٢ - ٤٥ .

(٥) الحديث صحيح رواه الإمام " البخارى " فى كتاب الإيمان .

الساعة تأتي بغتة

أكدت النصوص النقلية أن علم الساعة عند " الله " تعالى وحده وهذا فيه من الحكم التي ليست في مقدور الخلق أن يقفوا عليها أو يعرفوها .

كذلك أكدت النصوص النقلية أن الساعة تأتي بغتة وعندها لا ينفع نفساً إيمانها ما لم تكن قد آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ، وهذه بعض النصوص النقلية التي تؤكد ذلك :

١ - ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَاحَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (١)

٢ - قول الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢)

٣ - قول الله تعالى ﴿ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٣)

٤ - قول الله تعالى ﴿ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ (٤)

٥ - قول الله تعالى ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ (٥)

---

(١) سورة الأنعام آية : ٣١ .

(٢) سورة النحل آية : ٧٧ .

(٣) سورة يوسف آية : ١٠٧ .

(٤) سورة الأنبياء آية : ٤٠ .

(٥) سورة الحج آية : ٥٥ .

٦ - قول الله تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١)

٧ - قول الله تعالى ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ (٢)

٨ - جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه الصحابى الجليل " أبو هريرة " رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " تقوم الساعة والرجل يحلب اللحقة فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم ، والرجل يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم ، والرجل يلط فى حوضه فما يصدر حتى تقوم " (٣)

ففى هذه النصوص النقلية ؟ تأكيد على أن الساعة تأتى بغتة ولا يستطيع أى مخلوق أن يتنبأ بوقوعها فى يوم كذا ،أو فى شهر كذا ، فى سنة كذا ، وفى هذه النصوص النقلية رد قاطع على من يزعمون أنهم يستطيعون معرفة الساعة فكيف يعرفونها و " الله " عز وجل لم يطلع مخلوق عليها مهما كانت درجته لحكمة لا يعلمها إلا الله تعالى، لذا فالواجب على الإنسان عامة والمؤمن والمؤمنة خاصة الالتزام بما جاء فى النصوص النقلية مفوضا علم هذا الأمر " لله " تعالى الواحد القهار ، ولا يقحم نفسه فى مثل هذه الأمور التى لم يكلفنا " الله " تعالى بكيفيتها والجدل والجدال فيها وإنما كلفنا الإيمان بها فقط مفوضين علمها إلى " الله " تعالى وحده وفى هذا رحمة من الله تعالى لخلقه ؟

فكيف لا يلتزم الإنسان بما أخبره الله تعالى فى كتابه وعلى لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ؟

---

(١) سورة الزخرف آية : ٦٦ .

(٢) سورة محمد آية : ١٨ .

(٣) الحديث رواه الإمام " مسلم " فى كتاب الفتن – باب قرب الساعة .

الإنســــان والســاعــــــة

اتفق جمهور المسلمين على أن الإيمان بالساعة أو القيامة الكبرى من أركـــان الإيمان وأصول الدين ، وأن الإيمان بها من صفات المؤمنين الذين من شـــر ط إيمـــانهم الإيمان بالغيب ، فهو غيب بالنسبة للمخلوقين ولكنه حاضر بالنسبة للخالق عـــز وجل وقد وجد على مر التاريخ الإنسانى شرذمة قليلون يكذبون بالساعة أو يشككون فى مجيئها ، مع أن " الله " تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام والبراهين العقلية وجميع العقلاء أكدوا على أن الساعة آتية لاريب فيها وكون هذه الشرذمة — الضالة عـــن سواء السبيل — لم تؤمن بالساعة ؟ يكون معناه أنها تكذب بخبر " الله " تعالى وخـــبر رسله عليهم الصلاة والسلام ، وقد أخبرنا " الله " عز وجل فى قرآنه الكريم أن مـــن يكذب بالساعة فله عذاب أليم ، ومن يكذب بها فى الدنيا ويؤمن بها فى الآخرة ؟ فلن ينفعه إيمانه لأن وقت الإيمان بها فى الدنيا لا فى الآخرة ،

ومثل هذا كمثل من يتوب عند الموت بعد أن يعجز ويـــرى نفســـه هالكـــا لا محالة ولأن وقت التوبة قبل الموت لا عنده ، وقد أكد " الله " عز وجل هذه المعانى الطيبة فى مواضع متعددة من قرآنه الكريم منها :

١ - قول الله تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَـــأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَـــمْ تَكُـــنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ (١)

٢ - قول الله تعالى ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾(٢)

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٨ .

(٢) سورة الفرقان آية : ١١

٣ - قول الله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦) فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ (١)

٤ - قول الله تعالى ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ (٢)

٥ - قول الله تعالى ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ (٣)

وعلى هذا فإن الإنسان الذى يأمل النجاة من النار ويطمع فى رحمة " الله " العزيز الغفار ؟ عليه أن يؤمن بكل ما أخبر " الله " تعالى به فى كتابه وعلى لسان رسله عليهم الصلاة والسلام رغبة ورهبة فى حياته وفى كامل صحته وإرادته حبا لله و لرسله عليهم الصلاة والسلام ، ولا يكلف نفسه فوق ما كلفها " الله " تعالى به والانتهاء عما نهى " الله " تعالى عنه ومن يفعل ويطبق هذا فإنه يكون أهلا لرحمة " الله " تعالى فى الدنيا والآخرة ، ومن يعرض عنه ويكذب به ؟ فله معيشة ضنكا ويحشر يوم القيامة أعمى لأن الجزاء من جنس العمل .

---

(١) سورة الروم آية : ٥٦ - ٥٧ .
(٢) سورة الشورى آية : ١٨ .
(٣) سورة المطففين آية : ١٠ - ١٢ .

مع أن " الله " تعالى أخفى علم الساعة و لم يطلع أحدا من خلقه عليها إلا أنه قد جاء ت إشارات وعلامات فى القرآن والسنة النبوية الصحيحة تشيران إلى قرب وقوعها، وإن هذه الإشارات أو هذه الأمارات فيها رد قاطع على المكذبين بها والمتشككين فيها فمن إشارات القرآن الكريم إلى قرب مجيئها :-

١ - قول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)

فهذه الآية الكريمة تخبرنا عن حال الدنيا وحال أهلها ، وأن " الله " تعالى يخبرنا عن حال النبات الذى يشب ويكبر حتى يكون قويا فى تكوينه جميلا فى مظهره ثم سرعان ما يتبدل الحال من حال إلى حال فيصبح النبات مصفرا بعد أن كان خضرا ، وضعيفا بعد أن كان قويا ، ولا يلفت الأنظار إليه بعد أن كان يأخذ الأنظار والألباب ،

وهكذا حال الدنيا فهى مهما ازينت أو تجملت فإن زينتها وجمالها ليس للخلود والاستمرار ، وأن " الله " عز وجل ضرب هذا المثل للدنيا لكى يذكّر أولوا الألباب ويلفت أنظار الغافلين إلى الآخرة التى هى خير وأبقى .

٢ - قول الله تعالى ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٢)

٣ - قول الله تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (٣)

---

(١) سورة يونس آية : ٢٤ .

(٢) سورة الأنبياء آية : ١ .

(٣) سورة القمر آية: ١ .

فهاتين الآيتين الكريمتين : تؤكد قرب الساعة وأنها أقرب من كل شئ نتوقع وقوعه لكى يحذر المخالفين عن أمر " الله " تعالى ويرجعوا إلى ربهم عز وجل قبل أن تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون،وقد قسم العلماء علامات الساعة إلى قسمين:

١ - علامات صغرى .　　　٢ - علامات كبرى .

أولا : العلامات الصغرى

أما العلامات الصغرى ؟ فقد ورد بشأنها عدة أحاديث صحيحة تؤكد قـــرب وقوعها ، وان هذه العلامات منها ما قد وقع بالفعل ومنها ما سوف يقـــع بمشـيئة " الله " تعالى وأمره ، فمن الأحاديث النبوية التى تؤكد ذلك :-

١ - أخرج الأئمة البخارى ومسلم والترمذى عن أنس بن مالك رضى الله عنهما قـال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " بعثت أنا والساعة كهاتين وأشـــار بالســـبابة والوسطى " (١)

ففى هذا الحديث النبوى الشريف دلالة واضحة على أن رسول الله صلـــى الله عليه وسلم ليس بينه وبين الساعة رسول آخر فهى تليه مباشرة وتأتى بعـــده ، وفى الحديث اخبار بقرب وقوعها (٢)

٢ - أخرج الإمامان البخارى ومسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه من حديث " جبريل " عليه السلام الذى يسأل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عـــن الساعة ؟ فقال ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال فأخبرنى عن أماراتها ؟ قـــال : " أن تلد الأمة ربّتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعـــاء الشـــاة يتطاولون فى البنيان " (٣)

---

(١) الحديث متفق عليه ، البخارى ٢٠٦/٦ ، ومسلم ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٢) الإمام ابن حجر : فتح البارى صحيح البخارى ج١١ ص ٢٩٣ بتصرف .

(٣) الحديث صحيح رواه الإمام البخارى فى كتاب الإيمان .

ومعنى أن تلد الأمة ربتها ؟ أن يكثر العقوق فى الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام (1)

٣ - أخرج الإمامان البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة ، وحتى يُبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل ، ويكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه : لا أرب لى فيه ، وحتى يتطاول الناس فى البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى كنت مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا ، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعان ولا يطويان ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يُسقى منه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمهما " (2)

وهذه بعض التوضيحات لهذا الحديث الشريف :

الفئتان العظيمتان : فئة الإمام " على بن أبى طالب " رضى الله عنه وفئة معاوية بن أبى سفيان رحمه الله تعالى .

يبعث دجالون ؟ أى يظهر دجالون والدجال هو الكذاب .

يقبض العلم : أى يقبض علماء الدين إلى " الله " تعالى .

---

(1) الإمام ابن حجر : فتح البارى ج١ ص ١٠١ .

(2) الحديث صحيح أخرجه الإمام البخارى فى ٢٤٣/٤ ، والإمام مسلم ف ١٧٠/٨ .

يتقارب زمان : أى تقطع المسافات البعيدة فى زمان قليل — كما نـــرى الآن — بواسطة سفن الفضاء والطائرات والسيارات والقطارات والبواخر وغيرها مـــن آلات مستحدثة .

وقيل نزع البركة من كل شئ حتى من الزمـــان فتكـــون الســـنة فى بركتـــها والانتفاع بها كالشهر، والشهر كالجمعة ، والجمعة كاليوم واليوم كالساعة [١]

٤ – أخرج الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودى من وراء حجر والشجر فيقول الحجر والشجر : يامسلم يا عبـد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود " [٢]

٥ – أخرج الإمام البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنهما أن رجلا ســـأل رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تقوم الساعة فقال عليه الصلاة والسلام :- " إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال : وكيف وأضاعتها ؟ قال : إذا أســـند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة " [٣]

فهذه الأحاديث الصحيحة فيها إخبار عن علامات الساعة الصغرى — ما عـــدا طلوع الشمس من المغرب — كدليل على قرب وقوعها ، بـــل إن معظـــم هـــذه العلامات قد وقع بالفعل ويبقى القليل منها ممن لم يقع وإذا جاء وقت وقوعه ؟

عندها تكون القيامة الكبرى فليحذر الذين يخالفون أمر " الله " تعالى أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ، وقانا " الله " تعالى والمؤمنون شر الفتنة والعذاب .

---

(١) راجع الإمام ابن حجر فتح البارى ج١٣ ص١٢ بتصرف ، الإمام الشيبانى : تيسير الوصـول ج٤ ص٩١ ، الأستاذ السيد سابق : العقائد الإسلامية ص ٢٤٧ .

(٢) الحديث متفق عليه ، البخارى ٤/١٥ ، مسلم ٨/١٨٨ .

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الفتن باب لاتقوم الساعة حتى يوسد الأمر إلى عير أهله .

ثانيا : العلامات الكبرى

أما علامات الساعة الكبرى فقد وردت فى حديث جامع من أحاديث رسـول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الإمام مسلم عن " حذيفة بن أسيد الغفارى " رضـى الله عنه قال فيه : طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر ، فقـال : " ما تذاكرون ؟ قالوا : نذكر الساعة قال : إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشـر آيات ، فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونـزول عيسى بن مريم عليه السلام ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثـة خسـوف خسـف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخـرج مـن اليمن تطرد الناس إلى محشرهم " (١)

وهذا بيان لأشهر هذه العلامات المذكورة فى حديث رسول الله صلى الله عليـه وسلم :

١ ـ طلوع الشمس من المغرب :

عند اقتراب وقوع الساعة يُحدِث " الله " تعالى تغييرا فى نظام الكون وتظـهر آيات غير مألوفة للناس فتطلع الشمس من المغرب على خلاف ما يعهدونه من طلوعها من المشرق ؛

وقد جاءت عدة أحاديث صحيحة تؤكد هذه العلامات الكبرى منـها : مـا أخرجه الإمام البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن النبى صلـى الله عليه وسلم قال " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعـت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبـل أو كسبت فى إيمانها خيرا " (٢)

---

(١) الحديث صحيح راجع صحيح مسلم ١٧٩/٨ .

(٢) الحديث صحيح راجع الإمام مسلم ٩٥/١ .

ففى هذا الحديث النبوى الشريف تأكيد لما أخبر " الله " تعالى بـــه فى قرآنـــه الكريم بقوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ (١)

.بمعنى أن الكافر لا ينفعه إيمانه بعد طلوع الشمس من المغرب ، وكذلك العاصى لاتنفعه توبته ومن لم يعمل صالحا من قبل ولو كان مؤمنا لا ينفعه العمل بعد طلوعــها من المغرب (٢)

٢ ـ خـــروج الدابـــة :

وهذه علامة ثانية من علامات الساعة الكبرى ، وقد ورد ذكر " الدابـــة " فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ،

أما القرآن الكريم فمنه قول الله تعالى ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَـهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ (٣)

وأما السنة فقد جاء ذكرها فى عدة مواضع صحيحة منها ما أخرجـــه الإمـــام مسلم وغيره عن عبد الله بن عمروبن العاص رضى الله عنه أن النبى صلـــى الله عليـــه وسلم قال " إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابـــة على الناس ضحى ، وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا " (٤)

وهذه الدابة التى تخرج من الأرض كعلامة من علامات الساعة الكبرى لتكلـــم الناس بإذن ربها عز وجل لا يمكن لمخلوق أن يعلم نوعها ، أو شكلها ، أو طولها ، بل

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٨ .

(٢) الإمام ابن حجر فتح البارى ج ص٢٩٧ بتصرف .

(٣) سورة النمل آية : ٨٢ .

(٤) الحديث صحيح أخرجه الإمام مسلم ٢٠٢/٨ .

يعلم ذلك " الله " تعالى وحده ، وأن هذه الدابة تستطيع أن تعرف المؤمن من الكافر ، والصادق من الكاذب وذلك كله بأمر خالقها ومظهرها وهو " الله " عز وجل .

٣ـ ظهور الدجال :

وهذه علامة ثالثة من علامات الساعة الكبرى فما هو الدجل ؟

الدجل فى اللغة : التغطية ، والدجال الكذاب شديد الدجل لشدة دجله وتكذيبه وتغطية الحق بالباطل .

وهو رجل يهودى الأصل يدّعى الألوهية ويحاول أن يفتن الناس عن دينهم بما يحدثه من خوارق العادات وعجائب الأمور وذلك كله بإذن " الله " تعالى ويفتن به بعض الناس معظمهم من اليهود ويثبت " الله " الذين آمنوا فلا يخدعون بباطله وبدجله ثم يأذن " الله " تعالى بالقضاء عليه فيترل " عيسى بن مريم " عليه السلام فيقتله ، وقد جاءت كثير من الأحاديث النبوية تحذر الناس منه ومن فتنه منها :-

١ - روى الإمام البخارى ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فأثنى على " الله " تعالى بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال " إنى لأنذركموه وما من نبى إلا وقد أنذر قومه ولكنى سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه إنه أعور وإن الله ليس بأعور" (١)

٢ - روى الإمام البخارى ومسلم وغيرهما عن حذيفة رضى الله عنه أن عقبة قال له حدثنى ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدجال ؟

فقال : إن الدجال يخرج وإن معه ماء ونار ، فأما الذى يراه الناس ماء ؟ فنار تحرق ، وأما الذى يراه الناس نارا ؟ فماء بارد عذب ، فمن أدرك ذلك منكم

---

(١) الحديث صحيح رواه البخارى (٧١٣١) ومسلم ١٩٥/٨ ، والترمذى ٣٩/٢ وقال حديث حسن صحيح .

فليقع فى الذى يراه نارا فإنه عذب طيب " فقال عقبة وأنا قد سمعته تصديقا لحذيفة " [1]

٣ - روى الإمام مسلم وغيره عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع [2] حتى ظنناه فى طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال : ما شأنكم ؟ قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال ذات غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل فقال " غير الدجال أخوفنى عليكم أن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم ، وإنه شاب قطط عينه طايفة كأنى أشبه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم ؟ فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا : يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا أقدروا له قدره ، قلنا : يا رسول الله وما إسراعه فى الأرض ؟ قال : كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شئ من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها : أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعوا رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين

---

(١) الحديث رواه الإمام البخارى فى كتاب الفتن - باب ذكر الدجال - ، ومسلم فى كتاب الفتن حديث رقم (٢٥٣٤) .

(٢) أى حقر من شأنه بما يتصف به من العور وغيره ، وبما سيؤول أمره إليه من الإضمحلال ، ورفع أى عظيم من فتنته والمحنة به حتى حذر كل نبى من فتنته . راجع الإمام النووى شرح صحيح مسلم ج ٨١ ص ٦٣ .

رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله تعالى المسيح بن مريم فيترل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى حيث طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله " (١)

ويسأل سائل : كيف يجرى " الله " تعالى هذه الآيات الباهرة على يد " الدجال " مع أنها من الآيات العظام التى لا تكون إلا " للأنبياء " عليهم الصلاة والسلام ؟

قال " الخطابى " فى الإجابة على هذا السؤال : إنه على سبيل الفتنة للعباد إذ كان عندهم ما يدل على أنه مبطل غير محقق فى دعواه وهو أنه أعور مكتوب على جبهته " كافر " يقرؤه كل مسلم فدعواه باطلة مع وشم الكفر ونقص الذات والقدر إذ لو كان إلها لزال ذلك عن وجهه وآيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سالمة من المعارضة فلا يشتبهان ؟

أما الإمام " ابن حجر " فقال : وفى الدجال مع ذلك دلالة بينة لمن عقل على كذبه لأنه ذو أجزاء مؤلفة وتأثير الصنعة فيه ظاهر مع ظهور الآفة به من عور عينه فإذا دعا الناس إلى أنه " ربهم " ؟ فأسوأ حال من يراه من ذوى العقول أن يعلم أنه لم يكن يسوى خلق غيره ويعدله ويحسنه ولا يدفع النقص عن نفسه فأقل ما يجب أن يقول : يا من يزعم أنه خالق السماء والأرض صور نفسك وعدّلها وأزل عنها العاهة فإن زعمت أن " الرب " لا يحدث فى نفسه شيئا ؟ فأزل ما هو مكتوب بين عينيك (٢)

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الفتن – باب ذكر الدجال .

(٢) راجع الإمام ابن حجر : فتح البارى ج١٣ ص ٨٩ بتصرف ، د/ يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة ص ١٠٠ – ١٠٢ ، د/ البوطى: كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٦٠ – ٢٦١ .

٤ ـ نزول عيسى ابن مريم عليه السلام

وهذه علامة رابعة من علامات الساعة الكبرى بل إنها من أهم علاماتها على الإطلاق إذ ينزل " عيسى بن مريم " عليه السلام آخر الزمان فيقتل " الدجال " ويحكم بشريعة الإسلام ويمكث ما شاء " الله " له أن يمكث ثم يموت ويصلى عليه ويدفن كسائر الأنبياء المرسلين عليهم الصلاة والسلام ، وقد ثبتت هذه العلامة الكبرى بالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، **أما القرآن الكريم فمنه :ـ**

١ - قول الله تعالى ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ (١) والمعنى : أنه لم يبق أحد من أهل الكتاب — اليهود والنصارى — بعد نزول " عيسى بن مريم " عليه السلام إلا آمن به قبل أن يتوفى " عيسى " عليه السلام ، قال الإمام ابن كثير : ولا شك أن هذا هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآى فى تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل " عيسى " عليه السلام وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة بذلك ، فأخبره " الله " عز وجل أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شُبِّهَ لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ، ثم إنه رفعه إليه وأنه باق حى وأنه سيترل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ، ويقتل الخترير ، ويضع الجزية بمعنى لا يقبلها أحد من أهل الأديان ، وأنه لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، وفى هذه الآية الكريمة ما يشير إلى أن أهل الكتاب سيؤمنون به عندئذ ولا يتخلف عن

---

(١) سورة النساء آية : ١٥٧ — ١٥٩ .

التصديق به واحد منهم [1]

٢ - قول الله تعالى ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون (٥٧) وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون (٥٨) إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل (٥٩) ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون (٦٠) وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعوني هذا صراط مستقيم ﴾ [2] ومحل الشاهد فى هذه الآية الكريمة هو قوله تعالى ﴿ وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها ﴾ بمعنى أن عيسى ابن مريم عليه السلام علامة من علامات الساعة الكبرى وأنه لا يجوز لأحد من الناس أن يشك أو يشكك فى هذه العلامة لأنها ثابتة بالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، ومن ينكر هذا بعد تأكيده من " الله " تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم يكون مكابرا كافرا ؛

أما السنة النبوية الصحيحة فقد ورد بها أحاديث كثيرة تؤكد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام منها :-

١ - ما رواه الإمام البخارى وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم " ابن مريم"حكما عدلا ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه : واقرءوا إن شئتم قوله تعالى ﴿ وإن من أهل

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٧٧ بتصرف ، د/ البوطى : كبرى اليقينيات الكونية ص٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٢) سورة الزخرف آية : ٥٧ - ٦١ .

الكتاب إلا ليؤمنن به قبـــل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾ (١)

٢ - ما رواه الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم " والأنبياء إخوة لعلات أمها تهم شتى ودينهم واحد ، وإنى أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن نبى بينى وبينه وإنه نــازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران كـأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعـوا الناس إلى الإسلام ، وَيُهْلِكَ الله تعالى فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويـــهلك المسيح الدجال فيمكث فى الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون "(٢)

فهل بعد هذه التأكيدات من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة شك عنــد الذين فى قلوبهم مرض من اليهود والنصارى فى أن المسيح " عيسى بن مريم " عليـــه الصلاة والسلام لم يُقتل و لم يُصْلب وإنما رفعه " الله " تعالى إليه وأن نزولـه إلى الأرض علامة كبرى من علامات الساعة ؟ وهل عندهم دليل صحيح من " نقل " أو عقل على أنه قد قتل أو صلب كما يزعمونَ ؟ وهل عندهم دليل صحيح علـــى أنـــه صلب تكفيرا عن خطاياهم كما يزعمون ؟ وهل عندهم دليل صحيح على أنــه لا يحكم بشريعة الإسلام ؟

هذه الأسئلة وغيرها لا يملك أهل الكتاب – من يهود ونصارى – أن يأتوا لهـا بدليل صحيح من نقل أو عقل سليم ، وإنما جاءت النصوص النقلية تكذبهـم وتدحض افتراءاتهم المزعومة المخالفة للكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة والنصـر فى النهاية للإسلام والمسلمين ولو كره الكافرون والحاقدون من اليـــهود والنصـــارى

---

(١) الحديث متفق عليه ، البخارى ١٠١/٣ – ١٠٢ ، مسلم ٩٣/١ – ٩٤ وهـــو مخـــرج فى صحيحه برقم ٢٤٥٧ .

(٢) الحديث صحيح رواه الإمام البخارى فى كتاب الأنبياء – باب – واذكر فى الكتاب مريم .

وسوف ينتصر الخير على الشر ، والحق على الباطل والعدل على الظلم بنصـــر " الله " تعالى وقوته وجهد المؤمنين المخلصين حتى ولو كانوا قلة فإن " الله " تعالى معهم ولـــن يتركهم لأعدائهم وأعداء الحق والدين والإنسانية .

٥ ـ ظهور يأجوج ومأجوج

وهذه علامة خامسة من علامات الساعة الكبرى وقد جاء مـــا يؤكدهـــا فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة :

فمن القرآن الكريم :ـ

١ - قول الله تعالى ﴿ حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لـــم نجعل لهم من دونها سترا (٩٠) كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا (٩١) ثم أتبع سببا (٩٢) حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكـــادون يفقهون قولا (٩٣) قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفســـدون فـــي الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا (٩٤) قال مـــا مكنني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما (٩٥) آتونـــي زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا (٩٦) فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا (٩٧) قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعـــد ربي حقا (٩٨) ﴾ (١)

٢ - قول الله تعالى ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كـــل حـــدب ينسلون(٩٦)واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذيـــن كفـــروا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ﴾ (٢)

---

(١) سورة الكهف آية : ٩٠ – ٩٨ .

(٢) سورة الأنبياء آية : ٩٦ – ٩٧ .

أما السنة النبوية الصحيحة فمنها :-

١ - ما أخرجه البخارى ومسلم عن زينب بنت جحش رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال " لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلّق بإصبعيه الإبهام والتى يليها " قالت زينب بنت جحش : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث " (١)

٢ - ما أخرجه الإمام مسلم والترمذى وغيرهما عن النواس بن سمعان رضى الله عنه فى حديث طويل إلى أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أولهم على بحيرة طبريا فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء " (٢)

قال بعض العلماء فى هذا الحديث النبوى الشريف :-

" ويأجوج ومأجوج هاتان الكلمتان عبّر بهما القرآن الكريم عن أمة كبيرة من الناس يفاجأ بها العالم تنسل إليه من كل حدب تنشر الفساد والدمار فى الأرض على نحو مذهل وطريقة مرعبة ، غير أن القرآن الكريم أخفى على الناس معاد ظهورهم فلا يعلم موعد ظهورهم — على وجه اليقين — إلا " الله " تعالى وحده وأن ظهورهم علامة من علامات الساعة الكبرى " ، كذلك قال أحد العلماء مستفهما عن يأجوج ومأجوج بقوله :-

" من يأجوج ومأجوج ؟ وأين هم ؟ وماذا كان من أمرهم ؟ وما سيكون ؟ كل هذه الأسئلة تصعب الإجابة عليها على وجه التحقيق فنحن لا نعرف عنهم

---

(١) الحديث صحيح أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الفتن - باب ذكر يأجوج ومأجوج .

(٢) الحديث رواه الإمام ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وأحمد فى مسنده والحاكم فى مستدركه وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الإمام الذهبى من حديث أبى سعيد الخدرى .

إلا ما ورد ذكره فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة من أن ظهورهم علامة من علامات الساعة " (١)

فهذه علامات الساعة أو القيامة الكبرى سواء كانت علامات صغرى أو كبرى ولاشك فى أن إخبار " الله " تعالى واخبار رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم عن هذه العلامات يؤكد تحققها ووقوعها بل واقترانها فى نفس الوقت ،

كما أن فى هذه الأخبار الإلهية والنبوية رد على المنكرين والمكذبين بالساعة ، وفيها رد على الذين فى قلوبهم مرض من اليهود والنصارى الذين يكذبون بكلام" الله " تعالى وكلام رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالسيد " عيسى بن مريم " عليه الصلاة والسلام بوجه خاص ومزاعمهم وأكاذيبهم الأخرى بوجه عام ، كما أن إخبار " الله " تعالى واخبار رسوله صلى الله عليه وسلم عن العلامات التى لم تقع ثم وقع بعضها فيما بعد ، وسيقع الآخر بعد ذلك ما هو إلا دليل واضح على صدق كلام " الله " تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وأنه لا ينطق عن الهوى بل هو وحى من عند الله تعالى ، وإن نزول " عيسى بن مريم " عليه الصلاة والسلام فى آخر الزمان ليحكم بشريعة سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ؟

ما هو إلا دليل واضح على كذب اليهود بوجه عام و النصارى بوجه خاص لأنهم لم يؤمنوا بدعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حقداً وحسدا من عند أنفسهم فيأتى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ليبرهن على صدق دعوة أخيه " محمد " صلى الله عليه وسلم ، ويكشف للعالم كذب وضلالات " اليهود " و " النصارى " نحو الإسلام وأهله .

---

(١) راجع د/ البوطى : كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٧٠ بتصرف ، الأستاذ السيد قطب : فى ظلال القرآن ج٥ ص ٤١١ وما بعدها .

الفصل الثالث

الصور والحشر

بعد أن يأذن " الله " عز وجل لإسرافيل عليه الصلاة والسلام بالنفخ فى الصور النفخة الأولى وهى النفخة التى يصعق بسببها من فى السموات والأرض إلا ما شاء الله تعالى ، بعدها تبدأ أحداث الساعة أو القيامة الكبرى وهو اليوم الذى يتغير فيه نظام الكون ففيه تتبدل السموات والأرض ، وتنشق السماء وتتناثر النجوم ، وتكون الجبال كثيبا مهيلا ، وتتفجر البحار وتنشر الصحف ، وتُخرِج الأرض ما بداخلها بعد زلزالها ، وتتعطل العشار ، وتحشر الوحوش ، وتتزاوج النفوس ، وتتسعر النيران للعاصين، وتتزين الجنان للطائعين :

وقد قص " الله " عز وجل علينا جانبا من هذه الأحداث العظام فى :-

١ - قول الله تعالى **﴿ إذا الشمس كورت (١) وإذا النجوم انكدرت (٢) وإذا الجبال سيرت (٣) وإذا العشار عطلت (٤) وإذا الوحوش حشرت (٥) وإذا البحار سجرت (٦) وإذا النفوس زوجت (٧) وإذا الموءودة سئلت (٨) بأي ذنب قتلت (٩) وإذا الصحف نشرت (١٠) وإذا السماء كشطت (١١) وإذا الجحيم سعرت (١٢) وإذا الجنة أزلفت (١٣) علمت نفس ماأحضرت (١٤) ﴾** (١)

٢ - قول الله تعالى **﴿ إذا السماء انفطرت (١) وإذا الكواكب انتثرت (٢) وإذا البحار فجرت (٣) وإذا القبور بعثرت (٤) علمت نفس ما قدمت وأخرت (٥) ﴾** (٢)

٣ - قول الله تعالى **﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها (١) وأخرجت الأرض أثقالها (٢) وقال الإنسان ما لها (٣) يومئذ تحدث أخبارها (٤) بأن ربك**

---

(١) سورة التكوير آية : ١ - ١٤ .

(٢) سورة الانفطار آية : ١ - ٥ .

أوحى لها (٥) يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم (٦) فمـــن يعمـــل مثقال ذرة خيرا يره (٧) ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (٨)﴾ [١]

وبعد النفخ فى الصور لا ينفع الإنسان نسبه أو قرابته أو ماله ، وإنما ينفعه عملـه فقط الذى قدمه " لله "تعالى فى حياته الدنيا خالصا مخلصا له وإنه سَيُسأل عن عمره ، وعن شبابه ، وعن ماله ، وماذا عمل فيما علم ؟

والسؤال — فى هذه الحالة — ليس سؤال علم وإنما سؤال تقرير وإشهاد بمعنى أن " الله " عز وجل يعلم ماذا عمل عبده وما قدم وما أخر ، ولكنه " تعالى " يريد مـن عبده أن يشهد على تقصيره ويقر بذنبه أمام " ربه " تعالى وملائكته وخلقه ، وصدق الله العظيم فى قرآنه الكريم مؤكدا هذا الأمر بقوله تعالى :—

﴿ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئـذ ولـا يتسـاءلون (١٠١) فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون (١٠٢) ومن خفت موازينـه فـأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون (١٠٣) ﴾ [٢]

معنى الصور :

هو قرن كالبوق ينفخ فيه " إسرافيل " عليه الصلاة والسلام عندما يأذن " الله " عز وجل بقيام القيامة الكبرى ،

وهذا المعنى نستنتجه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أخرجـه الإمام الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور ؟ قال : قرن ينفخ فيه [٣]

---

(١) سورة الزلزلة آيـة : ١ — ٨ .

(٢) سورة المؤمنون آية : ١٠١ — ١٠٣ .

(٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذى فى كتاب القيامة — باب ما جاء فى شأن الصور ، وقـال : حديث حسن صحيح .

النفخ فى الصور وعدده

تباينت أراء العلماء فى عدد النفخات فى الصور هل هما مرتان ؟ أم ثلاث ؟

وقد انقسم العلماء فى الإجابة على هذا السؤال إلى قسمين :ـ

أولهما : يذهب إلى أن عدد النفخات ثلاث مرات ، وهن نفخة " الفزع " التى يتغير بسببها نظام الكون ويفزع بسببها أهل السموات والأرض لشدة هولها وفيها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وفيها تشيب الولدان ، وقد بين " الله " عز وجل هذه النفخة فى قرآنه الكريم بقوله تعالى :

﴿ ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين (٨٧) ﴾ (١)

وبقوله عز من قائل **﴿ وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق (١٥) ﴾** (٢) فهذه هى النفخة الأولى ؛

أما النفخة الثانية : فهى نفخة " الصعق " التى فيها هلاك كل شئ خلقه " الله " تعالى ، وقد بين " الله " تعالى هذه النفخة بقوله **﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾** (٣)

وفسر هذا الفريق من – العلماء – الصعق بالموت ، كما استدلوا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أخرجه الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يطوى الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى

---

(١) سورة النمل آية : ٨٧ .

(٢) سورة ص آيـة : ١٥ .

(٣) سورة الزمر آية : ٦٨ .

ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطـــوى الأرضـــين بشماله ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ " [1]

فهذه هى النفخة الثانية ،

أما النفخة الثالثة : فهى نفخة البعث و النشور و القيام لله رب العالمين ، وقد بينها " الله " عز وجل فى قرآنه الكريم بقوله تعالى **﴿ ونفـخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون (٥١) ﴾** [2] وبقولـــه عز من قائل **﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون (٦٨) ﴾** [3]

فهذا هو رأى الفريق الأول الذى يذهب إلى أن النفخات ثلاث هى نفخـــة الفزع ، ونفخة الصعق ، ونفخة البعث والنشور والقيام " لله " رب العالمين.

ثانيهما : يذهب إلى أن النفخات إثنتين فقط لا ثلاث نفخة الصعق و نفخـــة البعث والنشور و القيام لله رب العالمين ، وقد استدل هذا الفريـــق على رأيه بهذه الأدلة :-

١ - حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أخرجه الإمام مســـلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم " ما بين النفختين أربعون " قالوا : يا أبا هريرة أربعـــــون يوما ؟ قال : أَبَيْتُ " [4]

٢ - رواية ابن المبارك عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى كتاب المنافقين - باب صفة القيامة والجنة والنار .

(٢) سورة يس آية : ٥١ .

(٣) سورة الزمر آية : ٦٨ .

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الفتن - باب ما بين النفختين .

وسلم " بين النفختين أربعون سنة ، الأولى يميت الله تعالى بها كل حي ، والأخرى يحي الله بها كل ميت " [1]

٣ - الإستثناء إلا ما شاء الله الوارد فى الآيتين الكريمتين ﴿ ونفـخ فـي الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا مـن شـاء الله﴾ [2]

وقوله تعالى ﴿ ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السـماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين ﴾ [3]

قال الإمام الحليمى : اتفقت الروايات على أن ما بين النفختين أربعون عامـا بدليل الحديث المتقدم ؛

قال المفسرون المنادى هو " إسرافيل " عليـه الصـلاة والسـلام ينفـخ فى الصور [4]

وعلى كل فسواء كان النفخ مرتين أو ثلاث فإن الأمر الذى لا خلاف عليه أن هذا النفخ علامة على بدء الحياة الثانية التى يبدأ وقتها من حين خروج الناس أحياء من قبورهم بإذن " خالقهم " عز وجل ، وأن أى إنسان لا يمكنه معرفة هذه الحياة الثانيـة — على وجه الحقيقة — وأن على الإنسان أن يطمئن إلى القول أن الحياة الثانية تختلف كلية عن الحياة الأولى وأنها أفضل منها بكثير ، بل لا وجه للمقارنة بين الحياة الدنيـا

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الفتن باب – ما بين النفختين .

(٢) سورة الزمر آية : ٦٨ .

(٣) سورة النمل آية : ٨٧ .

(٤) راجع الإمام القرطبى : التذكرة ص ١٦٥ – ١٦٨ بتصرف واختصار ، الإمام اسـفارينى : لوامع الأنوار البهية ج٢ ص٦١ وما بعدها ، أبـو بكـر الجزائـرى : عقيـدة المؤمـن ص٣٢٤ – ٣٢٦ .

والحياة الآخرة إلا اشتراكهما فى كلمة حياة فقط،ولابد من لفت الأنظار إلى أن أفضلية الحياة الثانية — الآخرة — ليس على إطلاقه وإنما تكون أفضل للمؤمنين الذين خافوا من عقاب " الله " تعالى فى الدنيا ، فكان جزاؤهم الأمن والأمان فى الآخرة ،

أما غير المؤمنين فإن الأولى أفضل بكثير من الآخرة لأنهم لم يخافوا من عقاب " الله " تعالى فى الدنيا ، فكان جزاؤهم الخوف والفزع من لقائه فى الآخرة وصدق الله العظيم فى قرآنه الكريم مشيرا إلى هذا المعنى بقوله تعالى :

﴿ فأما من طغى (٣٧) وآثر الحياة الدنيا (٣٨) فإن الجحيم هي المأوى (٣٩) وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى (٤٠) فإن الجنة هي المأوى (٤١) ﴾ (١)

ويمكن لسائل أن يقول هل كل الخلائق تصعق — تموت — عند النفخ فى الصور أم أن هناك ما يستثنى من ذلك ؟

وقد أجاب على هذا السؤال أحد أئمة الإسلام بقوله : " فإن قيل فعند النفخ فى الصور هل تبقى الأرواح حية كما هى أو تموت ثم تحيا ؟ قيل : قد قال تعالى **﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾** (٢) فقد استثنى " الله " سبحانه بعض من فى السموات ومن فى الأرض من هذا الصعق ،

فقيل : هم الشهداء وهذا قول أبى هريرة و ابن عباس و سعيد بن جبير .

وقيل : هم جبريل و ميكائيل و إسرافيل و ملك الموت وهذا قول مقاتل وغيره.

وقيل : هم الذين فى الجنة من الحور العين وغيرهم ، ومن فى النار من أهل العذاب وخزنتها .

---

(١) سورة النازعات آية : ٣٧ — ٤١ .

(٢) سورة الزمر آية : ٦٨ .

قال أبو اسحاق بن شاقلا من أصحابنا : وقد نص الإمام على أن الحور العين والولدان لا يمتن عند النفخ فى الصور وقد أخبر " الله " سبحانه أن أهل الجنة لا يذوقون الموت فيها إلا الموتة الأولى وهذا نص على أنهم لا يموتون غير تلك الموتة الأولى فلو ماتوا مرة ثانية لكانت موتتين " (١)

ونلحظ فى هذا التوضيح أن سيدنا " محمد " صلى الله عليه وسلم ليس مما يستثنى من الصعق ، ولكن ورد فى الحديث الصحيح الوارد عنه صلى الله عليه وسلم أنه أول من يفيق من الصعق ، وهذا إن دل على شئ ؟ فإنما يدل على أفضليته صلى الله عليه وسلم ومنزلته الرفيعة عند " ربه " تعالى ، كذلك أشار صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف أنه لا يمكنه أن يجزم فيما إذا كان نبى الله موسى عليه الصلاة والسلام صعق مع ما صعق من الخلائق أم أنه قد استثنى من ذلك الصعق ؟

وذلك نظرا لأنه قد صعق من قبل فى حياته الدنيا عندما طلب الرؤية من " الله " عز وجل " كما حكى الله تعالى ذلك فى قوله تعالى :

﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا وَخَرّ موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين (١٤٣) ﴾ (٢)

وقد أكد سيدنا " محمدا " صلى الله عليه وسلم أنه يُصعق ضمن ما يُصعق من الخلائق وذلك فى حديثه الشريف الذى قال فيه :-

" إن الناس يُصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقه يوم الطور " (٣)

---

(١) الإمام ابن القيم : الروح ص ٤٤ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

(٣) الحديث رواه الإمام البخارى فى الخصومات ٨٩/٢ ، الأنبياء ٣٥٩/١٢ .

الحشــــــــــــر

الحشر : فى اللغة الجمع يقال حشرت الناس إذا جمعتهم [1]
وقد تباينت اراء العلماء فى المقصود بالحشر ؟

الرأى الأول :

يذهب إلى أن المقصود بالحشر ؟ حشر الأموات من قبورهم بعد بعثهم جميعـــا وجمع أجزائهم المتفرقة ثم إحياء الأبدان بعد موتها وهو يرادف البعث و النشور فى المعنى؟

قال الله تعالى **﴿ واستمع يوم يناد المنادي من مكـــان قريـــب(٤١)يــوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج(٤٢)إنا نحن نحيي ونميـــت وإلينـــا المصير (٤٣) يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير(٤٤) ﴾** [2]

وجاء فى الحديث الذى أخرجه الإمام مسلم عن سهل بن سعد رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يحشر الناس يوم القيامـــة علـــى أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها علم لأحد " [3]

وأخرج الإمام مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بموعظة فقال " يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عــراة غرلا " [4]

---

(١) راجع الفيروز أبادى : القاموس المحيط مادة حشر ، محمد عبد الحميد ، محمد الســـبكى : المختار من صحاح اللغة مادة حشر .

(٢) سورة ق آية : ٤١ - ٤٤ .

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم فى كتاب - صفة المنافقين - باب - فى البعث والنشور .

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى كتاب - الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب - فناء الدنيـــا وبيان الحشر .

الرأى الثانى :

يذهب إلى أن المقصود بالحشر ؟ حشرهم إلى موقفهم للحساب قال الله تعالى **﴿ ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا ﴾** (1)

الرأى الثالث :

يذهب إلى أن المقصود بالحشر ؟ حشرهم إلى الجنة أو النار قال الله تعالى **﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا (٨٥) ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا (٨٦) ﴾** (2)

وقال الله تعالى **﴿ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا (١٠٢) ﴾** (3)

وقال الله تعالى **﴿ الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا (٣٤) ﴾** (4)

فهذه هى الآراء التى قيلت فى بيان معنى الحشر (5)

---

(١) سورة الكهف آية: ٤٧ .

(٢) سورة مريم آية : ٨٥ – ٨٦ .

(٣) سورة طـه آية : ١٠٢ .

(٤) سورة الفرقان آية: ٣٤ .

(٥) راجع الإمام التفتازانى : شرح المقاصد ج٢ ص٢١٥ – ٢١٨ باختصار وتصرف ، الإمام القرطبى : التذكرة ص٢٠١ وما بعدها ، الإمام السفارينى : لوامع الأنوار البهية ج٢ ص١٤٥ – ١٥٥ ، أبو بكر الجزائرى : عقيدة المؤمن ص٣٢٧ .

ونشير إلى أن الناس فى الحشر يتباينون تباينا عظيما كتباينهم فى أعمالهم وهم فى الدنيا ، كما أن حشر المؤمن يختلف عن حشر غيره من الكافرين والمشركين والملحدين ومن على شاكلتهم ، فالمؤمنون يُحشرون على أرجلهم ، أما الكـافرون — ومـن فى حكمهم — فيُحشرون على وجوههم وهم عمى وبكم وهذا ما أكده القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة ، فمن القرآن الكريم :

قول الله تعالى **﴿ ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجـد لـهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مـأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا (٩٧) ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقـالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا (٩٨)﴾** (١)

ومن السنة النبوية الصحيحة :

قيل لنبينا " محمد " صلى الله عليه وسلم كيف يحشر الكافر على وجهه يـوم القيامة ؟

قال " أليس الذى أمشاه على رجليه فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة " (٢)

كذلك يتفاوت الناس بحسب دنو الشمس منهم أو بعدها وذلك بحسب تباين أعمالهم ومنزلتهم عند ربهم تعالى لدرجة أن الكافرين — ومن فى حكمهم — يتمنون الانصراف ولو إلى النار من شدة الشمس واقترابها من رؤوسـهم ، كذلـك يتفاوتون فى كثرة العرق وقلّته وذلك بحسب طاعتهم لربهم تعالى أو معصيتهم له ؟

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٩٧ - ٩٨ .

(٢) الحديث متفق عليه واللفظ للإمام مسلم ١٣٥/٦ ، والإمام البخارى ١٣٧/٦ .

وهذا ما يؤكده الحديث الصحيح الذى أخرجه الإمام مسلم عن المقداد بن الأسود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم : من يكون إلى كعبه ، ومنهم : من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم : من يكون إلى حقويه ، ومنهم : من يلجمه العرق إلجاما ، قال : وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه " (١)

ومع هذا فإن " الله " تعالى برحمته وفضله لا يترك عباده المؤمنين فى هذا الموقف الرهيب دون عناية وولاية ، وإنما يكون معهم كما كان معهم فى الدنيا بتأييده ونصره فيكونون فى ظل " الله " تعالى يوم لا ظل إلا ظله كما ثبت فى الحديث الصحيح الذى أخرجه الإمام البخارى وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتماعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه " (٢)

فهؤلاء السبعة يكونون فى ظل " الله " تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله ، مما يؤكد أن " الله " تعالى مع عباده المؤمنين الذين أطاعوه تعالى فى الدنيا وخافوا من لقائه تعالى فى الآخرة وآمنوا بهذا الموقف الرهيب وهم فى الدنيا ؛

---

(١) الحديث صحيح رواه الإمام مسلم ١٥٨/٨ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخارى فى كتابه – الإمارة – باب – فضيلة الإمام العادل .

لذا فإن الجزاء من جنس العمل ، أما الكافرون فكذبوا بلقـــاء " الله " تعـــالى وكذبوا بهذا الموقف الرهيب وظنوا أنهم ناجون منه ولكن هيهات لهم ذلك فإن " الله " تعالى غير مخلف وعده .

حكم الإيمان بالحشـــــر

الحشر من الأمور السمعية الثابتة بالنصوص النقلية والبراهين العقلية ،

لذا كان الإيمان به من الأمور الواجبة على الناس عامة والمؤمنين خاصة ،

وهذا ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة و جمهور المعتزلة (١)

وبهذا يؤكد الدليل العقلي والدليل النقلي ثبوت بعث الأموات فى الآخرة ومـــن ينكره كمن ينكر وجود نفسه لأنه ثابت بالنصوص النقلية والبراهين العقلية وثـــابت بالأمثلة المشاهدة التى وقعت بالفعل أمام أولى الألباب من إحياء الأرض بعد موتهـــا ، وإحياء الرجل الذى قتل على يد شاب من بنى إسرائيل وغيرها من أمثلـــة حيـــة لا ينكرها إلا كل مكابد جاحد لآيات الله وأخبار رسله – عليهم الصلاة والسـلام – ولأن البعث ثابت فى جميع الشرائع السماوية وثابت عند جميع العقلاء .

---

(١) الإمام البيجورى : البيجورى على الجوهرة ج٢ ص٧٠

الباب الرابع

الفوز والخسران

ويشتمل على أربعة فصول :

- الفصل الأول : العرض والحساب ...
- الفصل الثانى : الحوض والميزان ...
- الفصل الثالث : الصراط ...
- الفصل الرابع : الجنة والنار ...

الفصل الأول

العرض والحساب

بعد خروج الأموات أحياء من قبورهم بإذن خالقهم عز وجل والنفخ فى الصور يقف الناس جميعا أمام رب العالمين لكى يحاسبهم على أعمالهم إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر وهو ما يسمى بالعرض الأكبر على " الله " تعالى ، وأنه لاينفع فيه قرابة ولا نسب ولا مال ، ولا ولد ، وإنما يقدم العمل الصالح على هذه الأمور التى كانت محل افتخار فى الدنيا ، وان افتخارهم هذا لا يغنى عنهم من " الله " شيئا لأن العزة والشرف يكون بالتقوى والعمل الصالح فقط .

وقد جعل " الله " تعالى العرض بهذه الصفة وذلك ردا على المكذبين والذين فى قلوبهم مرض الذين ظنوا أنهم غير ملاقى " ربهم " عز وجل واستبعدوا أنهم إليه راجعون ، وكأن العرض فى الآخرة مكافأة للمؤمنين المطيعين ، وعقاب للكافرين العاصين ، وأن فيه فوزا ونجاة ، فيه سعادة وفلاحا وشقاوة ومهانة .

كما أن العرض اختبار عملى للخلائق جميعا لكى يتبين صالحهم من طالحهم ومصدقهم من مكذبهم ، ومؤمنهم من كافرهم ؟

وهذا ما تؤكده النصوص النقلية التالية :-

١ - قول الله تعالى **﴿ وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا (٤٨) ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا (٤٩) ﴾** (١)

(١) سورة الكهف آية : ٤٨ - ٤٩ .

٢ - قول الله تعالى ﴿ فيومئذ وقعت الواقعة (١٥) وانشقت السماء فهي يومئذ واهية (١٦) والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (١٧) يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية (١٨) ﴾ (١)

٣ - قول الله تعالى ﴿ يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه (٦)﴾ (٢)

العرض وعدده

عرض الخلائق على ربهم عز وجل ليس مرة واحدة وإنما ثلاث مرات فالعرضتان الأولى والثانية تسمى بالجدال والمعاذير.

أما العرضة الثالثة : فيها تتطاير الصحف ويأخذ الإنسان كتاب أعماله إما بيمينه ؟ وإما بشماله ؟

وهذا ما أكدته الأحاديث النبوية الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي منها :

١ - أخرج الإمام الترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يعرض الناس يو القيامة ثلاث عرضات ، فأما عرضتان : فجدال ومعاذير ، وأما العرضة الثالثة : فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله " (٣)

---

(١) سورة الكهف آية : ١٥ - ١٨ .

(٢) سورة الانشقاق آية : ٦ .

(٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذى فى كتاب - صفة القيامة - باب - ما جاء فى العرض .

٢ - أخرج الإمام ابن ماجه عن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " وأما الثالثة : فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى فآخذ بيمينه ، وآخذ بشماله " (١)

٣ - أخرج الإمام البيهقى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " وأما العرضة الثالثة : فتتطاير الكتب فى الأيمان والشمائل " (٢)

وهذا يؤكده قول الله تعالى فى قرآنه الكريم :

﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا (١٣) اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (١٤) ﴾ (٣) .

ومن خلال أخذ الإنسان كتابه بيمينه أو بشماله ؟ يستطيع أن يتبين فيما إذا كان حسابه يسيرا أو عسيرا ، لأن أخذ الكتاب باليمين أمارة القبول والتيسير ، أما أخذه بالشمال ؟ فهو علامة على الطرد وشدة الحساب ، وكأن أخذ الكتب بالأيمان والشمائل مقدمة لما بعده وهو " الحساب " وهذا ما نتعرف عليه فيما يأتى

---

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجه فى كتاب - الزهد - باب - ذكر البعث .

(٢) الحديث أخرجه الإمام البيهقى فى شعب الإيمان .

(٣) سورة الإسراء آية : ١٣ - ١٤ .

الحســـــاب

بعد اعطاء " الله " تعالى الإنسان كتابه بيمينه أو بشماله يكون الحساب، وغـنى عن البيان أن " الله " تعالى بحكمته ورحمته جعل الحساب فى الآخرة و لم يجعلـه فى الدنيا ؟ لكى يعطى الإنسان فرصة للمراجعة والعودة " لربه " تعالى والخوف من لقائـه وعدم التباطؤ أو التواكل بل يكون يقظا مستعدا للقاء " ربـه " عـز وجـل ، وأن الأعمال بالخواتيم وليس بالمقدمات .

وهذا ما يشير " الله " تعالى إليه بقوله عز من قائل :

﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابـة ولكـن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا (٤٥) ﴾ (١) .

وقوله عز من قائل **﴿ يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه اللـه ونسوه والله على كل شيء شهيد (٦) ﴾** (٢)

وفى الحساب يُسْأل عن عدة أمور ، والسؤال هنا سؤال تقرير واشهاد .

بمعنى أن " الله " تعالى عندما يسأل الإنسان عن أمر من الأمور ؟

ليس معناه أن " الله " تعالى لا يعلم ماذا عمل عبده وماذا يقول لربه تعـالى ، وإنما سؤال " الله " تعالى له لكى يقرره بذنوبه ، ويشهد على نفسه بنفسه ، وهذا أبلغ فى الحجة والإلزام .

---

(١) سورة فاطر آيـة : ٤٥ .

(٢) سورة المجادلة آية : ٦ .

والأمور التي يُسأل عنها الإنسان عند الحساب كثيرة منها :

١ - **السمع والبصر والفؤاد** : فالإنسان مسئول عن جوارحه التي منها السمع والبصر والفؤاد ، وفي هذا تحذير لكل إنسان عامة ولكل مؤمن ومؤمنة خاصة أن لا يستعمل سمعه إلا فيما خلق له وهو طاعة " الله " تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يستعمله فيما نهى " الله " تعالى عنه من التسمع والتصنت والتجسس على الآخرين وتتبع عوراتهم ، ومن فعل هذا ؟ يُصَبُّ في أذنيه الرصاص المغلى في الاخرة جزاء عمله المشين في الدنيا .

كذلك كل إنسان مسئول عن بصره ، لذا فالواجب عليه أن لا يستعمله إلا في طاعة " الله " تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا ينظر به إلى الحرام أو عورات الناس .

وقد أمرنا " الله " تعالى بحفظ البصر لأنه مقدمة الوقوع في مخالفة " الله " تعالى ومخالفة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذا ما أكده " الله " تعالى في قوله عز من قائل **﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون (٣٠) وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن (٣١)﴾** (١)

كذلك على الإنسان حفظ الفؤاد — القلب — وذلك بعدم استعماله فيما فيه مخالفة " الله " تعالى و رسوله صلى الله عليه وسلم لأن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الإنسان ، وإذا فسدت ؟ فسد الإنسان ألا وهي القلب .

وفساد القلب يكون بأمور كثيرة منها : سماع لهو الحديث ، وعدم ذكر " الله " تعالى والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعدم تعلم العلم النافع ،

---

(١) سورة النور آية : ٣٠ - ٣١ .

والانغماس فى الدنيا وملذاتها وشهواتها ؟

وقد حذرنا " الله " عز وجل فى قرآنه الكريم من ذلك بقوله تعالى :

﴿ ولا تقفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا (٣٦)﴾ (١)

٢ – **العمر والشباب والمال والعلم** : فهذه الأمور الأربعة يُسأل عنها الإنسان يوم القيامة عند حسابه من قبل " ربه " تعالى لأن هذه الأمور من نعم " الله " تعالى على الإنسان وإنه سائله عنها ماذا حفظ منها ؟ وماذا ضيع ؟

هل استعملها فى طاعة " الله " تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ؟ أم استعملها فيما فيه مخالفة لهما ؟

وقد حذرنا " الله " تعالى وحذرنا رسوله صلى الله عليه وسلم من عدم استعمال هذه الأمور فيما خلقت له ؟

فمن وصايا " الله " تعالى لنا فى قرآنه الكريم قول الله تعالى **﴿ يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون (٩) ﴾** (٢).

ويقول الله تعالى فى كتابه الكريم **﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم (١٥) ﴾** (٣)

كذلك جاء فى الحديث الصحيح الذى أخرجه الإمام الترمذى عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الإسراء آية : ٣٦ .

(٢) سورة المنافقون آية : ٩ .

(٣) سورة التغابن آية : ١٥ .

" لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه " [1] .

٣ - **اللسان والفرج** : وهما أخطر عضوان فى الإنسان فبهما يصلح حاله فى الدنيا والآخرة ، وبهما يفسد — كذلك — فى الدنيا والآخرة ، وإن جميع الأعضاء تنادى كل يوم على اللسان خاصة وتقول له : اتقى الله فينا فإن أصلحت أصلحنا ، وإن اعوججت اعوججنا ، ومن يحفظ هذين العضوين عن الوقوع فى المحرمات يضمن له الرسول صلى الله عليه وسلم الجنة كما جاء فى معنى حديثه عليه الصلاة والسلام .

٤ - **الاعتقادات والأقوال والأعمال** : وهى من الأمور الأساسية فى كل شريعة سماوية لأن أساس أى عمل أو قول هو الاعتقاد أو العقيدة الصحيحة وبدون عقيدة فلن ينفع قول ولا عمل ، فإذا ما بنى القول والعمل على عقيدة صحيحة كان أقرب إلى القبول والاستحسان من " الله " تعالى ،

أما إذا بنى على غير عقيدة ؟ فإنه مردود على قائله وفاعله لأن " الله " تعالى لا يقبل من الأقوال والأعمال إلا ما كان طيبا ،

ولعل هذا ما يشير " الله " تعالى إليه بقوله عز من قائل **﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (١١٠)﴾** [2]

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذى فى كتاب - القيامة - باب - فى القيامة - وقال حديث حسن صحيح .

(٢) سورة الكهف آية : ١١٠ .

وإذا ما حاول الإنسان أن ينكر شيئا مما عمله أو قاله أو اعتقده ؟ فإن أعضاءه تكذبه وتشهد عليه ، وقد جاء في نصوص قرآنية كثيرة تؤكد هذا المعنى منها :ـ

١ – قول الله تعالى ﴿ قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير (٢٩) يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد (٣٠)﴾ (١)

٢ – قول الله تعالى ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون (٦٥)﴾ (٢)

٣ – قول الله تعالى ﴿ حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون (٢٠) وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون (٢١) وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون (٢٢) وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين (٢٣)﴾ (٣)

---

(١) سورة آل عمران آية : ٢٩ – ٣٠ .

(٢) سورة يس آية : ٦٥ .

(٣) سورة فصلت آية: ٢٠ – ٢٣ .

هل الحساب نوع واحـــــد ؟

وحساب " الله " تعالى للخلائق ليس نوعا واحدا وإنما يتباين بحسب تباين الخلق وتباين أعمالهم وأقوالهم واعتقاداتهم :

فالحساب منه : ما هو يسير ، ومنه : ما هو عسير ، ومنه ما هو سرا ، ومنـه : ما هو جهرا ، ومنه : ما هو توبيخ ، ومنه : ما هو فضل ، ومنه : ما هو عدل ، وهذا ما يشير إليه أحد علماء الإسلام بقوله :ـ

" ذكر الله تعالى الحساب جملة وجاءت الأخبار بذلك وفى بعضها ما يدل علـى أن كثيرا من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب فصار الناس إذن ثلاث فرق ، فرقـة لا يحاسبون أصلا ، وفرقة يحاسبون حسابا يسيرا وهما من المؤمنين ، وفرقة تُحَاسَب حسابا شديدا يكون منها مسلم وكافر ، وإذا كان من المؤمنين من يكـــون أدنى إلى رحمة " الله " تعالى فيدخل الجنة بغير حساب فلا يبعد أن يكون من الكـــافرين مـــن يكون أدنى إلى غضب " الله " تعالى فيدخله النار بغير حساب " (١)

ما هى الحكمة من الحساب ؟

ويحق لسائل أن يقول : ما هى الحكمة أو الهدف من الحساب مع أن من الأمور المعلومة لكل إنسان عاقل أن " الله " تعالى عادلا لا يظلم الناس شيئا ، فلـو أن " الله " تعالى أمر بإدخال من يدخل النار بغير حساب ؟ لم يكن قد ظلمهم ولكـــن " الله " تعالى من حكمته ورحمته يعطى الفرصة لعبده مناقشة حسابه فيكشف له أعماله وأقواله واعتقاداته ويقرره بها حتى يشهد على نفسه بنفسه بالتقصير فى حق " الله " تعالى وحق نفسه وحق الآخرين ، وإن الحكمة من الحساب ؟ إعـــلام " الله " تعـــالى المؤمنـــين

---

(١) راجع الإمام القرطبى : التذكرة ص٢٨٦ بتصرف ، الإمام البيجورى : شرح البيجورى علـى الجوهرة ج٢ ص٧٣ – ٧٤ ، ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص٤١١ – ٤١٤ ، أبـو بكر الجزائرى : عقيدة المؤمن ص٣٣٢ – ٣٣٣ .

والكافرين بما لهم وما عليهم فعندها يفرح المؤمنون بنجاتهم من النار وفوزهم بدخول جنة " الله " تعالى العزيز الغفار ، ويخسر الكافرون بسبب حرمانهم من دخول جنة " الله " تعالى ففى الحساب إعلان بالفوز والسعادة للمؤمنين ، والخسران والشقاء لغيرهم ، ولعل هذا المعنى هو ما يشير " الله " تعالى إليه بقوله عز من قائل :

﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (١٠٦) وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون (١٠٧)﴾ (١)

حكم الإيمان بالحساب

الإيمان بالحساب من الأمور الواجبة على الإنسان عامة والمؤمن خاصة لأنه حق ثابت بالنصوص النقلية والبراهين العقلية ومجمع عليه من جمهور المسلمين (٢)

العقل والحساب

إذا كانت النصوص النقلية قد أكدت حساب " الله " تعالى للخلائق يوم القيامة لكى يلقى المطيع ثواب طاعته والعاصى عقاب عصيانه ، فإن العقل كذلك أثبت ما أثبته " النقل " نظرا لتصديق بعضهما البعض فى مثل هذه الموضوعات السمعية لأنه لا ينكر الحساب إلا كل كاذب كفار أى مكذب بأخبار " الله " تعالى وأخبار رسوله عليه الصلاة والسلام بخلاف المؤمن الذى يؤمن بكل ما أخبر " الله " ورسوله به ويفوض علم كيفيته إلى " الله " تعالى وحده وهذا هو الفرق بين المؤمن وغير المؤمن

فكما خلق " الله " تعالى الإنسان – وغيره من مخلوقات – ورزقه وأحياه ويميته ثم يبعثه مرة أخرى فهو " تعالى " قادر على حسابه وإثابته أو عقابه فما هو

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٦ – ١٠٧ .

(٢) الشيخ عبد السلام اللقانى : شرح جوهرة التوحيد ص٢٢٧

المستنكر فى هذا ، وهل يستنكر أحد من العقلاء مثل هذا الأمر ؟

قال أحد أئمة الإسلام مبرهنا على حساب " الله " تعالى للخلائق يوم القيامة :- " والحساب جمع متفرقات المقادير وتصريف مبلغها وما من إنسان إلا وله أعمال متفرقة نافعة وضارة ومقربة ومبعدة لا تعرف فذلكتها وقد لا تحصر أحاد متفرقاتها ؟

فإذا حصرت المتفرقات وجمع مبلغها كان حسابا ، فإن كان فى قدرة " الله " تعالى أن يكشف فى لحظة واحدة للعالمين متفرقات أعمالهم ومبلغ أثارها فهو أسرع الحاسبين ومعلوم أن فى قدرته ذلك فإذن هو أسرع الحاسبين قطعا ؟

وسُئِل أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه كيف يحاسب " الله " تعالى الخلق فى لحظة من غير تشويش ولا غلط ؟ فقال رضى الله عنه : كما يرزقهم مع سائر الحيوانات بلا تشويش ولا غلط " (١) .

لذا فالواجب على الإنسان عامة والمؤمن والمؤمنة خاصة أن يؤمن بحساب "الله " تعالى للخلائق يوم القيامة ، سواء كان هذا الحساب متعلقا بالحقوق التى بين " الله " تعالى وعبده أو بين الخلق بعضهم وبعض وهو ما يسمى بالقصاص أى الانتصاف للمظلوم من الظالم وللضعيف من القوى ؟

فهذه الحقوق لا تسقط إلا بأحد أمرين ؟ إما بعفو المظلوم والضعيف للظالم والقوى ، أو بالقصاص منهما فى حالة عدم العفو ، وصدق الله العظيم فى قرآنه الكريم مؤكدا هذا المعنى بقوله عز من قائل **﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين (٤٧) ﴾** (٢)

---

(١) الإمام الغزالى : القصور العوالى ج٢ ص١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) سورة الأنبياء آية : ٤٧ .

رزقنا " الله " تعالى حسابا يسيرا ، وأنعم علينا بستره ، وجعل حسابنا وســـائر المؤمنين المخلصين سرا بيننا وبينه " عز وجل " ورزقنا خشيته فى الدنيا ورحمته فى الدنيا والآخرة إنه نعم المولى ونعم النصير .

الفصـــل الثانـــــى

الحــوض
و
الميــزان

فى هذا الفصل نتحدث — بمشيئة الله وتوفيقه — عن الحوض والميزان وهما من الموضوعات السمعية التى سمعنا بهما فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ،

أما الحوض : فقد أنعم " الله " تعالى به على نبيه " محمد " صلى الله عليه وسلم إكراما له ولأمته ، وكدليل على مقام النبى صلى الله عليه وسلم عند ربه تعالى ، وتكريم من النبى صلى الله عليه وسلم لأمته كذلك ؛

فهو أكرم نبى أرسل إلى أكرم أمة وذلك كما أخبر " الله " عز وجل بذلك فى قرآنه الكريم فى قوله عز من قائل ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون (١١٠)﴾ (١)

وقبل بيان النبى صلى الله عليه وسلم لحوضه الشريف الذى أعطاه الله تعالى ولأمته نشير إلى أن الأحاديث التى وردت بشأن وصف حوضه عليه الصلاة والسلام بلغت حد التواتر أى رويت جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب ولايمكن — مع هذه الأحاديث النبوية — إنكار حوضه صلى الله عليه وسلم أو الشك فيه بعد صحة هذه الروايات المتواترة التى رواها ما يقرب من بضع وثلاثون صحابيا من خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛

وهذه بعض الأحاديث النبوية التى جاءت بشأن حوضه صلى الله عليه وسلم وفيها رد قاطع على المكذبين والمشككين :—

١ — أخرج الإمام مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ما آنية الحوض ؟ قال " والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها إلا فى الجنة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

ما بين عمان إلى أيلة ماؤه أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل " (١)

٢ – أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء ، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا " (٢)

٣ – أخرج الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنهما قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال " أنزلت علىّ آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣) ﴾ ثم قال : أتدرون ما الكوثر فقلنا : الله ورسوله أعلم قال : فإنه نهر وعدنيه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول : رب إنه من أمتى فيقول : ما تدرى ما أحدثت بعدك " (٣)

٤ – أخرج الإمامين البخارى ومسلم عن سهل بن سعد رضى الله عنهما قال : " أنا فرطكم (٤) على الحوض من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا ، وليردن علىّ

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم فى كتاب – الفضائل – باب – إثبات حوض نبينا محمد ﷺ وصفاته .

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم فى كتاب – الفضائل – باب – إثبات حوض نبينا محمد ﷺ وصفاته.

(٣) الحديث رواه مسلم فى كتاب الصلاة – باب – حجة من قال البسملة آية من كل سورة سوى سورة براءة .

(٤) أنا فرطكم على الحوض : أى متقدمكم وسابقكم .

أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فيقول صلى الله عليه وسلم إنهم من أمتي فيقال: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن بدّل بعدي " (١)

من يشرب من الحوض ؟

ليس كل إنسان له الحق في حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأنه لا يعطى هذا الفضل لكل إنسان . باطلاق دون قيد أو شرط وإنما هذا الفضل وهذه الكرامة تعطى لمن أطاع " الله " تعالى وأطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يبدل في دين الله تعالى ولا في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم شيئا من أمور مستحدثة وبدع مضرة ، ومما يؤكد هذا ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر :-

١ - أخرج الإمام البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم " ليردن عليّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي فيقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك " (٢)

٢ - أخرج الإمام مسلم عن أسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليّ منكم وسيأخذ أناس دوني فأقول : يارب مني ومن أمتي ، فيقال : أما شعرت ما عملوا بعدك ؟ والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم " (٣)

وعلى هذا فإن من يستحق الشرب من حوض نبينا " محمد " صلى الله عليه وسلم لابد أن يكون ملتزما بأحكام " الله " تعالى التي جاءت في قرآنه الكريم ولا يبدل شيئا منها برأي أو بقياس فاسد أو تقليد مرفوض،

(١) الحديث متفق عليه .
(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب - الرقاق - باب - في الحوض .
(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب- الفضائل- باب - إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

كذلك لا يبدل فى شئ مما [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح مما يتعلق بالعقيدة و[illegible]ة والأخلاق، بل عليه الالتزام بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيهما الهدى والخير والنجاة ولن يضل إنسان تمسك بكتاب " الله " تعالى وسنة رسوله " محمد " صلى الله عليه وسلم ، وقد حذر علماء المسلمين من الارتداد فى الدين أو الشريعة أو الإحداث فيهما أو فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا أحدهم يقول فى ذلك :-

" فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه و لم يأذن به " الله " تعالى فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه " [1] .

كما حاول بعض العلماء أن يستخلص بعض الفوائد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأن حوضه عليه الصلاة والسلام قائلا :-

" والذى يتلخص من الأحاديث الواردة فى صفة الحوض ؟ أنه حوض عظيم ومورد كريم يُمَدُّ من شراب الجنة من نهر الكوثر الذى هو أشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج ، وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك وهو فى غاية الاتساع عرضه وطوله سواء كأن زاوية من زواياه مسيرة شهر ،

وفى بعض الأحاديث أنه كلما شرب منه وهو فى زيادة واتساع ، وانه ينبت فى خلاله من المسك والرضراض من اللؤلؤ وقضبان الذهب ويثمر ألوان الجواهر فسبحان الخالق الذى لا يعجزه شئ ، وقد ورد فى بعض الأحاديث « أن لكل نبى حوضا وأن حوض نبينا صلى الله عليه وسلم أعظمها وأحلاها وأكثرها واردا » [2] جعلنا الله منهم بفضله وكرمه" [3]

---

(١) الإمام القرطبى : التذكرة ص ٣٠٦ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذى ٢/٦٧ وقال حديث حسن .

(٣) ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٨ .

والإيمان بالحوض من الأمور الواجبة على المؤمن والمؤمنة فيثاب من صدق بـــه ويبدع ويفسق جاحده وهذا مذهب " جمهور المســـلمين " وذلـــك نظـــرا لـــورود الأحاديث النبوية الصحيحة بإثباته وفيها رد قاطع على المنكرين له خاصة المعتزلة (١)

وعلى هذا " فالعقل " يؤمن بما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحـــة بشأن حوض نبينا " محمد " صلى الله عليه وسلم نظرا لكرامته ومنزلته عند ربه تعـــالى فما أسعد من شرب منه ، وما أشقى من حرم منه نسأل " الله " عز وجل أن يرزقنـــا الشرب منه نحن وسائر المؤمنين شربة لا نظمأ بعدها أبدا .

الميـــــــــــزان

من حكمة " الله " تعالى وعدله ورحمته أن وضع الميزان لوزن أعمال العباد يـــوم القيامة لكى يشاهد الإنسان بنفسه أعماله التى قدمها فى الدنيا وصدق الله العظيـــم فى القرآن الكريم :

﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم (٦) فمن يعمل مثقال ذر ة خيرا يره (٧) ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (٨)﴾ (٢)

وبعد الوقوف على نتائج الوزن فإما الفوز والسعادة ، وإمـــا الخســـران والشقاء وليس هناك أمرًا ثالثًا .

---

(١) الشيخ عبد السلام : شرح جوهر التوحيد ص ٢٤٠

(٢) سورة الزلزلة آية : ٦ – ٨ .

الوزن والميزان فى اللغة والاصطلاح

الوزن فى أصل اللغة : معرفة كمية بأخرى على وجه مخصوص :

أما الميزان : فهو الميزان الذى له كفتان ولسان فى وسطهما .

أما فى الاصطلاح : فقد اختلف فيه العلماء على قولين :

أحدهما : ان " الله " تعالى ينصب ميزانا وله لسان وكفتان يوم القيامة توزن به أعمال العباد خيرها وشرها ، وهذا قول " جمهور المسلمين " مستدلين بظاهر الأحاديث النبوية الصحيحة الواردة فى هذا المعنى .

ثانيهما : ان الميزان هو العدل والقضاء فى تقدير ما به يكون الجزاء على الأعمال لأن حمل الوزن على هذا المعنى شائع فى اللغة ، وهذا قول " مجاهد " و " الضحاك " و " الأعمش " ومن وافقهم .

وذهب " المعتزلة " إلى أن الميزان هو العدل لأن الأعمال — عندهم — أعراض والأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بنفسها [1]

وعلى هذا فهنا رأيين فى هذا الموضوع الهام :

الرأى الأول : يمثله " جمهور المسلمين " الذين ذهبوا إلى أن الميزان الذى توزن فيه أعمال العباد يوم القيامة ميزان حسى له لسان وكفتان ويستطيع الإنسان أن يشهد وزن أعماله بنفسه .

الرأى الثانى : يمثله مجاهد و الضحاك و الأعمش و المعتزلة ذهبوا إلى أن المراد بالميزان العدل والقضاء فى تقدير ما به يكون الجزاء على الأعمال .

---

(١) الشيخ عبد السلام اللقانى : شرح جوهرة التوحيد ص٢٣٤ ، الطائى : رسالة فى التوحيد ص١١٤ .

والميزان بهذا المعنى لا يكون حسيا وإنما يكون معنويا نظـــرا لاستحالة وزن الأعمال لأنها أعراض كما يقولون ولكن " جمهور المسلمين " لم يوافقوا علـــى هـــذا الرأى فبرهنوا على فساد قولهم نظرا لمخالفته لظاهر الأحاديث النبوية وصريح البراهين العقلية فقالوا فى الرد عليهم :

إن جسم الإنسان وغيره من الجواهر له وزن معين وذلك بتأثير الجاذبية الأرضية ولكن حين ينفصل عن جاذبية الأرض ينعدم وزنه كما هو معروف ،

فالجسم فى القمر مثلا ليس له وزن وفى الأرض له وزنه ، كذلك الأعمال وهى أعراض فى الدنيا لا وزن لها لكن لا مانع من أن تُقلب فى الحياة الأخـــرى أجســـاما فتوزن ، ومما يؤيد هذا القول :

١ - ما روى عن " ابن عباس " رضى الله عنهما : أن الله تعالى يقلـــب الأعـــراض أجساما فيزنها يوم القيامة .

٢ - ما رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وســـلم قال : " يُؤْتَى بالموت كبشاً أغثر فيوقف بين الجنة والنار فيقال : يا أهل الجنـــة فيشرئبون وينظرون ويقال لأهل النار فيشرئبون وينظرون ويرون أن قد جاء الفرج فيذبـــح فيقال : خلود لا موت[1] الحديث .[2]

ولا يخفى على كل ذى لب سليم مدى قوة الرأى الأول الذى يمثله " جمـــهور المسلمين " لأن الحق معهم نظرا لتمسكهم بما ورد من أحاديث عن رسول الله صلـــى الله عليه وسلم تثبت وتؤكد ما ذهبوا إليه من أن الميزان له لسان وكفتان وإن الأعمال توزن فيها أى يوضع الخير فى كفة والشر فى كفة وبينهما اللسان الـــذى يشـــير إلى رجحان الخير على الشر أو العكس ،

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد فى مسنده ج٢ ص٤٢٢ .

(٢) راجع الإمام القرطبى : التذكرة ص٣١٣ بتصرف ، الإمام الجرجانى : شرح المواقف ص ٥٩٣ .

أما ما يقول " المعتزلة " ومن وافقهم من استحالة وزن الأعمال لأنها أعراض ؟

فإن قولهم هذا فيه مخالفة للأحاديث النبوية أولا وفيه قياس الأمور الإلهية بالأمور الإنسانية ثانيا ومعلوم أن قياس الأمور الإلهية بالأمور الإنسانية قياس فاسد وباطل نظرا للتباين الكبير بين أمور " الخالق " تعالى والمخلوق .

فهل " الله " تعالى يعجزه أن يجعل الأعمال التى هى أعراضا أجساما أو جواهر لكى توزن ؟ ، فإذا كان الإنسان قد استطاع أن يحتفظ بصوت وصورة شخص أو أشخاص لمدة طويلة من الزمن فما بالنا بالخالق عز وجل الذى خلق الإنسان وخلق كل شئ فى هذا الوجود ؟ فما بال هؤلاء القوم لا يُقدّرون الله حق قدره ؟ ثم إن " الله " تعالى قال فى قرآنه الكريم **﴿ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون (٨) ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون (٩)﴾** [١]

فالناظر فى هاتين الآيتين الكريمتين يجد فيهما ما يؤكد ما ذهب إليه " جمهور المسلمين " لأنهما تخبران على أن الوزن يكون للإنسان وهذا هو الظاهر منهما ومعلوم أنه لا يمكن صرف اللفظ عن ظاهره إلا بقرينة معلومة فلماذا لا يؤمن المعتزلة - ومن وافقهم - بظاهر النص كما آمن به جمهور المسلمين ؟

ولو فرضنا أن النص يوجد فيه ما يشير إلى أن الوزن للأعمال لا للأشخاص فهل هناك مانع عقلى من أن تتحول الأعمال إلى أجسام لكى توزن بإذن الله تعالى ؟ وبهذا يتبين الأسلم والأصوب الالتزام بظاهر النصوص النقلية والإيمان بها .

وهذا ما فعله السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين أعنى الإيمان بالنص وتفويض معناه إلى " الله " تعالى وحده ونحن متابعين لهم فى ذلك .

---

(١) سورة الأعراف آية : ٨ - ٩ .

وقـــت الـــــوزن

ذهب علماء الإسلام إلى أن وزن الأعمال يكون بعد الانتهاء من الحســاب لأن الوزن للجزاء فينبغى أن يكون للمحاسبة ولأن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء على حسب مقدار الأعمال.

وليس هناك وزن لأعمال الأنبياء و الملائكة ومن يدخل الجنة بغير حساب ، وجاء فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه " إن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فإذا هُذّبوا ونُقّـــوا أذن لهـــم فى دخول الجنة " (١)

وجعل الإمام القرطبى رحمه الله تعالى هذه القنطرة صراطا ثانيا للمؤمنين خاصـــة . وليس يسقط منه أحد فى النار والله تعالى أعلم . (٢)

النصوص السمعية والميزان

لقد ثبت الوزن والميزان بالنصوص النقلية والبراهين العقلية لذا فلا ينكره إلا مكذب بالكتاب والسنة والمكذب بهما كافر كذاب، فمن النصوص النقلية :-

١ - قول الله تعالى **﴿ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فـــأولئك هـــم المفلحون (٨) ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون (٩)﴾** (٣)

٢ - قول الله تعالى **﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شـــيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين(٤٧)﴾** (٤)

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخارى فى أول المظالم .

(٢) ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٢٠ .

(٣) سورة الأعراف آية : ٨ - ٩ .

(٤) سورة الأنبياء آية : ٤٧ .

٣ - قول الله تعالى ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون (١٠٢) ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون (١٠٣)﴾ (١)

٤ - قول الله تعالى ﴿ فأما من ثقلت موازينه (٦) فهو في عيشة راضية (٧) وأما من خفت موازينه (٨) فأمه هاوية (٩) وما أدراك ما هيه (١٠) نار حامية (١١)﴾ (٢)

كذلك ثبت الوزن والميزان بالأحاديث النبوية الصحيحة التى سنذكرها فى موضعها بمشيئة " الله " تعالى وتوفيقه .

ماهى الحكمة من الوزن ؟

ويسأل سائل ما الحكمة من وزن الإنسان أو أعماله فى الآخرة مع أن هناك اتفاق من العلماء والعقلاء على أن " الله " تعالى لا يظلم الناس شيئا فلو أدخل ما أدخل النار دون وزن لايكون قد ظلم مثقال ذرة لذا لابد أن يكون وراء الوزن حكمة لكى يقطع " الله " تعالى دابر الكافرين ويمحق عذر المعتذرين ويرد على الظالمين الخاسرين ولكى ينتصف للمؤمنين والمطيعين والفائزين من الكافرين والعاصين والخاسرين .

قال أحد العلماء مشيرا إلى حكمة الوزن :-

" لإظهار العدل والفضل حيث أنه يزن مثاقيل الذر من خير ومن شر ، فهو علامة لأهل السعادة والشقاوة ، وبه يعرف العباد ما لهم وما عليهم من الخير والشر فتقام الحجة عليهم " (٣)

---

(١) سورة المؤمنون آية : ١٠٢ - ١٠٣ .

(٢) سورة القارعة آية : ٦ - ١١ .

(٣) الإمام القسطلانى : إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى ج٩ ص٣٩٧ بتصريف ، البوطى : كبرى اليقينيات الكونية .

هل الوزن عام فى حق الجميع ؟

هل إقامة الوزن والميزان للجميع أم أنه يكون للبعض دون البعض ؟

وبعد استقراء كثير من أقوال العلماء بهذا الشأن تبين أنهم متفقون على أن الوزن والميزان يكون للجميع إلا من استثناهم الخبر وهم " الملائكة " و " الأنبياء " ومن يدخلون الجنة بغير حساب وقد أكد هذا أحد العلماء بقوله :ـ

" توزن أعمال من خلط عملا صالحا وآخر سيئا من المؤمنين لينال كل جزاؤه وتوزن أعمال المؤمنين المتقين لإظهار فضلهم ، أما السبعون ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب فلا ترفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفا وإنما هى براءات مكتوبة : لا إله إلا الله محمد رسول الله هذه براءة فلان بن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا يشقى بعدها ، وتوزن أعمال الكافرين إظهارا لخزيهم وذلهم وتبكيتا على خلوهم من كل خير " (١)

(١) الإمام القرطبى : التذكرة ص٣١١ - ٣١٥ باختصار .

مسألة خلافية

تباينت آراء العلماء فى المراد بالموزون ما هو ؟

هل هى الصحف الخاصة بكل إنسان ؟

أم هو الشخص نفسه ؟

أم هى الأعمال ذاتها ؟

فهذه ثلاثة احتمالات تمثل ثلاثة أقوال يمثل كل قول منها فريقا من العلماء لهم أدلتهم على ما يقولون وقد أشار أحد العلماء إلى هذه الأقوال الثلاثة بقوله :" اختلف العلماء فى ما يوزن تبعا لاختلاف الأحاديث الواردة فيه على أقوال :

القول الأول : إن الموزون هو صحف الأعمال وهذا القول صححه الإمام القرطبى وابن عبد البر وكذلك صوّبه الشيخ مرعى وذهب إليه " جمهور المسلمين " مستندين إلى عدة أدلة هى :

١ - ما رواه الإمام الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنه سيخلص رجلا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر يقول : أتنكر من هذا شيئا ؟ ظلمك كتبتى الحافظون ؟ فيقول : لا يارب فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول لا يارب ، فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها " أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله " فيقول أحضر وزنك ، فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال : إنك لا تُظلم ، قال : فتوضع السجلات فى كفة والبطاقةفى كافة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شئ " (١)

(١) الحديث رواه الإمام الترمذى ج٧ ص٢٩٥ وقال : حديث حسن غريب .

٢ - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِل عما يوزن من الأعمال يوم القيامة فقال : الصحف [(١)]

٣ - قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما توزن صحاف الأعمال .

القول الثانى : أن الموزون هو " العامل " استنادا إلى أدلة منها :

١ - أخرج الإمام الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما الحديث الخاص بالبطاقة التى يُعطاها العبد يوم القيامة الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : " توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع فى كفة ... الخ [(٢)]

٢ - أخرج الإمام البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال : اقرأوا " فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا " [(٣)]

٣ - أخرج الإمام أحمد عن ابن مسعود رضى الله عنهما أنه كان يجتنى سواكا من الأراك وكان دقيق الساقين الريح تكفؤه فضحك القوم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مم تضحكون ، قالوا : يا نبى الله من دقة ساقيه فقال : والذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من أحد " [(٤)]

---

(١) الإمام السفارينى : لوامع الأنوار الإلهية ج٢ ص١٨٧ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذى فى أبواب الإيمان - باب فى من يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله .

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخارى فى كتاب التفسير - باب أولئك الذين كفروا بآيات ربهم .

(٤) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ج١ ص٤٢٠ - ٤٢١ وهو حديث حسن .

القول الثالث : أن الموزون هو " الأعمال " استنادا إلى :

١ - الحديث الذى أخرجه الإمام مسلم عن ابن مالك الأشعرى رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان " (١)

٢ - الحديث الذى أخرجه الإمام البخارى وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " (٢).

فهذه هى الأقوال الثلاثة التى قيلت فى هذه المسألة (٣)

وربما يظن البعض أن فى هذه الأقوال تعارضا أو تناقضا وذلك نظرا لتعددها ، ولكن الأمر ليس كذلك فليس بينها أى تعارض أو تناقض لأن لكل قول منها سنده الذى يعتمد عليه ، وإن جميع البراهين التى استندوا إليها براهين صحيحة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق على الهوى ، وأن كل فريق من العلماء قد فهم منه صلى الله عليه وسلم ما يؤيد قوله ، لذا فلا مناص من التسليم بالأقوال - الثلاثة - طالما لها ما يؤيدها من السنة النبوية الصحيحة ، وإن الأمر الذى لا خلاف عليه : هو أن هناك وزنا فى الآخرة سواء كان الوزن لصحائف الأعمال ؟ أو للأعمال ذاتها ؟

وإن الحكم العادل فى هذا الشأن هو الله تعالى وحده الذى لا يظلم الناس شيئا بل يجازى كل نفس ما كسبت .

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الطهارة - باب فضل الوضوء .

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الإيمان والنذور .

(٣) ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٧ - ٤١٩ باختصار وتصرف .

كيفيـــــة الــــــوزن

إن فى طبيعة الإنسان التعرف على كل شئ يحيط به أو يسمع به سواء كان هـــذا الشئ متعلقا بالأمور الإلهية أو ما يخص النبوة والرسالة أو يتعلق بالأمور السمعية ناهيك عن الأمور الإنسانية التى تتعلق بمعاشه ومعاده ؟

لذا يحب البعض أن يسأل عن كيفية الوزن فى الآخرة ناسين أن السؤال عـــن أى كيفية تتعلق بالموضوعات السمعية لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى وحده لأن هـــذه أمور غيبية لا مجال للعقل فيها وحده ، بل لابد أن يكون مهتديا ومستأنسا بـالنصوص النقلية التى تنير له الطريق وتوضح له ما خفى عليه وتزيل ما أشكل عليه ؟

ومع هذا فإن " جمهور المسلمين " قالوا : إن الوزن يكون بمقابلـــة الحســـنات بالسيئات أى توضع الحسنات فى كفة ، والسيئات فى الكفة الأخرى لكـــى يظـــهر رجحان إحداهما على الأخرى (1)

حكم الإيمان بالوزن والميزان

الإيمان بالوزن من الأمور الواجبة على الإنسان عامة والمؤمن والمؤمنة خاصـــة لثبوته بالنصوص النقلية والبراهين العقلية واتفاق " جمهور المسلمين " (2)

من ناحية أخرى حذر علماء الإسلام من سوء عاقبة من ينكر الوزن والميزان أو يشكك فى أخبار " الله " تعالى وأخبار رسوله صلى الله عليه وسلم الواردة بشأنه وهذا أحدهم يقول فى ذلك :-

" فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق صلى الله عليه وسلم من غير زيادة

---

(1) راجع الإمام القرطبى : التذكرة ص٣١٢ بتصرف ، ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاويـــة ص٤٢٠ ، محمد خليل هراس : شرح العقيدة الواسطية ص١٢٣ .

(2) الشيخ عبد السلام اللقانى : شرح جوهرة التوحيد ص٢٣٣ - ٢٣٤ .

ولا نقصان وياخيبة من يكذب وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع لخفاء الحكم عليه ويقدح فى النصوص بقوله " الذين لا يقيم الله تعالى لهم يوم القيامة وزنا ، ولو لم يكن من الحكمة فى وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه للجميع علدة فإنه لا أحد أحب إليه العذر من " الله " تعالى من أجل ذلك أرسل " الرسل " مبشرين ومنذرين فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه " (١)

أيهمـــــا أوّلا ؟

وفى الختام نشير إلى خلاف يسير بين علماء الإسلام فيما يتعلق بالحوض والميزان أيهما يكون أولا ، هل الشرب من حوض نبينا صلى الله عليه وسلم يكون أولا قبل الميزان أم العكس ؟

وقد انقسم العلماء بشأن هذه المسألة السمعية لفريقين :

أولهما : يذهب إلى أن الحوض يكون أولا قبل الميزان .

ثانيهما : يذهب إلى أن الميزان يكون أولا قبل الحوض .

وقد أشار إلى رجحان الرأى الأول كثير من علماء الإسلام وذلك لتوافقه مع سير الأحداث يوم القيامة وخروج المؤمنين — وغيرهم — عطاشى من قبورهم فأولى لهم أن يشربوا أولا ثم يوضع لهم الله تعالى الوزن والميزان وفى هذا المعنى قال أحد العلماء : " قال العلامة " أبو عبد الله القرطبى رحمه الله فى التذكرة واختلف فى الميزان والحوض أيهما قبل الآخر ؟

فقيل الميزان ، وقيل الحوض قال أبو الحسن القابسى والصحيح أن الحوض قبل ، قال القرطبى : والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم فيقدم قبل الميزان والصراط ،

---

(١) ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص٤١٩ .

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتاب كشف علوم الآخرة حكى بعض السلف من أهل التصنيف أن الحوض يورد بعد الصراط ؟

وهو غلط من قائله ، قال القرطبي : هو كما قال ، ثم قال القرطبي : لا يخطر ببالك في هذه الأرض المبدلة أرض بيضاء كالفضة إنتهى فقاتل الله المنكرين لوجود الحوض وأخلق بهم أن يُحال بينهم وبين وروده يوم العطش الأكبر (١) .

وسواء كان الشرب من الحوض أولا ؟ أم الميزان فإن الأمر الذي لا خلاف عليه بين " جمهور المسلمين " أن كلاهما ثابت بالنصوص النقلية والبراهين العقلية وأنهما لا تقبل التأويل أو صرفها عن ظواهرها لذا فيجب الإيمان بهما بصرف النظر عن التقديم أو التأخير لأن عدم وقوفنا على أيهما أولا لا يضر شيئا وإنما الضر كل الضر أن نكذب بهما أو بأخبار الله — تعالى — وأخبار رسله عليهم الصلاة والسلام رزقنا الله — برحمته وفضله — والمؤمنون الشرب من حوضه الشريف إنه جواد كريم .

---

(١) ابن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية ص٢٢٩ .

الفصـــل

الثالـــــث

الصـــراط

بعد الانتهاء أو الانصراف من الحساب والوزن يقابل الإنسان امتحان آخر فى طريق وصوله إلى الجنة أو النار فإما أن يكون من الفائزين أو الخاسرين ؟

وهذا الامتحان أو العقبة هى المرور على الصراط الذى يُعَدّ الامتحان الحقيقى لكل إنسان فإن اجتازه بتوفيق الله تعالى وهدايته فقد فاز فوزا عظيما ، وإن تعثر ؟ فقد ضل ضلالا مبينا وخسر خسرانا عظيما ، وليس هناك دليل على شدة هذا الموقف الرهيب من أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم يكون واقفا على جنباته عند مرور الناس عليه يدعو ربه تعالى رب سلّم رب سلّم (١)

الصراط فى اللغة والشرع :

الصراط فى اللغة :الطريق الواضح مأخوذ من صرطه إذا ابتلعه لأنه يبتلع المارة .

وفى الشرع :جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون بعد انصرافهم من الموقف ووزن أعمالهم فأهل الجنة يمرون عليه وهم متجهون إليها وأهل النار يسقطون فيها (٢)

النصوص النقلية والصراط

لقد ثبت الصراط بالنصوص النقلية " كتاب وسنة " مما يؤكد حقيقته فها هى :

١ - قول الله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم (٦)﴾ (٣)

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم ١٢٩/١ - ١٣٠ .

(٢) الإمام الغزالى : قواعد العقائد ص١٢٣ ، الإمام السفارينى : لوامع الأنوار البهية ج٢ ص١٨٩ .

(٣) سورة الفاتحة آية : ٦ .

٢ - قول الله تعالى ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) ﴾ [١]

٣ - قول الله تعالى ﴿ قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى (١٣٥) ﴾ [٢]

٤ - قول الله تعالى ﴿ ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون (٦٦) ﴾ [٣]

٥ - قول الله تعالى ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم (٢٣) وقفوهم إنهم مسئولون (٢٤) ﴾ [٤]

٦ - ما أخرجه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ثم يُضْرَبُ الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولول : اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك وتكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرفة العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ، ومكدوش فى نار جهنم " [٥]

٧ - ما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه وجاء فيه : " فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتى الصراط يمينا وشمالا فيمر أولكم كالبرق قلت : بأبى وأمى أى شئ يمر كالبرق ؟ قال : ألم تروا إلى

---

(١) سورة مريم آية : ٧١ - ٧٢ .

(٢) سورة طه آية : ١٣٥ .

(٣) سورة يس آية : ٦٦ .

(٤) سورة الصافات آية : ٢٣ - ٢٤ .

(٥) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الإيمان - باب معرفة طريق الرؤية .

البرق كيف يمر ويرجع فى طرفة عين ، ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرحال تجرى بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول : رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجئ الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا قال : وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ، ومكدوش فى النار " [1]

الصراط وصفته

تباينت آراء العلماء فى تفسير مفهوم الصراط وصفته وهذا التباين يرجع إلى اعتبارات عديدة – فى نظرى – منها :

١ – تعدد الروايات الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الموضوع .

٢ – تباين الناس فى المرور على الصراط وذلك تبعا لتباين أعمالهم ودرجاتهم عند ربهم تعالى .

٣ – تباين فهم " العلماء " لمعنى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الوارد بهذا الموضوع الهام .

وهذا بيان لبعض الأقوال الواردة عن بعض " الصحابة " و " علماء الكلام " فى صفة الصراط:

جاء عن الصحابى الجليل أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : " بلغنى أن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف " [2]

ومن خلال هذا القول تباينت الآراء فى تفسيرصفة الصراط :ـ

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم ١٢٩/١ – ١٣٠ .

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم فى كتاب الإيمان – باب معرفة طريق الرؤية .

١ – ذهب بعض " المتكلمين " أمثال " القرافى " و " العز بن عبد السلام " : أنه يرجع إلى اليسر والعسر بحسب الطاعات والمعاصى وإن الذى يعلم حقيقته هو " الله " تعالى وحده،

وقد جرت العادة بضرب دقة الشعر مثلا للغامض الخفى وحد السيف لإسراع الملائكة فى المضى لإمتثال أمر " الله " تعالى وإجازة الناس عليه ، كما أن هذا الوصف – الذى ورد عن أبى سعيد الخدرى – مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجنبيه وأن فيه كلاليب وحسكا أى أن من يمر عليه يقع على بطنه ، ومنهم من يزل ثم يقوم وفى ذلك إشارة إلى أن للمارين عليه مواطئ للأقدام ودقة الشعر لا يحتمل هذا كله،

وقا الإمام " القرافى " كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف لم أجده فى الروايات الصحيحة وإنما يُروى عن بعض الصحابة .

٢ – ذهب بعض العلماء كالإمام " القرطبى " وغيره إلى أن " الله " تعالى لا يعجزه شئ وأنه قادر على أن يجعل الصراط كما وصف وإن الأخبار الصحيحة تؤكد ذلك الوصف وهذا ما قاله الإمام " القرطبى " فى رده على الرأى الأول :-

" وهذا مردود بما ورد من الأخبار وإن الإيمان يجب بذلك وإن القادر على إمساك الطير فى الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن فيجريه أو يمشيه ولا يعدل عن الحقيقة إلا المجاز إلا عند الاستحالة ، ولاإستحالة فى ذلك للآثار الواردة فى ذلك وبيانها بنقل الأئمة العدول ومن لم يجعل " الله " له نورا فما له من نور " (١)

---

(١) راجع الإمام القرطبى : التذكرة ص٣٣١ – ٣٣٣ باختصار وتصرف ، الإمام السفارينى : لوامع الأنوار البهية ج٢ ص١٩٣ ، الإمام التفتازانى : شرح المقاصد ج٢ ص٢٢٣ ، الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين ج١ ص١٢٠ ، الإمام الجرجانى : شرح المواقف ص٥٩٢ .

والناظر فى هذين القولين يجد أن القول الثانى منهما أقرب إلى الحقيقة والعقل لاسيما أن الذى بيده أمر الأولى والآخرة هو " الله " تعالى وحده الذى يقول للشئ كن فيكون ،

بالإضافة إلى أنه مؤيداً بالأخبار الصحيحة الواردة عن جمع كبير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعض علماء الكلام الأجلاء وأن وصف الصراط بهذه الصفة ليس مما يحيله العقل السليم فكما أن " الله " تعالى مع عباده المؤمنين بنصرهم وتأييدهم واخراجهم من الظلمات إلى النور وهم فى الدنيا فكذلك يكون معهم وهم على صراطه المستقيم فى الآخرة وإلا فما الذى يميز المؤمن من غيره إذا كان " الله " تعالى يترك المؤمنين دون هداية كما ترك الكافرين ولأنهم نسوا " الله " تعالى فأنساهم أنفسهم ؟

لذا فالواجب على الإنسان عامة والمؤمن والمؤمنة خاصة أن يؤمنوا بما ورد فى وصف الصراط ولا يدع لنفسه مجالا للتأويلات أو التفسيرات العقلية التى تبعده عن الفهم الصحيح لهذا الأمر فيضل ويضلل وقانا " الله " تعالى والمؤمنون الضلال والإضلال وهدانا صراطه المستقيم فى الدنيا والآخرة .

تباين الناس فى المرور على الصراط

جاءت أخبار وروايات صحيحة تشير إلى تفاوت الناس فى المرور على الصراط وذلك بحسب أعمالهم ودرجاتهم عند ربهم تعالى ويكاد أن يكون هذا الأمر من الأمور المسلمة من جميع العقلاء لأن الجزاء من جنس العمل ومن كان مع " الله " تعالى فى الدنيا كان " الله " معه فى الدنيا والآخرة وإذا ما أعرض " الله " تعالى عن إنسان فمن يكون معه ؟ وفى هذا المعنى قال أحد العلماء :-

" ويتفاوت المرور على الصراط بقدر أعمالهم فى الدنيا وقد وردت بعض الأحاديث الصحيحة تبين هذا التفاوت ومما جاء فيها :

فمنهم : من يمر كالطرف ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ، ومنهم من يمشى مشيا ومنهم من يحبوا حبوا ومنهم من يمر زحفا ومنهم من يمر تخر يد وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار، ومنهم من يخطف خطفا ويلقى فى جهنم فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم (١)

هل المرور عام أم خاص ؟

ويقول قائل هل المرور على الصراط عام فى حق جميع الناس أم أنه خاص بطائفة دون أخرى ؟

ومن خلال استقراء كثير من أقوال العلماء الواردة بشأن هذا الأمر تبين أنهم يتفقون على أن المرور على الصراط عام فى حق جميع الناس بما فيهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وهذا أحدهم يؤكد على هذا بقوله :-

" كذلك يمر على الصراط جميع العباد من الأنبياء والصديقين ومن يدخل الجنة بغير حساب والمؤمنون والكفار ومن استقام على صراط الله المستقيم الذى هو دينه الحق فى الدنيا استقام على هذا الصراط فى الآخرة " (٢)

وعلى هذا فإن المرور على الصراط يشمل جميع الناس وذلك يدل على سعادة وفوز المؤمنين بهداية " الله " تعالى وجنته، ودليل على شقاء الكافرين ومن فى حكمهم وخسرانهم ودخولهم النار وبئس القرار وانه اختبار عملى للمؤمنين والكافرين واشارة واضحة إلى تأييد " الله " تعالى للمؤمنين فى الدنيا والآخرة وإعراضه عن الكافرين فى الآخرة كما أعرضوا عنه فى الدنيا .

---

(١) راجع خليل هراس : شرح العقيدة الواسطية ص١٢٦ ، ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص٤١٥ ، الإمام البيجورى : شرح جوهرة التوحيد ص١٨١ ، أبو بكر الجزائرى: عقيدة المؤمن ص٢٣٥ .

(٢) محمد البيجورى هراس : شرح العقيدة الواسطية ص١٢٦ .

مسألة خلافية

تباينت اراء العلماء والمفسرين فى المراد بالورود المذكور فى الآية الكريمة — التى سنذكرها — هل هو الدخول فى النار بالفعل أم هو المرور على الصراط فقط ؟

وقد انقسم العلماء والمفسرين فى الإجابة على هذا السؤال إلى فريقين :

أولهما : يذهب إلى أن المراد بالورود المرور على الصراط فقط .

ثانيهما : يذهب إلى أن المراد بالمرور الورود على النار .

والرأى الأول : هو الذى رجّحه كثير من العلماء نظرا لموافقته للنصوص النقلية الواردة بهذا الشأن وللبراهين العقلية كذلك ، وهذا ما قاله أحد العلماء فى هذا المعنى :- " واختلف المفسرون فى المراد بالورود المذكور فى قوله تعالى **﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ﴾** [١] ما هو ؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط قال تعالى **﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) ﴾** [٢]

وجاء فى الصحيح عن أم مبشر أنه صلى الله عليه وسلم قال . " والذى نفسى بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة قالت حفصة فقلت يا رسول الله أليس الله يقول : **﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾** [٣] فقال . **﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) ﴾** [٤] "

---

(١) سورة مريم آية : ٧١ .
(٢) سورة مريم آية : ٧٢ .
(٣) سورة مريم آية : ٧١ .
(٤) سورة مريم آية : ٧٢ .

أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله بل تستلزم انعقاد سببه فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه يُقال نجاه " الله " تعالى منهم، وبين صلى الله عليه وسلم فى حديث " جابر " المذكور أن الورود هو الورود على الصراط، وروى الحافظ أبو النصر الوائلى عن أبى هريرة رضى لله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : " علّم الناس سُنّتى وإن كرهوا ذلك ، وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة ؟ فلا تحدثن فى دين الله حدثا برأيك " [1]

أورد القرطبى وروى أبو بكر بن أحمد بن سليمان النجار عن يعلى بن منية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " تقول النار للمؤمن يوم القيامة : جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى " [2]

هذا فيما جاء فى تفسير الورود المذكورة فى الآية الكريمة [3]

وعلى هذا يمكن القول أنه ولو كان المراد بالورود — المذكورة فى الآية الكريمة — المرور أو الورود على النار لا الصراط ؟

فإن سياق الآية الكريمة يوضح أن الورود غير الدخول أو البقاء فيها ، بمعنى أن " الله " تعالى برحمته وفضله ينجى المؤمنين من دخول النار حتى ولو وردوها ، ثم يترك الكافرين — ومن فى حكمهم — فيها وهذا هو الفرق بين المؤمنين وغيرهم ، وأن هذا المعنى تشير إليه الأحاديث النبوية حتى ولو كانت ضعيفة فإن لها ما يقويها فى الآية المذكورة ؛

---

(١) الحديث قال عنه محققوا الأحاديث أنه " موضوع " وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .

(٢) الحديث ضعيف رواه الطبرى وابن عدى وأبو نعيم وغيرهم بإسناد فيه ضعف وانقطاع .

(٣) ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٦ – ٤١٧ باختصار وتصرف .

وهذا فيه فوز للمؤمنين ، وخسران للكافرين ، وإن هذا المعنى يقبلـــه العقـــل السليم ولا يحيله ، وأنه يتوافق مع الفطرة السليمة التى تميز بين الحق والباطل والقـــوى والضعيف .

الصراط ليس واحدا

أشار " علماء الإسلام " أن الصراط الذى يمر الناس عليه يوم القيامـــة ليـــس صراطا واحدا وإنما هو صراطان :

الأول : مجاز لأهل الحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حســاب ، أو من التقطته عنق النار ، ولا يخلص منه المؤمنون الذين علم " الله " منـــهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم فيحاسبون على الصراط .

الثانى : بين الجنة والنار ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إلا ما شاء الله لأنهم قـــد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم الذى يسقط فيه من أوبقـــه ذنبه وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه .

ومما يؤكد أن هناك صراطين فى الآخرة الحديث الذى أخرجه الإمام البخـــارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم " يخلص المؤمنون من النار فَيُحْبَسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم مـــن بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هُذّبوا ونقوا ؟ أذن لهم فى دخـــول الجنـــة فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان فى الدنيا " (١)

وذكر الدارقطنى حديثا ذكر فيه أن الجنة بعد الصراط ، وقال الإمام القرطـــبى ولعله بعد القنطرة استنادا على حديث رسول الله صلى الله عليه وســـلم الـــذى رواه الإمام البخارى رحمه الله (٢)

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الرقاق – باب القصاص يوم القيامة .

(٢) راجع الإمام القرطبى : التذكرة ص٣٣٨ – ٣٣٩ بتصرف ، السفارينى : لوامع الأنوار البهيـة ج٢ ص١٨٩ .

حكم الإيمان به

الإيمان بوجود الصراط فى الآخرة من الأمور الواجبة على الإنسان عامة والمؤمن والمؤمنة خاصة وذلك لثبوته بالنصوص النقلية والبراهين العقلية ، واتفـاق " جمهور المسلمين " على وجوده [1]

وإذا ما أنكر إنسان شيئا ثابتا بالكتاب والسنة ؟ فإنه يكون مكذبا " لله " تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم والمكذب لهما " كاذب كفار " باتفاق المسلمين .

العقل والصراط

بعد أن ثبت الصراط بالنصوص النقلية فإن " العقل " كذلك يؤيده فى هذا الموضوع السمعى الهام الذى يعتبر علامة من علامات الصادقين فى إيمانهم والمذبذبين بين هؤلاء وأولئك ؟

ويعتبر فارقا قويا — كذلك — بين من يؤمنون بالغيب ومن يكذبون به ،

وإن كل عقل سليم يعتقد أنه لا يستوى النور مع الظلام ، والحق مع الباطل والخير مع الشر ، والعدل مع الظلم ، والإيمان مع الكفر ، والصدق مع الكذب إلى غير ذلك من متناقضات ،

وإن الجزاء فى الآخرة من جنس العمل ، فمن صدق بأخبار " الله " تعالى نصره وأيده وهداه إلى صراطه المستقيم ،

---

(١) الشيخ عبد السلام اللقانى : شرح جوهرة التوحيد ص٢٣٥ .

أما إن كانت الأخرى ؟ فإن كل عاقل يقول لا يستوى هذا مع ذاك وان لكل منهما جزاؤه اللائق به وهذا أحد علماء الإسلام يؤكد على وجود الصراط ويحذر المكذبين والمتهاونين فيقول :ـ

" فمن استقام على الصراط المستقيم خفّ على صراط الآخرة ونجا ، ومن عدل عن الاستقامة فى الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى ؟ تعثر فى أول قدم من الصراط وتردّى ، فتفكّر الآن فيما يحل من الفزع لفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته قرع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت أن تمشى على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك عن المشى على بساط الأرض فضلا عن حدة الصراط ؟

فانظر إلى حالك وأنت تزحف عليه وتصعد إليه وأنت مثقل الظهر بأوزارك تلتفت يمينا وشمالا إلى الخلق وهم يتفاوتون فى النار والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : " يارب سلم سلم " والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم لكثرة مَن نزل عن الصراط من الخلائق ؟

فكيف بك لو زلّت قدمك و لم ينفعك قدمك فناديت بالويل والثبوروقلت : هذا ما كنت أخافه فياليتنى قَدّمْتُ لحياتى ﴿ ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا (٢٧) ياويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا (٢٨)﴾ [١] يا ليتنى كنت ترابا ، يا ليتنى كنت نسيا منسيا ، يا ليت أمى لم تلدنى " [٢]

وهكذا ثبت الصراط بالنصوص النقلية والبراهين العقلية واتفاق " جمهور المسلمين " ولا ينكره إلا كل كاذب كفار ، رزقنا " الله " تعالى والمؤمنون الاهتداء إلى صراطه المستقيم فى الدنيا والآخرة ووقانا من الضلال إنه نعم المولى ونعم النصير .

---

(١) سورة الفرقان آية : ٢٧ - ٢٨ .

(٢) الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين ج٤ ص٥٢٤ ، القصور العوالى ص١٦٠ - ١٦١ .

الفصل الرابع

الجنة

و

النار

فى هذا الفصل — بمشيئة الله وتوفيقه — نتعرف على صفات المؤمنين الفائزين بجنة " الله " تعالى ورضوانه ، وصفات الخاسرين خسرانا مبينا ، محاولين أن نبين بعض النعيم الذى أعده " الله " تعالى للمتقين المنعمين وبعض العذاب الذى أعده " الله " تعالى للعاصين المعذبين .

والحديث عن الجنة ونعيمها متشعب ومشوق للمؤمنين الصالحين الذين يحبون أن يتعرفوا على شئ من هذا الفضل وهذه الجائزة الكبرى التى منحها " الله " تعالى لهم

وعلى الجانب الآخر لابد من التذكير ببعض ألوان العذاب الذى ينتظر المجرمين العاصين الذين أكلوا من رزق " الله " تعالى وعبدوا غيره ، والذين تمتعوا فى حياتهم الدنيا على حساب المستضعفين فى الأرض ، والذين ظنوا أنهم غير ملاقى " ربهم " تعالى ناسين أو متناسين أن " الله " تعالى لا يخلف وعده فوعده حق وقوله صدق قاصدا من هذا عودة المجرمين والظالمين العاصين إلى " ربهم " سبحانه وتعالى بالتوبة والندم على ما فعلوا فى حق " الله " تعالى وحق عباده المستضعفين لعل " الله " عز وجل أن يقبلهم ويعفوا عنهم ؟

وإذ لم يفعلوا هذا قبل موتهم وفى حال صحتهم وقوتهم ؟

فلن تنفعهم توبتهم بعد هذا حتى ولو جاءوا بملئ الأرض ذهبا ، وصدق الله العظيم فى قرآنه الكريم مبينا مواضع التوبة وشروطها :

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨) ﴾ (١)

---

(١) سورة النساء آية : ١٧ — ١٨ .

مع الإشارة والتأكيد أن نعيم أهل الجنة دائم لا ينقطع أبدا بأمر " الله " تعالى كذلك عذاب أهل النار فى النار مستمر لا يفتر عنهم أبدا ، وهذا فيه ما فيه من المنافسة والمسارعة إلى الخيرات ، ودعوة صريحة للمجرمين — ومن على شاكلتهم من المنافقين وغيرهم — أن يتوبوا توبة نصوحا قبل أن لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى " ربه " عز وجل بقلب سليم ،

وما يؤكد أن نعيم الجنة دائم لا ينقطع ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :—

١ – أخرج الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يقول الله عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا بله – أى غَيْرَ أَوْدَعْ – ما أطلعكم الله عليه ثم قرأ ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)** ﴾ (١)

٢ – أخرج الإمام مسلم عن أبى سعيد الخدرى و أبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " ينادى مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا فذلك قوله عز وجل ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون " (٢)

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم فى بداية كتاب الجنة ، سورة السجدة آية : ١٧ .

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم فى كتاب – الجنة – باب – فى دوام نعيم أهل الجنة .

النصوص النقلية والجنة

ومن باب الترغيب فى نعيم الجنة والتشوق إلى سماع أخبارها وصفات أهلها إليك جانبا من النصوص النقلية التى جاءت بهذا الخصوص :

١ - قال الله تعالى ﴿ وَبَشِّرْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥) ﴾ (١)

٢ - قال الله تعالى ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) ﴾ (٢)

٣ - قال الله تعالى ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) ﴾ (٣)

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٥ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٣٣ - ١٣٦ .

٤ - قال الله تعالى ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) ﴾ (١)

٥ - قال الله تعالى ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٨) ﴾ (٢)

٦ - قال الله تعالى ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) ﴾ (٣)

٧ - قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) ﴾ (٤)

٨ - قال الله تعالى ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) ﴾ (٥)

٩ - قال الله تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢) ﴾ (٦)

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٩٥ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٩٨ .

(٣) سورة النساء آيـة : ١٣ .

(٤) سورة النساء آيـة : ١٢٤ .

(٥) سورة المائدة آيـة : ١١٩ .

(٦) سورة التوبة آيـة : ٧٢ .

١٠ - قال الله تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) ﴾ (١)

فهذا قليل من كثير من النصوص النقلية التى تتحدث عن الجنة ونعيمها وصفة أهلها فما أعظمها وأعظم أهلها ، وما أسعد من يسعى إليها ويضحى بكل شىء فى سبيل الوصول والفوز بدخولها والتنعم بخيراتها ونعيمها ؟

وإذا ما نظرنا إلى صفات أهل الجنة — التى جاءت بالنصوص النقلية — نجد أنها تتميز بكل صفات الرفعة والخلود وكل صفة محببة إلى النفس الإنسانية فمن صفات الجنة وأهلها كما فهمناها من النصوص النقلية الواردة بشأنها :

١ - أنها قريبة من المتقين .

٢ - أنها عالية الدرجة والمكان وذات أشجار وأنهار .

٣ - عرضها كعرض السموات والأرض .

٤ - لها أبواب كثيرة مفتحة للمؤمنين الصالحين .

٥ - الأنهار التى بها تجرى من تحتها .

٦ - فيها عيون جارية فوارة بالماء العذب .

٧ - لها خزنة يقومون بتحية الداخلين بأحسن تحية وهى تحية الإسلام من رب السلام لأهل السلام ليدخلوها بسلام .

٨ - لها غرف من فوقها غرف كل واحد فى غرفة بحسب عمله .

٩ - أشجارها ذات فروع وأغصان مختلفة الشكل واللون طيبة الريح .

(١) سورة التوبة آية : ١٠٠ .

١٠ – لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وإنما ظلا ظليلا .

١١ – نعيمها لا ينقطع ولا يقل بكثرة التناول منه .

١٢ – جوها معتدل بحيث يناسب الجميع لأن بها الفصول الأربعة .

١٣ – شرابها لذيذ الطعم وجميل الشكل .

١٤ – لا يصدعون عنها ولا يترفون .

١٥ – فيها فواكه كثيرة من كل صنف وما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين .

١٦ – ثمارها متنوعة لا مقطوعة ولا ممنوعة .

١٧ – قُطوفها دانية من الجميع دون تعب ولا نصب .

١٨ – يُطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب مختلفة الشكل واللون والطعم بأيدى ولدان مخلدون .

١٩ – يُطاف عليهم بطعام وشراب مختلفا لونه وطعمه فيه لذة للآكلين والشاربين .

٢٠ – يُحَلّون فيها بأساور من ذهب وفضة وثيابا من سندس وإستبرق .

٢١ – ينامون فيها هم وأزواجهم على سرر مصفوفة متقابلين .

٢٢ – يتنعمون فيها بأحسن وأفضل نعمة وهى النظر إلى وجه الله الكريم .

٢٣ – لا يجدون فيها لغوا ولا تأثيما ولكن سلاما سلاما .

٢٤ – لا يشعرون فيها بأى تعب ولا نصب .

٢٥ – فيها سرر مرفوعة ، ونمارق مصفوفة ، وزرابى مبثوثة .

رزقنا " الله " تعالى وسائر المؤمنين دخولها والتمتع بخيراتها إنه جواد كريم .

الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن

اتفق جمهور المسلمين على أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن ، وأنهما لا تفنيان ولا تبيدان ، وأن خلقهما كان قبل خلق الإنسان ولكن الذى يعلم مكانهما وكيفية خلقهما هو " الله " تعالى وحده ، وقد جعلهما دار ثواب للمؤمنين ودار عقاب للكافرين ، وهما موجودتان الآن خلافا " للمعتزلة " و " القدرية " الذين زعموا أن " الله " تعالى سيخلقهما يوم القيامة ؛

وقد عللوا مذهبهم — الفاسد — هذا بأمور فاسدة وأفكار قاصرة فقالوا ضمن ما قالوا : إن خلقهما قبل يوم الجزاء عبث ، وانهما لو كانتا موجودتان الآن ؟ لكانتا معطّلتان .

هذا هو تعليل " المعتزلة " فى إنكار أن تكون الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن ؛

ولكن هذا القول وهذا التعليل فاسد ومخالف للنصوص النقلية والبراهين العقلية واتفاق " جمهور المسلمين " ، فقد استدل " أهل السنة والجماعة " على أن الجنة والنار موجودتان الآن بالنصوص النقلية التى منها :

١ - قول الله تعالى ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)﴾ (١)

٢ - قال الله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١)﴾ (٢)

٣ - قول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى(١٣)عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥)﴾ (٣) .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٣٣ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٣١ .

(٣) سورة النجم آية : ١٣- ١٥ .

٤ - قول الله تعالى ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) ﴾ (١)

٥ - قول الله تعالى ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) ﴾ (٢)

٦ - إن النبى صلى الله عليه وسلم رأى سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى كما فى الصحيحين من حديث أنس رضى الله عنه فى قصة الإسراء وفى آخره " انطلق بى جبريل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى ما هى ؟ قال . ثم دخلت الجنة فإذا هى جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك " (٣)

٧ - فى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة ؟ فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار ؟ فمن أهل النار يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة " (٤)

٨ - فى الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فافرشوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال : فيأتيه من روحها وطيبها " (٥)

ونظائر هذه الأحاديث فى السنة النبوية كثيرة (٦)

---

(١) سورة الحديد آية : ٢١ .

(٢) سورة النبأ آيــة : ٢١ - ٢٢ .

(٣) الحديث فى الصحيحين .

(٤) الحديث صحيح واخرجه الإمام أحمد ١٦/٢ ، ٥١ ، ١١٣ ، ١٢٣ .

(٥) الحديث صحيح أحكام الجنائز .

(٦) راجع الإمام الغزالى : قواعد العقائد ص١٢٤ بتصرف ، ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٢٠ - ٤٢٣ .

فهذه النصوص النقلية — من كتاب وسنة — تبرهن وتؤكد على أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن وجودا لا يعلم حقيقته إلا " الله " تعالى وحده ،

وأن هذه أخبار " الله " تعالى وأخبار رسوله صلى الله عليه وسلم فى الجنة والنار وإذا لم يصدق الإنسان بأخبار " الله " عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فبأى شئ يصدق بعدهما ؟

مع أن من صفات المؤمن الإيمان بالغيب ، والجنة والنار من الغيبيات أو الأمور السمعية التى سمعنا بها — فى الكتاب والسنة — ولم نرها بعد ، وأى فرق يكون بين المؤمن وغيره إذا لم يصدق المؤمن بما قاله " الله " تعالى وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم ؟

وإن العقل السليم لا يجد أى صعوبة أو استحالة فى التصديق بوجود الجنة والنار الآن — فى الدنيا — وجودا لا يعلم حقيقته وكيفيته إلا " الله " تعالى " وحده فهل هذه النصوص النقلية قابلة للتأويل وصرفها عن ظواهرها حتى يقول " المعتزلة " أنهما غير موجودتان الآن وأن خلقهما قبل يوم الجزاء عبث ؟

وليس هناك عبث ولا ضلال غير ما تفوهوا به فى حق أخبار " الله " تعالى وأخبار رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإنهم يريدون أن يقيسوا الأمور الإلهية بأقيستهم الفاسدة وعقولهم القاصرة ولكن أفعال " الله " تعالى تتعالى عن أقيسة المعتزلة ومن على شاكلتهم فأى غرابة وأى استحالة فى أن تكون الجنة والنار موجودتان الآن ؟

كذلك اتفق " جمهور المسلمين " على أن الجنة والنار لا تفنيان وأن نعيمهما وعذابهما دائمان لا ينقطعان خلافا لما زعمه " المعتزلة " الذين خالفوا كل منقول ومعقول وقالوا أنهما ليستا دائمان بل ينقطعان وهذا ما قاله أحد علماء الإسلام فى هذا الأمر : " وزعم " جهم " أن الجنة والنار تفنيان بعد خلقهما فيخرج أهل الطاعة من الجنة بعد دخولهم ، ويخرج أهل النار بعد دخولهم وأن أهل الجنة إذا دخلوها ؟ لبثوا فيها دهرا طويلا فتبيد الجنة أهلها ويبيد نعيمها ، وتهلك النار ويبيد عذابها وأخذ ذلك

من قوله عز وجل ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾ (١) فشكك الناس ولبس على الجهلة تأويل القرآن من غير تأويله ، وقد أكذبه " الله " عز وجل بكتابه المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم " (٢)

وقد برهن " جمهور المسلمين " بالنصوص النقلية والبراهين العقلية على أن الجنة والنار لا تفنيان بل هما باقيتان وذلك ردا على " المعتزلة " الذين خالفوا الإجماع والمنقول والمعقول ، فمن النصوص النقلية التى استشهد بها " جمهور المسلمين " على مذهبهم فى هذا الموضوع :

١ - قول الله عز وجل مخبرا عن نعيم أهل الجنة . ﴿ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢) ﴾ (٣)

٢ - قول الله تعالى ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ (٤)

٣ - قول الله تعالى لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) ﴾ (٥)

٤ - قول الله تعالى ﴿ يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) ﴾ (٦)

٥ - قول الله تعالى ﴿ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) ﴾ (٧)

---

(١) سورة الحديد آية : ٣ .

(٢) الإمام الملطى : التنبيه ص١٤٠ .

(٣) سورة التوبة آية : ٢١ - ٢٢ .

(٤) سورة النحل آية : ٩٦ .

(٥) سورة الدخان آية : ٥٦ .

(٦) سورة غافر آيـة : ٣٩ .

(٧) سورة الكهف آية : ٣ .

٦ - قول الله تعالى ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) ﴾ (١)

٧ - قول الله تعالى ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) ﴾ (٢)

هذا فيما أخبر " الله " عز وجل به عن أهل الجنة،

أما أهل النار — أعاذنا الله منها برحمته — فقد أخبر عنهم فى آيات كثيرة من قرآنه الكريم مؤكدا على استمرارهم فى العذاب من هذه النصوص القرآنية :

١ - قول الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) ﴾ (٣)

٢ - قول الله تعالى ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا (٧٤) ﴾ (٤) أى لا يموت فيها فيستريح ولا يحى حياة تنفعه .

٣ - قول الله تعالى ﴿ يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) ﴾ (٥)

٤ - قول الله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٣٧) ﴾ (٦)

٥ - قول الله تعالى ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) ﴾ (٧)

---

(١) سورة الزمر آية : ٧٣ .

(٢) سورة الحجر آية : ٤٨ .

(٣) سورة فاطر آية : ٣٦ .

(٤) سورة طه آية : ٧٤ .

(٥) سورة الحاقة آية : ٢٧ .

(٦) سورة المائدة آية : ٣٧ .

(٧) سورة النساء آية : ٥٦ .

٦ - قول الله تعالى ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠)﴾ (١)

٧ - قول الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧)﴾ (٢)

فهذه بعض النصوص القرآنية التى تؤكد على استمرار عذاب أهل النار فى النار (٣)

وكذلك ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير من الأحاديث الصحيحة تؤكد على خلود أهل الجنة فى الجنة ، وخلود أهل النار فى النار وإن الموت يذبح بأمر " الله " تعالى كدليل على أنه لاموت بعد دخول أهل الجنة فى الجنة ، وأهل النار فى النار من هذه الأحاديث النبوية :

١ - ما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه عن بعض الصحابة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت " (٤)

٢ - ما أخرجه الإمام مسلم عن أبى سعيد الخدرى و أبى هريرة رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وأن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، وأن تحيوا فلا تموتوا أبدا " (٥)

---

(١) سورة السجدة آية : ٢٠ .

(٢) سورة الإسراء آية : ٩٧ .

(٣) راجع الإمام الملطى : التنبيه ص ١٤٠ - ١٤١ ، ابن أبى العز الحنفى : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٢٥ - ٤٢٦ .

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ١٠٨٦ .

(٥) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى كتاب - الجنة - باب - فى دوام نعيم أهل الجنة .

٣ - جاء فى الحديث المتفق عليه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قـال : قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار؟ يجاء بالموت كأنه كبش أملح فينادى مناد : يا أهل الجنة فيشرفون وينظـرون وكلهم قد رآه فيقولون : هذا الموت فينادى مناد يا أهل النار هل تعرفون هـذا فيشرفون وينظرون وكلهم قد رآه فيقولون : نعم هذا الموت ، ثم يؤخذ فيذبـح فيقال : يا أهل الجنة خلود بلا موت ، ويا أهل النار خلود بلا موت "(١)

فهذه هى بعض الأحاديث النبوية التى تؤكد ما أخبر " الله " تعالى به فى قرآنـه الكريم من بقاء أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار (٢)

فهل بعد هذه النصوص النقلية — من كتاب وسنة — حجة لأحد فى أن يزعـم فناء الجنة والنار بعد تأكيد " الله " تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم؟

وهل بعد بيان " الله " تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بيان ؟

وهل هذه النصوص النقلية قابلة للتأويل وصرفها عن ظواهرها حتى يقـول " المعتزلة " ما يخالف كل منقول ومعقول وما اتفق عليه " جمهور المسلمين "؟

وبهذا يتبين للجميع — بكل وضوح أن " جمهور المسلمين " يقفون فى جـانب والمعتزلة فى جانب آخر كما هى عادتهم غالبا فى معظم الموضوعات السمعية نـاهيك عن المسائل الإلهية وما يتعلق بالنبوة والرسالة كذلك .

---

(١) الحديث متفق عليه .

(٢) راجع الإمام الملطى : التنبيه ص ١٤٢ ، ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٢٦ - ٤٢٧ .

صفات أهل الجنة

بعد أن بينا طرفا يسيرا من صفات الجنة ونعيمها وما أعده " الله " تعالى فيها للمؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر نأتى لنتعرف على صفات أهل الجنة وكيف أنهم متصفون بكل صفة محمودة ومبرأون من كل صفة مذمومة وبعد استقرار كثير من النصوص النقلية الواردة بهذا الشأن يمكن الوقوف على بعض صفات أهل الجنة :

١ - يتقون الله تعالى فى السر والعلانية .

٢ - يتصفون بالصدق والأمانة والإخلاص فى القول والعمل .

٣ - يطيعون الله تعالى ورسوله فى كل قول وفعل واعتقاد .

٤ - يؤمنون بالله تعالى وملائكته ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر .

٥ - يحافظون على فرائض الله تعالى من صلاة وصيام وزكاة وسائر وجوه الطاعات.

٦ - يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

٧ - يسارعون للحسنات والخيرات مجتنبين للشرور والسيئات .

٨ - يأكلون من الطيبات ويعملون الصالحات .

٩ - المنفقين فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس .

١٠ - يجتنبون كبائر الإثم والفواحش من قتل للنفس التى حرم الله تعالى إلا بالحق ، والزنا والسرقة وشرب الخمر والغيبة والنميمة وقول الزور وأكل الربا وقذف المحصنات الغافلات ، والتولى يوم الزحف وغيرها من منكرات .

١١ - يوفون بعهد الله تعالى ولا ينقضون الميثاق .

١٢ – خائفين من عذاب الله تعالى طامعين فى رحمته .

١٣ –يمشون على أرض الله تعالى هونا وسلاما وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما سلاما .

١٤ – متواضعين لله تعالى فى غير مسكنة ، أعزاء فى غير تكبر .

١٥ – إذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا وكانوا بين ذلك قواما .

١٦ – لا يدعون مع الله تعالى إلها آخر .

١٧ – لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما .

١٨ – إذا ذُكِّروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا .

١٩ – يجاهدون فى سبيل الله تعالى بأموالهم وأنفسهم .

٢٠ – يذكرون الله تعالى كثيرا بالليل والنهار .

٢١ – الصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس .

٢٢ – الساعين لقضاء مصالح الناس طالما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

٢٣ – المتزاورون فى الله تعالى والمتجالسون فى طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .

٢٤ – أكلهم وسطا ، وشربهم وسطا ، ولباسهم من غير إسراف ولا تقتير .

٢٥ – يعرفون حق الله تعالى وحق الناس .

٢٦ – يعاملون الناس بمثل ما يريدون أن يعاملهم الناس فلا ضرر ولا ضرار .

وغيرها من صفات حميدة تحلى بها مؤمنوا أهل الجنة جعلنا الله تعالى منهم برحمته وفضل منه .

النار وصفتها

بعد أن انتهينا من بيان صفة الجنة وصفات أهلها نأتي لنتعرف على صفات النار وصفات أهلها وذلك من باب التحذير منها ؛

وكما وصف " أهل الجنة " بكل صفة حميدة وبُرِّأوا من كل صفة مذمومة ، فإن " أهل النار " قد وصفوا بكل صفة مذمومة وتخلوا عن كل صفة حميدة ؛

وهذه بعض صفات النار وصفة أهلها — أعاذنا الله منها — كما جاءت فى بعض النصوص القرآنية :

١ – وقودها الناس والحجارة كما قال الله تعالى ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾ (١)

٢ – فيها ألوان مختلفة من العذاب الأليم كما قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) ﴾ (٢)

٣ – فيها دركات بعضها أسفل من بعض وأشد فى العذاب من بعض كما قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) ﴾ (٣) .

٤ – فراشها وغطاؤها من النار كما قال الله تعالى ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٤١) ﴾ (٤)

(١) سورة البقرة آية : ٢٤ .
(٢) سورة النساء آية : ٥٦ .
(٣) سورة النساء آية : ١٤٥ .
(٤) سورة الأعراف آية : ٤١ .

٥ - جوها لا يطاق ودخانها أسود ينفذ إلى المسام كما قال الله تعالى ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١)﴾ (١)

٦ - لها زفير وشهيق كما قال الله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦)﴾ (٢)

٧ - لها أبواب منقسمة بحسب شدة العذاب وعمل العاصين كما قال الله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤)﴾ (٣)

- كلما ضعفت ازدادت سعيرا مرة أخرى كما قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧)﴾ (٤)

٩ السور المسور عليها من النار كما قال الله تعالى ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)﴾ (٥)

---

(١) سورة التوبة آية : ٨١ .

(٢) سورة هود آية : ١٠٦ .

(٣) سورة الحجر آية : ٤٤ .

(٤) سورة الإسراء آية : ٩٧ .

(٥) سورة الكهف آية : ٢٩ .

١٠ - لها أصوات مرعبة كما قال الله تعالى **﴿ إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا (١٢)﴾** [١]

١١ - إذا حاول أحد الهروب منها فلن يستطيع إلى ذلك سبيلا كما قال الله تعالى **﴿ يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (٥٤)﴾** [٢]

١٢ - عذابها لا ينقطع ولا يضعف كما قال الله تعالى **﴿ إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون (٧٤) لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون (٧٥)﴾** [٣]

١٣ - عليها ملائكة غلاظ شداد كما قال الله تعالى **﴿ يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (٦)﴾** [٤]

١٤ - عذابها شديد لدرجة أنه ينزع الأطراف وجلدة الرأس ويحرق البشرة كما قال الله تعالى **﴿ كلا إنها لظى (١٥) نزاعة للشوى (١٦) تدعوا من أدبر وتولى (١٧) وجمع فأوعى (١٨)﴾** [٥]

فهذا قليل من كثير من صفات النار كما جاءت فى آيات القرآن الكريم وهى صفات تتسم بالشدة والاشمئزاز والقبح لعل المجرمين يراجعون أنفسهم ويؤمنون بربهم تعالى وشريعة نبيهم " محمد " صلى الله عليه وسلم فهم بهذا فقط ينقذون أنفسهم من النار ، أما لو استمروا على كفرهم وعنادهم ؟ فإن النار مثواهم خالدين فيها أبدا ؛

---

(١) سورة الفرقان آيـة : ١٢ .

(٢) سورة العنكبوت آية : ٥٤ .

(٣) سورة الزخرف آيـة: ٧٤ - ٧٥ .

(٤) سورة التحريم آيـة : ٦ .

(٥) سورة المعارج آيـة : ١٥ - ١٨ .

كذلك فى هذا إنذار للعاصين لكى يتوبوا توبة نصوحا ويندموا على ما فعلـــوا من ذنوب وسيئات ، وإلا فإن الخسران يلحقهم كذلك مثل مـــا يلحـــق الكـــافرين والملحدين.

صفـة أهلهـا

كان فيما سبق جانبا يسيرا من صفات النار – أعاذنا الله منها –وإن نار الدنيـا مهما اشتد لهيبها وصوتها فإنها لا تشبه لا من قريب ولا من بعيد نار الآخرة ؟

وكما عرفنا صفات " أهل الجنة " فإننا فى المقابل نريد أن نتعرف على صفات أهل النار وكيف وصفهم " الله " تعالى فى قرآنه الكريم بكل صفات القبح والذم فمـن صفاتهم :

١ – كفروا بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وســـلم كمـــا قـــال الله تعـــالى ﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيـــها أولئك هم شر البرية (٦)﴾ (١)

٢ – يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله تعالى كما قال الله تعـــالى ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل اللـــــه فبشـــرهم بعذاب أليم (٣٤) يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكـــوى بـــها جباهـــهم وجنوبهم وظهورهم هـــذا مـــا كـــنزتم لأنفســـكم فذوقـــوا مـــا كنتـــم تكنزون (٣٥)﴾ (٢)

٣ – ملابسهم قطع من النار كما قال الله تعالى ﴿ سرابيلهم من قطران وتغشـــى وجوههم النار (٥٠)﴾ (٣)

---

(١) سورة البينة آية : ٦ .

(٢) سورة التوبة آية : ٣٤ – ٣٥ .

(٣) سورة إبراهيم آية : ٥٠ .

٤ - لايموتون فيها ولا يخفف عنهم العذاب كما قال الله تعالى ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور (٣٦)﴾ (١)

٥ - يسحبون فى النار بسلاسل من أعناقهم كما قال الله تعالى ﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون (٧١) في الحميم ثم في النار يسجرون (٧٢)﴾ (٢) .

٦ - طعامهم من زقوم يخرج من أصل الجحيم كما قال الله تعالى ﴿ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون (٥١) لآكلون من شجر من زقوم (٥٢) فمالئون منها البطون (٥٣) فشاربون عليه من الحميم (٥٤) فشاربون شرب الهيم (٥٥) هذا نزلهم يوم الدين (٥٦)﴾ (٣)

٧ - شرابهم من حميم — ماء مغلى — وغساق — صديد أهل النار — كما قال الله تعالى ﴿ إن جهنم كانت مرصادا (٢١) للطاغين مآبا (٢٢) لابثين فيها أحقابا (٢٣) لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا (٢٤) إلا حميما وغساقا (٢٥)﴾ (٤) فهذا قليل من كثير من صفات " أهل النار " كما جاءت فى القرآن الكريم ، وهى صفات كلها ذم وقبح ينفر منها كل عاقل ويعمل جاهدا للابتعاد عنها وعما يقربه منها وصدق الله العظيم فى قرآنه الكريم : ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (٣٧)﴾ (٥)

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين)

---

(١) سورة فاطر آية : ٣٦

(٢) سورة غافر آية : ٧١ - ٧٢ .

(٣) سورة الواقعة آية : ٥١ - ٥٦ .

(٤) سورة النبأ آية : ٢١ - ٢٥ .

(٥) سورة ق آية: ٣٧ .

فهرست

المصادر

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا : المصادر العامة :

١ - إحياء علوم الدين : الإمام أبو حامد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥هـ - ط القاهرة - سنة ١٩٣٩م .

٢ - الأديان دراسة تاريخية مقارنة ، القسم الأول الديانات القديمة : الدكتور رشدى عليان وسعدون الساموك . ط . دار الحرية - بغداد سنة ١٩٧٦ .

٣ - أديان الهند الكبرى : دكتور أحمد شلبى . ط . القاهرة سنة ١٩٦٧م ، ١٩٧٢م

٤ - إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى : الإمام العسقلانى . المتوفى سنة ١٣٢٣هـ . ط . بولاق - مصر - الطبعة السابعة سنة ١٣٢٣هـ .

٥ - الإسلام يتحدى : الأستاذ وحيد الدين خان : الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٣م .

٦ - أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن : الأستاذ محمد أمين الشنقيطى . المتوفى سنة ١٣٩٣هـ . ط . المدنى . الأولى .

٧ - الإنسان ذلك المجهول : دكتور الكسيس كاريل . ترجمة شفيق أسعد فريد ، ط . بيروت .

٨ - الإيمان والحياة : الدكتور يوسف القرضاوى . مطبعة التقدم - القاهرة - الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٩ - التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة : الإمام أبى عبد الله الأنصارى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١هـ - مطابع مدكور وأولاده - القاهرة .

١٠ - تفسير القرآن العظيم : الإمام إسماعيل بن كثير . المتوفى سنة ٧٧٤هـ ط . دار إحياء التراث العربى - بيروت - سنة ١٩٦٩ .

١١ - تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول ﷺ : الإمام عبد الرحمن ابن على الشيبانى . ط . مصطفى البابى الحلبى - القاهرة .

١٢ – التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع : الإمام أبى الحسين محمد الملطى . المتوفى سنة ٣٧٧هـ . قدم له محمد زاهد الكوثرى ، رقم الإيداع ٣٢٠٦ لسنة ١٩٩١م .

١٣ – التشيع ، نشوءه ، مراحله ، مقوماته : العلامة السيد عبد الله العريفى . ط . دار الثقلين – بيروت لبنان – الطبعة الثالثة سنة ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .

١٤ – الثقافة الإسلامية : دكتور حامد إسماعيل وآخرين ، ط . دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان – الطبعة الخامسة .

١٥ – براءة أهل السنة من تكفير عصاة الأمة : دكتور عبد الله شاكر . ط . دار الحرمين – القاهرة – الطبعة الثانية سنة ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

١٦ – خاطرات جمال الدين الأفغانى : الأستاذ محمد باشا المخزومى . ط . دار الفكر – دمشق – الطبعة الثانية سنة ١٩٦٥م .

١٧ – رسالة فى التوحيد والفرق المعاصرة : الأستاذ كمال الدين الطائى . المتوفى سنة ١٣٩٢هـ – مطبعة سلمان الأعظمى – بغداد .

١٨ – الروح : الإمام ابن قيم الجوزية ، المتوفى سنة ٧٥١هـ مطبعة محمد على صبيح وأولاده – مصر – الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٦هـ – ١٩٦٧م .

١٩ – سنن أبى داود : الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث . المتوفى سنة ٢٧٥هـ مطبعة السعادة – القاهرة – الطبعة الثانية .

٢٠ – سنن الترمذى : الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى . المتوفى سنة ٢٧٩هـ تحقيق عزة العاس ط . حمص سنة ١٩٦٥م .

٢١ – سنن الدارمى : الإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى . المتوفى سنة ٢٥٥هـ ط. شركة الطباعة الفنية .

٢٢ – سنن ابن ماجة : الإمام ابن ماجة . المتوفى سنة ٢٧٥هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ط. دار إحياء الكتب العربية – مصر – ١٩٥٢ .

٢٣ – سنن الدارقطنى : الإمام على بن عمر الدارقطنى . المتوفى سنة ٣٨٥هـ . دار المحاسبة للطباعة سنة ١٩٦٦م .
٢٤ – سنن النسائى : الإمام أحمد بن شعيب النسائى . المتوفى سنة ٣٠٣هـ مطبعة مصطفى الحلبى ، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤م .
٢٥ – السنن الكبرى : الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى . المتوفى سنة ٤٥٨هـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية . حيد آباد . سنة ١٣٥٤هـ .
٢٦ – شرح البيجورى على جوهرة التوحيد : الشيخ إبراهيم البيجورى . المتوفى سنة ١٢٧٧هـ ط. القاهرة سنة ١٩٦٤م .
٢٧ – شرح البيجورى على السنوسية : الشيخ إبراهيم البيجورى . المتوفى سنة ١٢٧٧هـ ط. القاهرة سنة ١٣٦٩م .
٢٨ – شرح المقاصد : الإمام سعد الدين التفتازانى . المتوفى سنة ٧٩١هـ طبع الأستانة سنة ١٣٠٥هـ .
٢٩ – شرح جوهرة التوحيد المسمى " إتحاف المريد بجوهرة التوحيد " : الشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقانى . المتوفى سنة ١٠٨٧هـ مطبعة السعادة – مصر – سنة ١٩٥٥م .
٣٠ – شرح العقائد العضدية : الإمام عضد الدين الإيجى . المتوفى سنة ٧٥٦هـ ط. دار سعادات مطبعة عثمانية سنة ١٣١٦هـ .
٣١ – شرح المواقف : الإمام السيد الشريف الجرجانى . المتوفى سنة ٧٥٦هـ طبع القسطنطينية .
٣٢ – شرح العقيدة الطحاوية : الشيخ ابن أبى العز الحنفى . المتوفى سنة ٧٩٢هـ حققها وراجعها جماعة من العلماء . ط. المكتب الإسلامى – بيروت سنة ١٤٠٤هـ .

٣٣ – شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية : الأستاذ محمد خليل هراس . ط. المكتبة السلفية . المدينة المنورة .
٣٤ – شرح الإمام النووى لصحيح مسلم : الإمام يحى بن شرف النووى . المتوفى سنة ٦٧٦هـ مطبوع بهامش إرشاد السارى للقسكلانى . ط. بولاق – مصر .
٣٥ – الصائبون : حرانيين ومندائيين : دكتور رشدى عليان . مطبعة دار السلام – بغداد – سنة ١٩٧٧م .
٣٦ – صحيح البخارى : الإمام البخارى . المتوفى سنة ٢٥٦ هـ طبعة مصورة ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – عن طبعة القاهرة .
٣٧ – صحيح مسلم : الإمام مسلم بن الحجاج القشيرى . المتوفى سنة ٢٦١هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .
٣٨ – العقائد الإسلامية : الأستاذ السيد سابق . ط. دار الكتاب العربى – بيروت .
٣٩ – عقائد ما بعد الموت فى حضارة وادى الرافدين : رسالة ماجستير للأستاذ نائل عليوى . كلية الآداب – جامعة بغداد – ط. سنة ١٩٧٥م .
٤٠ – عقيدة المؤمن : الشيخ أبو بكر الجزائرى . طبعة مصورة بدون تاريخ .
٤١ – فتح البارى شرح صحيح البخارى : الإمام ابن حجر العسقلانى . المتوفى سنة ٨٥٢هـ طبع بعناية محب الدين الخطيب . ط. دار المعرفة – بيروت .
٤٢ – فقه السيرة النبوية : دكتور محمد سعيد البوطى . ط. دار الفكر المعاصر – بيروت – دار الفكر – دمشق – الطبعة الحادية عشر سنة ١٤١٢هـ – ١٩٩١م .
٤٣ – الفرق بين الفرق : الإمام عبد القاهر بن طاهر البغدادى . المتوفى سنة ٤٢٩هـ حقق أصول وقدم له طه سعد . الناشر مؤسسة الحلبى وشركاه – القاهرة .
٤٤ – فى ظلال القرآن : الشيخ سيد قطب . المتوفى سنة ١٩٦٧م . ط. دار إحياء التراث العربى – بيروت – الطبعة الخامسة سنة ١٩٦٧م .

٤٥ – فى العقائد والأديان : دكتور محمد جابر الحسينى الطبعة الأولى سنة ١٩٧١م .
٤٦ – القصور العوالى من رسائل الإمام الغزالى : الإمام أبو حامد الغزالى . المتوفى سنة ٥٠٥هـ حققه الشيخ محمد مصطفى أبو العلا . ط. مكتبة الجندى – مصر .
٤٧ – القاموس المحيط : العلامة مجد الدين الفيروز آبادى . المتوفى سنة ٨١٧هـ ط. المكتبة التجارية – القاهرة .
٤٨ – قصة الديانات : الأستاذ سليمان مظهر . ط. دار الوطن العربى للطبع والنشر الطبعة الأولى .
٤٩ – قواعد العقائد : الإمام أبو حامد الغزالى . المتوفى سنة ٥٠٥هـ . ط. دار النصر للطباعة سنة ١٣٩٠هـ .
٥٠ – كبرى اليقينيات الكونية : دكتور محمد سعيد البوطى . الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠هـ .
٥١ – الله يتجلى فى عصر العلم : نخبة من العلماء الأمريكيين ، أشرف على تحريره جون كلوفر مونسا ، ترجمة د. الدمرداش ط. مؤسسة الحلبى – مصر – سنة ١٩٦٨م .
٥٢ – لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية : الشيخ محمد بن أحمد السفارينى ، مطابع دار الأصفهانى وشركاه – جدة – سنة ١٣٨٠هـ .
٥٣ – محاضرات فى النصرانية : الإمام محمد أبو زهرة . المتوفى سنة ١٩٧٤م مطبعة العلوم – مصر سنة ١٣٦١هـ – ١٩٤٢م .
٥٤ – المختار من صحاح اللغة : العلامة محمد محى الدين عبد الحميد ، ومحمد عبد اللطيف السبكى ، الطبعة الرابعة – مصر .
٥٥ – مسائل الجاهلية التى خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية : ألف أصلها الإمام محمد بن عبد الوهاب ، علق عليها الإمام الألوسى طبع مؤسسة مكة للطباعة والإعلام سنة ١٣٩٦هـ .

٥٦ – المستدرك على الصحيحين : الإمام الحاكم النيسابورى . المتوفى سنة ٤٠٥هـ نسخة مصورة عن طبعة الهند .

٥٧ – مسند أحمد بن حنبل : الإمام أحمد بن حنبل ، طبعة مصورة فى بيروت على طبعة الميمنية – مصر – سنة ١٣١٣هـ .

٥٨ – مشاهد القيامة فى القرآن : الشيخ سيد قطب ، المتوفى سنة ١٩٦٧م . ط. دار المعارف – مصر .

٥٩ – الموطأ : الإمام مالك بن أنس . المتوفى سنة ١٧٩هـ نشر دار الشعب – القاهرة .

٦٠ – المقاصد : الإمام سعد الدين التفتازانى . المتوفى سنة ٧٩١هـ طبع الأستانة سنة ١٣٠٥هـ .

٦١ – المواقف : الإمام عضد الدين الإيجى ، المتوفى سنة ٧٥٦هـ طبع القسطنطينية سنة ١٢٨٦هـ .

٦٢ – مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ، الأستاذ طه باقر . ط. بغداد الطبعة الثانية سنة ١٩٥٥م .

٦٣ – نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام . دكتور على سامى النشار . ط. دار المعارف – مصر – الطبعة الثامنة .

٦٤ – النظم الإسلامية : دكتور منير حميد البياتى . ط. دار البشير – عمان – الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .

٦٥ – اليهودية : دكتور أحمد شلبى . مطبعة السنة المحمدية – مصر – الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٣م .

٦٦ – يوم القيامة : دكتور عبد الرزاق نوفل . ط. دار الشعب – القاهرة – سنة ١٩٦٩م .

فهرست

الموضوعات

رقم الإيداع

(١٥٦٣٢ / ١٩٩٨م)